بسم الله الرحمن الرحيم

# التطرف الديني

## أسبابه.. انعكاساته.. علاجه


إعداد

حيدر محمد الكعبي

التصميم والاخراج الفني

علي البرقعاوي



المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية

# المحتويات

تقديم ..... ٥

الفصل الاول: أسباب ظهور التطرف ونموه..... ..... ٦

الفصل الثاني: التطرف الديني في الغرب..... ٤٦

الفصل الثالث: نماذج من حركات متطرفة معاصرة..... ٦٣

الفصل الرابع: حلول للحد من التطرف الديني..... ٨١

الخلاصة..... ٩٥

# بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

التطرف الديني.. من اكثر الظواهر حساسية وتداولا على الساحة المعاصرة، وذلك بفضل الاحداث الكارثية المتسارعة التي تعاني منها بلدان العالم بسبب آثار هذه الظاهرة.

ويبدو ان الخطاب الاعلامي اليوم بات اكثر اهتماما بالتطرف الديني، فصار هو محور خطابه التحليلي للعديد من القضايا من زوايا ووجهات نظر عديدة، بعد ان كان موضوع الارهاب هو المتصدر لهذا الخطاب قبل مدة وجيزة من الزمن.

وربما اصبح الاهتمام الاكبر بموضوع التطرف – كايدلوجية أو عقيدة- للحاجة الماسة الى معالجة معضلة الارهاب من الجذور، باعتبار ان التطرف سبب رئيس ينتج عنه الارهاب اذا ما ترجم الى سلوك بشري.

وهذا البحث محاولة لرصد اسباب هذه الظاهرة وانعكاساتها وما يمكن ان يمثل حلولا واقعية لها، اعتمادا على ما رصد من دراسات وبحوث ومقالات وتقارير حديثة نشرتها مراكز دراسات بحثية واستراتيجية فضلا عن مواقع اعلامية مهمة تداولت موضوع التطرف بالذات.

وقد قسم البحث حول موضوع التطرف الديني الى فصول، يتضمن أولها بيان اسباب نشوء التطرف الديني وصعوده، مع الأخذ بنظر الاعتبار ان أي من هذه الاسباب لا يستقل بذاته في مسألة نمو هذه الجماعة المتطرفة او تلك، وانما هي اسباب يأخذ بعضها برقاب بعض وترتبط مع بعضها بروابط وثيقة يتمخض عنها في النهاية بروز التطرّف كقوة مؤثرة على الساحة الاقليمية والعالمية.

وفي الفصل الثاني نتعرض الى موضوع مثير للجدل يتعلق بنمو الجماعات المتطرفة دينيا في بلدان الغرب واسباب هذا النمو، بما يمثل انعكاسات ظاهرة التطرف على المجتمعات، وبخاصة تلك التي رعتها ووظفتها للحصول على مكاسب ومصالح آنية.

وفي الفصل الثالث نستعرض جملة من اشهر الجماعات المتطرفة المعاصرة.

أما في الفصل الرابع فنبين ما يمكن ان يمثل حلا للحد من انتشار ظاهرة التطرف والتقليل من حدّته وصولا للقضاء عليه، آملين ان نكون قد وفقنا في رسم معالم هذا الموضوع الحيوي بما يخدم الباحث والمطلع على حد سواء.. والله ولي التوفيق.

# الفصل الاول:

## أسباب ظهور التطرف ونموه

### أولا: ثورة غير متّزنة تجاه واقع مُحبِط:

لعل التمرد على الأزمات التي يعيشها العالم من اهم مُنتِجات الفكر المتطرف، وبخاصة بالنسبة للفكر الديني، إذ يوظف ظاهرة الخلاص الموعود من المحن والآلام للتخلص من الواقع المحبط الذي تعيشه الجماعات التي ينمو فيها التطرف.

ولكي ندرك اهمية الازمات في توليد التطرف وتغذيته، يكفي ان نعلم ان محور خطاب ابي بكر البغدادي - زعيم الجماعة الاشهر والاكثر تطرفا في الوقت الحاضر - يؤكد على ان قيام دولته الاسلامية المزعومة يرتبط ارتباطا جذريا بظاهرة النكبات والاحباطات المتكررة التي عاشها المسلمون خلال العقود المنصرمة، وقد نشر موقع قناة (CNN) الامريكية طرفا من هذا الخطاب بتاريخ 2014/7/2 جاء فيه: ((أيها المسلمون في كل مكان أبشروا وآمنوا خيرا وارفعوا رؤوسكم عاليا فإن لكم اليوم بفضل اللّه دولة وخلافة تعيد كرامتكم وعزتكم وتسترجع حقوقكم وسيادتكم دولة تآخى فيها الأعجمي والعربي والأبيض والأسود والشرقي والغربي خلافة جمعت القوقازي والهندي والصيني والشامي والعراقي واليمني والمصري والمغربي والأمريكي والفرنسي والألماني والأسترالي ألف اللّه بين قلوبهم وأصبحوا بفضل اللّه إخوانا متحابين فيه واقفين في خندق واحد يدافع بعضهم عن بعض ويحمي بعضهم بعضا."

وتابع قائلا: "هلموا إلى دولتكم أيها المسلمون، نعم دولتكم هلموا فليست سوريا للسوريين وليس العراق للعراقيين إن الأرض للّه يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين الدولة دولة المسلمين والأرض أرض المسلمين كل المسلمين فيا أيها المسلمون في كل مكان

من استطاع الهجرة إلى الدولة الإسلامية فليهاجر فإن الهجرة إلى دار الإسلام هي واجبة ففروا أيها المسلمين بدينكم إلى الله مهاجرين ومن يهاجر في سبيل الله يجد سعة كبيرة في أرض الله ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما"...

وأضاف البغدادي "اسمعي يا أمة الإسلام اسمعي وعي وقومي وانهضي فقد آن لكي أن تتحرري من قيود الضعف وتقومي في وجه الطغيان على الحكام الخونة عملاء الصليبيين والملحدين وحماة اليهود.. يا أمة الإسلام لقد بات العالم اليوم في فسطاطين اثنين وخندقين اثنين ليس لهما ثالث فسطاط إسلام وإيمان وفسطاط كفر ونفاق فسطاط المسلمين والمجاهدين في كل مكان وفسطاط اليهود والصليبيين وحلفائهم ومعهم باقي أمم الكفر وملله تقودهم أمريكا وروسيا وتحركهم اليهود".

وتابع قائلا: "لقد انكسر المسلمون بعد انكسار خلافتهم ثم زالت دولتهم فاستطاعوا إذلالهم واستضعافهم والسيطرة عليهم في كل مكان ونهب خيراتهم وثرواتهم وسلبهم حقوقهم وذلك عن طريق غزوهم واحتلال دولهم وتنصيب حكام عملاء خونة يحكمون المسلمين بالنار والحديد رافعين شعارات براقة خداعة كالحضارة والسلام والتعايش والحرية والديمقراطية والعلمانية والبعثية والقومية والوطنية وغيرها من الشعارات الزائفة الكاذبة ولا زال هؤلاء الحكام يعملون لاستعباد المسلمين وسلخهم عن دينهم بتلك الشعارات فإما أن ينسلخ المسلم عن دينه ويكفر بالله ويخضع لقوانين الشرق والغرب الوضعية الشركية بكل ذل وخنوع ويعيش تابعا حقيرا مهانا واما أن يضطهد ويحارب ويشرد أو يقتل أو يسجن ويسام سوء العذاب بدعوى الإرهاب فإن الإرهاب أن تكفر بتلك الشعارات وتؤمن بالله إن الإرهاب أن تحتكم إلى شرع الله إن الإرهاب أن تعبد الله كما أمر الله إن الإرهاب أن ترفض وتحارب الخنوع والخضوع".

وتوعد البغدادي "عما قريب بإذن الله ليأتين يوم يمشي فيه المسلم في كل مكان سيدا كريما مهابا مرفوع الرأس محفوظ الكرامة لا تتجرأ عليه فئة إلا وتؤدب ولا تمتد إليه يد سوء إلا وتقطع ألا فليعلم العالم أننا اليوم في زمان جديد ألا من كان غافلا فلينتبه ألا من كان نائما فليفق ألا فليعي من كان مصدوما مذهولا إن للمسلمين اليوم كلمة عالية مدوية وأقداما ثقيلة كلمة تسمع العالم وتفهمه معنى الإرهاب أقداما تدوس وثن القومية وتحطم صنم الديمقراطية وتكشف زيفها"))).

البغدادي يعزف في خطابه على وتر الهوان الذي يشعر به المسلمون حول العالم

وحول توظيف فكرة ظهور المصلح في تخلص المتدينين من الهوان الذي تعرضوا له، فضلا عن الشعور القوي بالحنين الى العصور التاريخية الذهبية للدين (نوستولوجيا) والسعي لتحقيق الوعد الالهي في انشاء المدينة المثالية المستقبلية (اليوتيوبيا)؛ نقرأ ما نشرته صحيفة المنيتور بتاريخ 2014/7/7 تحت عنوان (نوستولوجيا الخلافة الإسلامية.. هل أصبحت واقعا؟) جاء فيه: ((حاول مفكرون سلفيون آخرون ينتمون للتيار الجهادي بتفسير الإنجازات الأخيرة

للدولة الإسلامية وفق رؤية آخر الزمانية (ESCHATOLOGICAL) معتبرين ما يحدث هو جزء من ظهور المهدي الذي سيعيد الخلافة الإسلامية بعد اضطرابات كثيرة تشهده مناطق محددة من العالم الإسلامي بما فيها العراق والشام.

ما يظهره هذا كله بأن هناك شعور نوستولوجي قوي منتشر في العالم الإسلامي نحو فترة الخلافة الإسلامية. وتقترن الخلافة الإسلامية في المخيلة الجماعية لأصحاب هذا الشعور بالإزدهار والعظمة التاريخية للحضارة الإسلامية. ويتغذى هذا الشعور بشكل كبير من حالة عدم الإستقرار السياسي والمشاكل الإقتصادية الكبيرة في المجتمعات الإسلامية. وذلك من حيث أن الإحباط والقنوط من حصول التغيير يوجه الأفراد نحو الطوباوية ويبعدهم عن التفكير الواقعي في مشاكل حياتهم. وهذا خاصة أن هذه المجتمعات قد مرّت بتجارب متعددة في المئة السنة الأخيرة دون أي جدوى. فقد مرّت هذه المناطق بفترة الإستعمار بعدما كانت تحلم بالحرية من إستبداد الامبراطورية العثمانية. وقد ابتلت بالأنظمة العسكرية بعد ما توجهت نحو مناهضة الإستعمار والتخلص منه. وقد وقعت بعد ذلك في فخّ ايدئولوجيات قومية ويسارية متعددة دون أن تنتج لها ما كانت تحلم به من حياة كريمة في مجتمع متقدم. وتعدّ قوّة اليوتوبيا عامل مهمّ في نشر الميول نحو تأسيس الخلافة الإسلامية. وقد عُرِضَت اليوتوبياوية السلفية بشكل مخطط واقعي قابل للتطبيق من قبل منظريها، بل هو ضروري التطبيق حسب ما وعده اللّه لعباده المؤمنين كما يعتقده هؤلاء الأفراد. وقد جاءت تفاصيل هذا المخطط الإلهي في مؤلفات اثنين من دعامات الفكر السلفي المعاصر وهما: ابو الأعلى المودودي والسيد قطب.

ينقسم التاريخ في هذه الرؤية السلفية الى قسمين: الجاهلية والإسلام، وأن كل مرحلة من الجاهلية تلحقها مرحلة إسلامية. وبما أن العالم يشهد اليوم عهد جاهلي حديث فيجب القيام بالجهاد لتأسيس العهد الإسلامي المقبل. ويتم هذا عبر مراحل ثلاث: الايمان (بالاسلام الخالص السلفي)، الهجرة (الانتقال من المجتمعات الكافرة الى مجتمع مؤمن) والجهاد (لتحقيق الدولة الإسلامية التي يجب أن تظهر في صيغة الخلافة بوصفها هي الطريقة الرائجة عند السلف)).

## ثانيا: أفكار دينية مبتورة تغذّي التطرف الديني

غير خاف أن السعي لتغيير الواقع المُحبط أمر مطلوب في الاصل، ولكن اصحاب الفكر الديني المتطرف لا يقومون بذلك بشكل عقلاني متوازن، وإنما يقومون به وفقا لافكار مبتورة، تعتمد تأويلات دينية قاصرة تنتج سلوكا بعيدا كل البعد عن الحكمة ومنحرفا كل الانحراف عن الواقع.

وفي هذا الصدد نقرأ مقالا للكاتب عبد اللّه النغيمشي نشرته صحيفة الحياة اللندنية بتاريخ 2014/6/1 تحت عنوان (سيكولوجية الخوارج) يقول فيه:

((الحديث عن الخوارج عند تشييئه لا يتجه حقيقة لوصف فكر فئة محددة لا نظائر لها - فئة محددة تاريخياً - وإنما يحكي حالاً فكرية متكررة، تكون متساوقة غالباً مع الرغبوية الغيبية، والحرفية الظواهرية في إدراك الأشياء والمعاني والنصوص، والراديكالية في التغيير غير المتسق مع المنطق والظرف، والقطعية اليقينية في التعاطي مع الأحوال والأحداث، إضافة إلى البطانة الشعورية الضيقة في استيعاب المختلف واستيعاب الأفكار أو مصاهرتها،

إذ ما يميز مثل تلك المنظومة وشبيهاتها التفكيك المجرد الذي لا يتواشج معه تركيب وتأليف وتوفيق لعناصر الأحداث والأحوال والنصوص والشخوص والمآلات، وبصورة أكثر إجمالاً وتبياناً، فإنني عنيت أن ذهنية الخوارج ذهنية متحركة متكررة في كل مجموعة آيديولوجية عاجزة عن التماهي مع الآخر، إلا من خلال الرفض والانتباذ والعنف الذي لا يتوازى معه أدنى درجة من درجات الإصغاء والحوار...

سيكولوجية الفكر الخارجي تكمن مشكلتها في الجانب الذهني أكثر من مشكلتها في الجانب العقائدي ذلك أن جذر الطهرانية حينما تأسست لم يكن نتاج خلفية عقائدية مكتملة ورؤية شاملة ودليل ذلك بدايات النشوء، إذ كان تشكل هذا الفكر من لدن من يوصفون بالقراء الذين حفظوا القرآن على يد بعض الصحابة كأبي موسى الأشعري وغيره، ولم يكن لهم رصيد أو تاريخ معرفي وعلمي غير حفظ القرآن واستظهاره والأخذ به بحرفيته وظواهريته، من دون علم أوفقه أو دراية تؤهلهم لاستكناه القرآن وأبعاده، ودليل ذلك حادثة «رفع المصاحف» في معركة صفين من جيش أهل الشام ومطالبتهم بتحكيم كتاب الله وكيف قابله القراء «الخوارج» أتباع علي برفض القتال ضد أهل الشام وخروجهم على رأي وأمر الخليفة علي رضي الله عنه بدعوى حرمة القتال إجلالاً للقرآن، وضرورة الاحتكام إليه وكان ذلك بداية خروجهم على علي رضي الله عنه، المفارقة أنهم خرجوا على علي بعد نتيجة التحكيم وكفروه لنزوله عند التحكيم، وحينما قال لهم: «إنكم من فرض التحكيم»، قالوا له: «كنا مخطئين في وقف القتال والقبول بالتحكيم، وقد غرر بنا، وأنت آثم لأنك وافقتنا حينها، ولم تقاتلنا، فلقد كنا مذنبين، وقد تبنا عن موافقتنا بتحكيم كتاب الله». الطبري بتصرف.

هذه الحادثة تكشف حقيقة ذهنية الخوارج وتقلبهم وضيق أفقهم نتيجة اعتمادهم الحرفية والظاهرية في التعاطي مع الدين ونصوصه، كما تكشف عن العجز المعرفي والذهني والحواري، وحسبهم أنهم عجزوا عن محاورة الإمام علي وانتبذوه قصياً، وهو من هو، في دينه وفقهه وعلمه وعقله ما يدل على أنهم يحملون نواة الاختلاف والانغلاق وغير المنطق.

الخوارج لا يؤمنون أساساً بالآخر، ونتيجة ذلك أن الحوار عندهم كفر، لأنه وسيلة لغاية كافرة، وهي محاورة الآخر الكافر، والكافر كل من خالفهم. الأزمة الكبرى التي يستبطنها الخوارج ثاوية في لاوعيهم العميق عن المختلف، ذلك أن المختلف عنهم ليس له حيز غير التكفير والكراهية والحرب، إذ إن المنطقة الوسطى أو الرمادية بين الأسود والأبيض والكفر والإسلام تكاد تكون معدومة لأن من عداهم كافر ولا مسلم غيرهم.

العقل الظاهري الحرفي في تناول دلالات النصوص هو المسؤول عن تخلق العقيدة الخارجية، إذ عرف عنهم عدم وعيهم بالفقه وأصول استنباط المسائل عند التعاطي مع أي نص لأية مسألة، ولذلك هم يهرعون للمعنى الأقرب والأغلظ في الأدلة)).

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا المقام، ان الثورة غير المتزنة التي تقوم بها الجماعات المتطرفة لا تنفك عن الحاجة الى مادة فكرية تؤسس عليها مشروعية عملها، لذا فان الغالبية العظمى من حركات التطرف في العالم "تنتقي" من بين النظريات والافكار ما يلائمها "لتبرير" الاعمال الوحشية التي ترتكبها من اجل "تغيير" الواقع المُحبِط الذي تعيشه تلك الحركات.

وفي هذا المجال من المفيد ان نقرأ جانبا مما نشره موقع الحوار المتمدن بتاريخ 2014/8/5 تحت عنوان (الخلافة على منهج النبوة - العقيدة والحقيقة) الذي جاء فيه: ((كلما مرت هذه الامة بأزمة من ازماتها البنيوية التي لا تنتهي ولن تنتهي في القريب

العاجل، زاد تعلق المخيال الجمعي او الخيال العام باستحضار كل ما يملكه من مخزون تاريخي وعقائدي، وحتى اسطوري بهدف تفسير او تبرير حركة التاريخ، وذلك حتى يجد هذا المخيال الجمعي ما يثبت اي بنية من البناء العقائدي التقليدي له، وهو في شكل منه يشكل آلية من آليات الدفاع عن الذات، اي ذات الامة المشكلة حسب هذا البناء العقائدي، وفي شكل آخر منه مواجهة مع الآخر، كل الآخر، الآخر الكافر والآخر المخالف من ذات البنية العقائدية والآخر المذهبي ايضا...

هذه الازمة الدائمة والمستعرة ابدا، دأبت من خلال تشكيلاتها السياسية والعقائدية الاسلاموية المختلفة، ابتداء من تاريخ انهيار الخلافة العثمانية والصدمة النفسية الشاملة التي اصابتها بسبب هذا الانهيار الدراماتيكي لتلك الخلافة، من حيث كيفيته وأسبابه، التي خضعت لتفسيرات مختلفة ، منها العلمي الذي يأخذ بأسباب التاريخي، ومنها الايدلوجي الديني القائم على فكرة المؤامرة على الاسلام والمسلمين، من داخل هذا الجسد الاسلاموي او من خارجه او حتى الارادة الالهية التي تعاقب الافراد والدول لخروجهم عن سننها .

وفي ظل الازمة القائمة الآن في العالم العربي، والناتجة عن ما اطلق عليه الربيع العربي، ولأسباب مختلفة تحتاج الى دراسات علمية معمقة، تسيّدت جماعات وتنظيمات الاسلام السياسي المشهد العام وأصبح خطابها السياسي المختلط بالدعاوي

والمعتقدات الدينيـــة المختلفة هو المشهد الثابت الذي تدور داخلـــه وحوله مختلف الصراعات العقائدية والسياسية، وكان لا بد لهذا التيار من توظيف المخزون العقائدي الذي يملكه في معاركه العقائدية المختلفة وعلى رأسها آيات القران المبتورة عن سياقها التاريخي والفقهي، وكذلك الاحاديث النبوية المشكلـــة لفكر هذه الجماعات، وهي الجزء الاهم الذي اصبح يرفع على اسنة الرماح، في وجه عامة المسلمـــين، وفي وجه التيارات الاخرى، والأنظمة السياسية، ولا يوجد ابرز مـــن حديث منهاج الخلافـــة، من ان يشكل بحد ذاته خطاب سياسي وتاريخي وعقائدي مكتمل، يمكن الاستناد عليه في اعلان ولادة دولة الخلافة المنتظـــرة، بغض النظر عن وجود اي ظروف موضوعيـــة لازمة لإقامة اي كيـــان سياســـي، لأن المهم حسب هذه الجماعـــات والتنظيمـــات، ان النبوءة لا بد تتحقـــق، شاء من شـــاء وأبى من ابى، هكذا يجب ان يكون الأمر حتمية أسطورية، تفرض نفسها على الواقع وتغير مسار التاريخ، حتى يخضـــع لرغباتها، مع ان هذا الحديث وكما ورد في كتـــب فقهاء المسلمين، كان مدار خـــلاف في سنده ومتنه، وفي افضل الاحول تم تصنيفه علـــى انه حديث حسن، هذا ان لم يكن حديث موضوع اصلا، ومع ذلك اصبح كل ذلك غير مهـــم شأنه، شأن الكثير من الاحكام المبنية على احاديث نبوية مشكوك في صحة نسبتهـــا الى الرسول عليه السلام، فالمهم فقط هو اقامة الخلافة وتحكيم شرع اللّه وهـــو ما فعلته داعش ومـــا يطمح اليه الداعشيين الاخريـــن المنتظرين لفرصتهم التاريخية)).

وفي هـــذا المجـــال نقـــرأ ايضا مـــا نشرته صحيفة السياسة الدولية تحت عنوان (الفكر السني يولّـــد التطرف) في 2014/5/17 - وهو تقرير للاستـــاذ باسم راشد مطـــاوع (باحث في العلوم السياســـية/ مصر) لندوة عقدها مركز الجزيـــرة للدراسات تحـــت عنوان: "السلفيـــة في العـــالم العربـــي: تصـــورات، تيارات وجماعات"- جاء فيه:

((ان الخطـــاب السلفي يتميز بعدة سمات: أولاها أنه خطاب طـــرفي وليس مركزيا، فالأطـــراف (البادية، الريـــف) كانت دائما منطلق "السلفيـــات" وليس المركز، وما يؤكـــد ذلك المفـــردات التي يقـــوم عليها الخطاب السلفي التـــي هي مفردات تنتمي للحقـــل الاحتجاجي. أما ثانية تلك السمات فهي أنه خطـــاب انتقائي، حيث يتم تكبير جزء من الديـــن ليغطي الباقي، فابن تيمية الصـــوفي وابن تيمية الفيلســـوف يغيبان ولا يظهر إلا ابن تيمية السلفي. والسمة الثالثة أن الخطـــاب السلفي خطاب متحول وغير مستقـــر، تختلـــط فيه البواعـــث السياسية والاجتماعية والدينية، حيث يمكن الحديث عن أطوار للخطاب الديني السلفي.

وفي سيـــاق هذا التحول الـــذي يتصف به التيـــار السلفي، فإن الخطـــاب السلفي يمر بمراحل متعددة تجسد هذا التحول، وهي: مرحلة التأسيس، التي تختلط فيها البواعث السياســـية والاجتماعية لتحفيـــز مؤسسي الخطـــاب السلفي، فيولـــد الخطاب السلفي بداية بوصفـــه خطابا احتجاجيـــا إصلاحيا جذريا. تليهـــا مرحلة الاستقرار، إذ يتحول الخطاب السلفي بعد تأسيسه إلي إرث فكري له رموزه ومراجعه "العلمية". وبمرور الوقت يدخل الخطاب في مرحلة ما يعرف بـ "نزع السياقات"، حيـــث يتحول الخطاب السلفي بالتدريـــج إلي خطاب ديني صـــرف يسعي للحفاظ على شرعية الجماعات المستفيدة منه والمؤمنة به)).

وللاسف فـــان شرائح "مثقفـــة" عديدة لم تقـــف في وجـــه هـــذا التأسيـــس الفكري الانتقائـــي الذي يغذي حـــركات التطرف الديني، بل انها على العكس من ذلك اخذت تمـــده باسباب النمو بكل ما اوتيت من قوة، من خلال اعـــادة صياغة الافكار التي تغذي التطـــرف الدينـــي بشكل متكـــرر يزيد من تطرفه، بحيث يرفض الآخر جملة وتفصيلا في النهاية.

وكشاهد على هذه الحقيقة، نقرأ ما نشره المركز العربي للدراسات المستقبلية تحت

عنوان (اقتصاد المعرفة والتعليم الوهابي) بتاريخ 2014/9/13 جاء فيه:

((جامعة الإمام محمد بن سعود قد تكون أكبر الجامعات الإسلامية في العالم، مقرّها الرئيسي في الرّياض بحجم حيٍّ كبير، مساحته ملايين الأمتار المربّعة، ولها فروعٌ في مختلف المدن السعودية والعديد من عواصم العالم الإسلامي. تمويلها ضخم، وهي تحوي أكثر من عشرين ألف طالب يدرسون الشريعة واختصاصات أخرى، وهي تخرّج العلماء والمختصين بأعداد كبيرة منذ عقود، وتصدّرهم الى مختلف أرجاء الدنيا... نجد في مكتبة الملك فهد عناوين «الرسائل العلمية» (ماجستير ودكتوراه) التي أودعها متخرجو جامعة الإمام بن سعود، وهذه عيّنة (ليست غير تمثيلية) من هذا الإنتاج: «النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية»، «أوجه الشبه بين اليهود والرافضة في العقيدة»، «منهج ابن تيمية في مسألة التكفير»، «النوافض للروافض»، «صب العذاب على من سبّ الأصحاب»، «اليمانيات المسلولة على الرافضة المخذولة»، «الحجج الباهرة في إفحام الطائفة الكافرة الفاجرة»، «بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة وأهل الإلحاد» و«الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة»، الخ...

العناوين المذكورة أعلاه تمثّل بكلّ المقاييس «صفوة» الإنتاج الفكري الوهابي بعد عقود من الثروة والاستثمار المكثّف في التدريس والدعوة. لا حاجة لأن نقارن التعليم الوهابي بما يخرج من باقي الحواضر الإسلامية اليوم، يكفي أن نقارنه بأعمال عمرها ألف عام لمذهب قديم، كالباطنية الإسماعيلية. رسائل إخوان الصفا التي تعود الى القرن العاشر، والتي ينسبها العديد من المؤرخين الى الدعوة الإسماعيلية، كانت بمثابة موسوعة حقيقية، فيها رسائل - لم تصلنا كلّها - في مواضيع تتراوح بين الموسيقى والحِرف والفلسفة والمنطق، مكتوبة بأسلوبٍ سلسٍ وجميل.

يقول المعلّم الراحل عبد العزيز الدوري إنّ إخوان الصفا صمّموا رسائلهم بحيث تتضمّن كل المعلومات التي يحتاج إليها إنسانٌ «مثقّف» في العصر العبّاسي، حتى يكون ملمّاً بقضايا زمنه وعلومه.

لا يجب أن نستغرب انتشار الإلحاد في بلادنا في العقود المقبلة إذا ما طغى الفكر الوهابي على القيروان والأزهر والزيتونة... وصار «الإسلام» يمثّله تيّارٌ لا يرى في إخوان الصفا إلّا «القرامطة والباطنية أهل الإلحاد»).

وعلى الصعيد ذاته نشرت صحيفة الدستور في 2014/6/2 مقالا بعنوان (كتب تكفيرية تزحف للأسواق) نقرأ فيه:

((ليس من المستغرب أردنيا انتشار كتب تكفيرية، إذ ليس "السلاح" وحده من يروج لهذا الفكر الظلامي، يلاحظ من يراقب بدقة سوق الكتاب أن هناك كتبا ومجلات وتسجيلات صوتية "سي دي" تكفيرية تسللت الى السوق الاردني.

ما من شك، أن الترويج للخطاب التكفيري ليس واقعا حديثا، ولكن ما يجبرنا على فتح الملف، ما تمر به دول عديدة في المنطقة العربية من ظروف سياسية أمنية كاشفة وفارقة وصادمة أيضا بكل المقاييس، أوضاع سوداوية تعيشها عدة بلدان وصلت الى "بروفة الفوضى" دمار وقتل وخراب وتقسيم طائفي وعرقي.

ويبدو أن الكتاب بات اليوم "رأس حربة" للترويج للافكار الالغائية والاقصائية والتحريضية للقوى والتيارات التكفيرية في معركتها ضد أعدائها كما تدعي، وان كانت هناك أسلحة أخرى أكثر وأشد فتكا من سلاح الكتاب الذي يستعمله التكفيريون اليوم "بخفة" عالية مقارنة مع انتشار خطابهم على ساحات الاعلام الفضائي والاذاعي والانترنت "شبكات التواصل الاجتماعي".

أكثر ما هو لافت أن هذه الكتب التكفيرية تتسلل الى بسطات بيع الكتب "العشوائية" وفي الاسواق الشعبية، وربما أن البائع لا يقدر قيمة مخاطرها التكفيرية، ولا يعلم محتوى خطابها التكفيري والتحريضي،

مردخاي الياهو: المرجعية الدينية الأولى للتيار الديني القومي في إسرائيل

قبل أيام قريبة صدمني وجود كتاب معروض على بسطة لبيع الكتب في وسط البلد، وهذا الكتاب من أهم الكتب التكفيرية ،لا بل يعتبر مرجعا تنظيريا وفقهيا للفكر الجهادي التكفيري.

الكتاب بشكل أوضح يحمل فكر "جماعة القاعدة" التكفيري، ويحض بصريح القول على قطع الرؤوس، معتبرا أن كل البلدان دار حرب باستثناء تلك التي تحكمها "الشريعة الاسلامية"، ومحاولتي لشراء الكتاب فشلت فعندما عدت بعد أن أحضرت ثمن الكتاب لشرائه، ابلغني تاجر البسطة بانه قد بيع، ولا أعرف ليد من وصل هذا الكتاب.

كتب اخرى للافتاء الجهادي تقل أهميتها عن الكتاب السابق الذكر، تنتشر أيضا بشكل لافت، وتباع بالعلن علما بان محتواها القيمي تحريضي وتكفيري، ويبدو أنها لم تمر على "عين الرقيب" المزودة بمجسات رشيدة وحكيمة تحمي العقل الاردني من ملوثات خطاب التكفير والتطرف الديني.

المسألة يبدو أنها بحاجة الى تحقيق واستقصاء أعمق، لأن غزو هذه الكتب ليس عاديا ولا بريئا، وواضح أنه موجه بتدبير لنشر ذلك الخطاب التكفيري الذي تحمله سياسيا جماعات «قتالية « راعية لهذا الفكر المتأجج بالكراهية والعدائية والاقصاء للاخر، تنتشر في عدة بلدان في المنطقة، وتقاتل بشراسة لنشره على أرض الواقع.

في الظاهر، فان المسألة لا تتوقف هنا، فحتى كتب الفتاوى والارشاد والتوعية الدينية التي تغزو دور الكتب والمكتبات، ويزداد الاقبال على شرائها بشكل لافت، حتى أن بعض المكتبات تؤكد أن مبيعاتها في بعض الايام تنحصر على هذا النوع من الكتب، لا بد أن يسلط مزيدا من المتابعة والمراقبة لمضامينها)).

ولم يقتصر الامر على خطابات الطبقة "المثقفة" وانتاجاتهم "الثقافية" الداعمة للتطرف، وانما خاض تأجيج التطرف الديني قبلهم شخصيات اضفوا على انفسهم صفة علماء الدين ليمثلوا رموزا دينية تتأثر بفتاواها شرائح واسعة من عامة الشعب.

وكعيّنة على هؤلاء وما ينتج عنهم من فتاوى تكفيرية، نقرأ ما نشرته صحيفة النهار الجديد في 2014/1/17 تقريرا بعنوان (فتاوى يهودية: لا مانع من قتل مليون فلسطيني) ورد فيه:

((أصدر رجال دين يهود عدة فتاوى تبارك ما يقوم به الجيش الإسرائيلي من أعمال قتل في غزة، وتبيح وتبرر له قتل النساء والأطفال كـ"عقاب جماعي للأعداء".

واعتبر أحد الحاخامات اليهود أنه لا مشكلة في القضاء على الفلسطينيين في القطاع حتى لو قتل منهم مليونا أو أكثر.

وبعث الحاخام «مردخاي الياهو» الذي يعتبر المرجعية الدينية الأولى للتيار الديني القومي في إسرائيل رسالة إلى رئيس الوزراء ايهود أولمرت وكل قادة إسرائيل ضمن نشرة «عالم صغير»، وهي عبارة عن كتيب أسبوعي يتم توزيعه في المعابد اليهودية كل يوم جمعة، ذكر فيها قصة المجزرة التي تعرض لها شكيم ابن حمور والتي وردت في سفر التكوين كدليل على النصوص التوراتية التي تبيح لليهود فكرة العقاب الجماعي لأعدائهم وفقا لأخلاقيات الحرب.

وقال إلياهو، الذي شغل في الماضي منصب الحاخام الشرقي الأكبر لإسرائيل، «إن هذا المعيار نفسه يمكن تطبيقه على ما حدث في غزة، حيث يتحمل، حسبه، جميع سكانها المسؤولية لأنهم لم يفعلوا شيئا من شأنه وقف إطلاق صواريخ القسام». وفي هذا

الإطار، دعا الحاخام مردخاي رئيس الوزراء الإسرائيلي إلى مواصلة شن الحملة العسكرية على غزة، معتبرا أن «المس بالمواطنين الفلسطينيين الأبرياء أمر شرعي». وقال صاحب الفتوى الدموية أنه في الوقت الذي يمكن فيه إلحاق العقاب الجماعي بسكان غزة عقابًا على أخطاء الأفراد فإنه محرم تعريض حياة اليهود في سديروت أو حياة جنود الجيش الإسرائيلي للخطر، خوفا من إصابة أو قتل غير المقاتلين الفلسطينيين الذين يعيشون في غزة». وكانت صحيفة «هآرتس» العبرية قد نشرت فتوى لعدد من حاخامات اليهود في إسرائيل أفتوا فيها بأنه «يتوجب على اليهود تطبيق حكم التوراة الذي نزل في قوم عملاق على الفلسطينيين»، ونقلت الصحيفة عن الحاخام يسرائيل روزين وهو رئيس معهد تسوميت وأحد أهم مرجعيات الإفتاء اليهود، فتواه التي سبق أن أصدرها في السادس والعشرين من مارس من العام الماضي بأنه «يتوجب تطبيق حكم عملاق على كل من يحمل كراهية إسرائيل في نفسه». وأضاف روزين بأن «حكم التوراة ينص على قتل الرجال والأطفال وحتى الرضع والنساء والعجائز، وحتى سحق البهائم»، مشيرًا إلى أن «قوم عملاق كانوا يعيشون في أرض فلسطين وكانت تحركاتهم تصل حتى حدود مصر الشمالية، لكن العماليق شنوا هجمات على مؤخرة قوافل بني إسرائيل بقيادة النبي موسى عليه السلام عندما خرجوا من مصر واتجهوا نحو فلسطين». أما الحاخام الأكبر لمدينة صفد شلوموا إلياهو، فقال في سياق الفتاوى اليهودية التي تجير استباحة ما يحدث من جرائم وترويع، «إذا قتلنا 100 دون أن يتوقفوا عن ذلك فلا بد أن نقتل منهم ألفًا، وإذا قتلنا منهم 1000 دون أن يتوقفوا فلنقتل منهم 10 آلاف، وعلينا أن نستمر في قتلهم حتى لو بلغ عدد قتلاهم مليون قتيل، وأن نستمر في القتل مهما استغرق ذلك من وقت» وأضاف إلياهو قائلا «المزامير تقول: سوف أواصل مطاردة أعدائي والقبض عليهم ولن أتوقف حتى القضاء عليهم». وقد صادق عدة حاخامات على فتوى تسمح للجيش الإسرائيلي بقصف مناطق سكنية في قطاع غزة، مشيرين أنه على الجيش قصف المناطق المدنية التي تطلق منها الصواريخ في غزة»، ومن بين الحاخامات الذين صادقوا على الفتوى الحاخام الأكبر لحزب شاس الديني المتشدد عوفاديا يوسف، فيما أفتى الحاخام «آفي رونتسكي» بأن أحكام التوراة تبيح قصف البيوت الفلسطينية من الجو على من فيها، ولا يجب الاكتفاء بقصف مناطق إطلاق الصواريخ، فالواقع يلزم بضبط الناشطين وهم في فراشهم وفي بيوتهم».

ومن الطريف ان نقف هنا عند مقال بعنوان(كلنا داعش) للكاتب هاني نقشبندي نشره موقع ايلاف بتاريخ 2014/7/14 جاء فيه: ((ان التطرف غالبا ما يكون انعكاسا لرفض واقع ما، أو عدم القدرة على التعايش معه او محاربته: غياب العدالة، الظلم، إنعدام المساواة، كلها سمات أصيلة في مجتمعاتنا، وهي كلها مجتمعة او متفرقة تخرج الإنسان من عقله ودينه وثيابه، ومع انعدام الحيلة في مقاومة كل ذلك يكون التطرف هو الحل.

نحن نرى صور القتل والهدم الذي تقوم به داعش، لكن ماذا لو استطعنا رؤية صور بعض ما تقوم به الأنظمة العربية تجاه شعوبها؟ لماذا لا نصور كيف يعامل المواطن العربي في دائرة حكومية؟

لماذا لا نصور كيف يعيش الملايين على فتات خمسة او عشرة رجال فاسدين يسيطرون على مقادير الأمة وثرواتها؟

أنا لا أبحث عن مبرر للتطرف، ولا أتعاطف معه، لكن كي استطيع رؤية طريقي وسط الدخان علي أن اعرف أين اقف، وما الذي يدور، وأين هو مصدر النار؟

لكن.. إن كانت الأنظمة السياسية تتحمل وزرا كبيرا، فيبقى الذنب الأكبر من نصيب الشعوب نفسها.

فالتطرف لم يأت من أمريكا او جبال الأنديز

او القطب الجنوبي. التطرف أتى منا وفينا وعلى ارضنا. وسواء عملت الأنظمة عمدا او خطأ على نمو هذا التطرف، فذلك لا ينفي مسؤولية الشعوب في تغذيته.

في السعودية، هناك شيوخ ما يزالون يفتون بأن الضحك يميت القلب، وبأن الثوب الطويل حرام، وكافر هو من حلق ذقنه. ما نقول عن هؤلاء.. أليسوا هم داعش في ثياب متنكرة؟

ما نقول عن هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي ما تزال، رغم كل جهود كبح جماحها، تفرض قوانينها على طريقة لبس ثيابنا، أليست هي ذات طريقة داعش وأفكارها؟

في مصر، هناك شيوخ يفتون بقتل وسجن كل من يجتهد في تفسير نص ديني، أليس هؤلاء داعش في صورة أخرى؟

في كل بلد اسلامي، ستجد مئات من أصحاب العمائم الذين يحملون فكرا متشددا، ويؤيدهم الملايين من العامة والبسطاء وغير البسطاء. يكفرون غير المسلمين، ويدعون عليهم، ويطالبون بعودة امجاد الأمة الإسلامية، وتطبيق شرع اللّه، واسترداد ما ضاع من الأمة، أليس ذلك كله ما تدعو إليه داعش؟!

داعش الكبيرة تعلم ان هناك داعش صغيرة داخل معظمنا. الأولى تقاتل وتقتل، والثانية تبارك في صمت.

لقد فقدت الشعوب العربية والإسلامية آمالها في المستقبل، لذلك هي تطالب بالماضي. هي وحدها بين الأمم من يطالب بعودة الماضي. وداعش عرفت ذلك وشرعت تردد آآآآآآآآآآآه يا زمان يا زمان.

نعم.. الأنظمة العربية تتحمل الوزر، لكن الشعوب تتحمل الوزر الأكبر. فهي فوق ما تبطنه من تشدد، تبطن قدرا عظيما من الخوف في مواجهة إخفاقات أنظمتها في صنع نصر واحد. وهي عوضا عن المواجهة، تفضل الغمز واللمز ونقد خائف متردد ومضحك للحكومة والسلطان)).

وعلى الوتيرة نفسها نقرأ ما نشره المركز العربي للدراسات المستقبلية تحت عنوان(نعم... نحن "داعش") بتاريخ 2014/8/26 جاء فيه:

((لم أتوقف يوما عن التحذير من قدوم «داعش» أو ما يماثلها، فعلت ذلك لعشرين عاما، وطالبت بحظر الجمعيات المسماة بالخيرية، وبتعديل المناهج وإسكات المتطرفين من الدعاة، وبمراقبة مدارس التحفيظ وتجريم من يحارب في الخارج وغير ذلك، ولكن لم يستمع أو يلتفت أحد الى ما كتبت، فقد كانت الأمة بكاملها، إلا بضعة مستنيرين، ضد ما كتبت، او على الأقل على غير اتفاق مع «مبالغاتي» فالدعاة لا يريدون غير الخير للمسلمين، وماذا عن غيرهم؟ وبالتالي استمرت الحكومة، ومعها الشعب المغلوب على أمره، وحتى لحظة كتابة هذا المقال، بالتغاضي عن حقيقة خطورة الحركات الدينية على النسيج الاجتماعي وعلى أمن الوطن ككل. ولم تكتف الحكومة بذلك، بل استمرت في غض النظر عن كل مخالفات الجمعيات في جمع الأموال.

وبالتالي يحق لنا القول إن من خلق «داعش» ليست المخابرات الغربية، بل سذاجة الأمة وجهل معظم حكوماتها، فمجرمو «داعش» بعيدا عن قضية المؤامرة، يتصرفون وفقا لفهمهم للدين، الذي كان ضمن ما درس لهم في مدارسنا على مدى عقود، والذي لم يكن يسمى إرهابا، والدليل أنه حتى اقل القوى الدينية السياسية تطرفا، لم تستنكر أفعال «داعش» من منطلق عدم صحتها، بل من طريقتها وتوقيتها.

وكتب الزميل سعد بن طفلة، وهو ما سبق أن رددناه على مدى عقدين قائلا: إن «داعش» تعلمت في مدارسنا وصلّت في مساجدنا، واستمعت لإعلامنا، وتسمّرت أمام فضائياتنا، وأنصتت لمنابرنا، ونهلت من كتبنا، وأصغت لمراجعنا، وأطاعوا

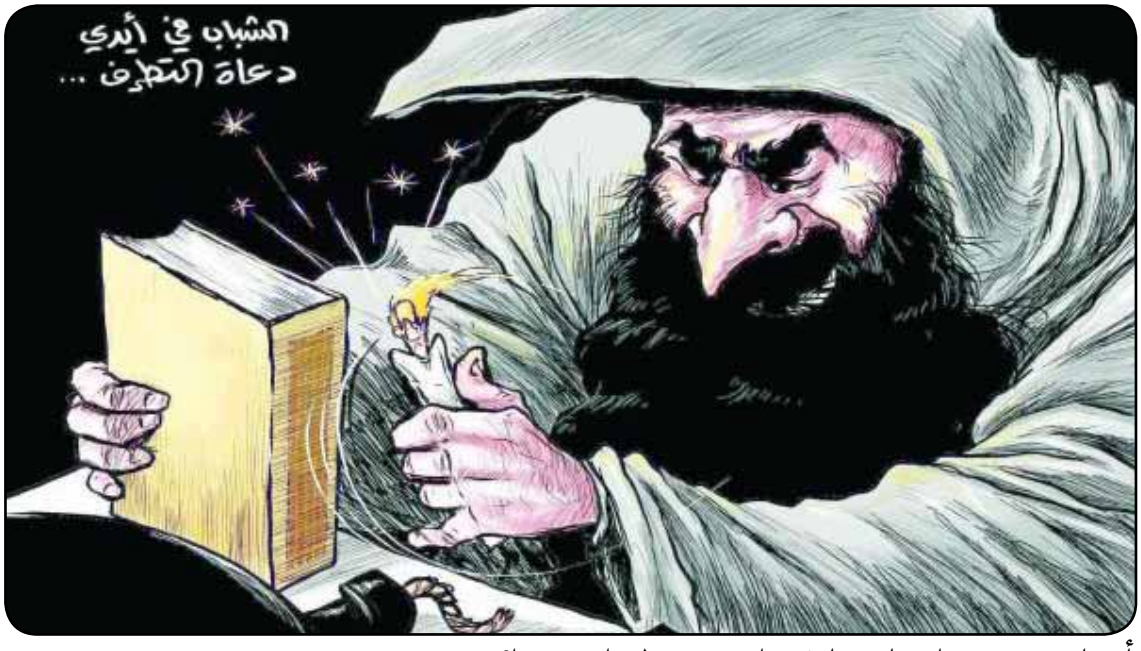


أمراءهم بيننـــا، واتبعوا فتـــاوى من لدنا. هذه الحقيقة التي لا نستطيع إنكارها، وهي لم تـــأت من كوكب آخر، ولا هي بخريجة مدارس الغرب الكافر أو الشرق الغابر، وإن كان بعضهم يحمـــل جنسية كافرة، ولكن تعبئتهـــم الفكرية والدمويـــة أتت من بعض مشايخنـــا وأغلب مناهجنا ومناهلنا الدينية السياسيـــة، وجغرافية مناهجنـــا ترسم لهم خرائـــط الوهم عن أمة كانـــت لا تعترف بحـــدود جغرافية ولا واقعية سياسية، فلماذا نستغـــرب إزالتهم للحـــدود وعدم اعترافهم بها؟

لا يهمهـــم المستقبل ولا يستقرئون خرائطه وتوقعاته بشكل علمي، فلقد اختصر له بعض أصحـــاب الفتاوى أن تفجـــير نفسه بالكفار ســـوف تختزل له المستقبـــل وتطير به في أحضان الحور. فلماذا نتعجب من معاملتهم للمسيحيين وفرض الجزية عليهم؟ أوليس هذا قانون البعض؟ وهل هناك بين وسطيينا من ينكـــر ما قامـــوا بفعله ضـــد مسيحيي الموصل من حيث المبـــدأ؟ أم أنهم ينكرون ذلك من حيث التوقيت؟)).

## ثالثا: عوامل اجتماعية تغذي التطرف

هنالك عوامل خاصة ترتبـــط بالممارسات والعلاقات الاجتماعيـــة تؤدي الى نمو حالة التطـــرف الديني في المجتمـــع وبخاصة بين طبقتي الاطفـــال والمراهقـــين باعتبارهم الوقود الذي تستتخدمه الجماعات المتطرفة لاحراق "الاخضر واليابس" الذي يقف في طريقها.

ويشـــترك في انماء هـــذه العوامل ظروف اجتماعيـــة يعيشها الافراد، تتعلق بالتربية والتعليم والحالـــة النفسية التـــي يعيشونها داخل مجتمعهم.

وفي هـــذا المجـــال من المفيـــد ان نقرأ ما نشرته صحيفة الخليج بتاريخ 2014/7/9 تحت عنوان(سيكولوجيـــة الإرهابي . . من إنسان إلى آلة للقتل) جاء فيه:

((انتشرت منظمـــات الإرهاب في العالم، خاصـــة في العالم العربي، بصـــورة وبائية . ووجد المختصـــون أن متابعة هذه الظاهرة مـــن ناحيـــة عملياتها الإرهابيـــة، أصبحت تحتـــاج إلى البحث في ناحيـــة أخرى، وهي الاستعانة بعلـــم النفـــس السياسي والجنائي لتشخيص طبيعة الأشخاص الذين يتوجهون إلى هـــذه الممارسات التـــي تدفعهم إلى قتل الآخرين، وربما قتل أنفسهم انتحاراً .

وبرزت ضمن جهود التشخيص، دراسة عنوانها "سيكولوجية إرهابيي القاعدة"، أعدها العالم النفسي د .مارك ساغمان، معتمداً على 18 مرجعاً علمياً، ولما كانت الأغلبية العظمى من المنظمات الإرهابية ترتبط بالقاعدة بصورة أو أخرى، فقد اعتبرت المعايير التي توصلت إليها هذه الدراسة، تنطبق على هذه المنظمات جميعاً، والتي رصدت عدداً من الدوافع وراء تشكيل عقلية الإرهابي، ودوافعه .

وكان اللجوء إلى التشخيص النفسي، مدفوعاً باعتبار السلوك الإرهابي، منشقاً عن سلوكيات الإنسان الطبيعي . وقد التقى واضعو هذه الدراسة، نوعيات من الإرهابيين، بعضهم ممن انشقوا عن هذه المنظمات، والبعض الآخر من الذين اعتقلوا ونقلوا إلى قاعدة غوانتانامو .

كان هناك اعتقاد قديم بأن الذين يمارسون الإرهاب، يعوضون عقدة في ماضيهم، لكونهم من عائلات فقيرة أو معدمة، أو أن منهم من هو جاهل وليست أمامه فرصة، أو مهارات لتحسين مستواه المعيشي، أو أنهم من ضعاف العقول، الذين يسهل تعريضهم لغسل المخ، أو من هو مريض عقلياً، ومصاب باضطراب في الشخصية .

لكن الدراسة الجديدة، سعت للخروج عن نطاق هذه الأحكام، بعد أن ظهر خلال السنوات القليلة الماضية، أن معظم الإرهابيين لم يأتوا من دول فقيرة للغاية مثل أفغانستان، وأن معظمهم قدموا من دول عربية، وبعضهم من طبقات متوسطة، وبينهم متعلمون، دارسون للهندسة، والطب، والكمبيوتر، والتجارة .

لقد كان التفسير القائم على أن الإرهاب نابع من مرض عقلي، أو غريزة فطرية تحرك الشخص للجريمة سببه أن الأشخاص الطبيعيين لا يقتلون الناس، عمداً، أو عشوائياً، وإن تصرفات الإرهابيين، تبرهن على أنهم معادون لمجتمعاتهم .

لكن الأبحاث التي استمرت لسنوات طوال استبعدت إصابة الإرهابي بمرض عقلي، بل إنه واع تماماً لما يفعله. وأظهرت الأبحاث أن الإرهابيين بصفة عامة تجمعهم عناصر مشتركة من الشخصية؛ فهم مندفعون في تصرفاتهم بلا ضابط، وعدوانيون بطبيعتهم، ولديهم نهم للإثارة، وهم يسعون وراء هذه الإثارة، ولديهم نزعة الانعزال حتى عن أسرهم، وربما يعود ذلك إلى عقد نفسية نشأت عن معاناة في طفولتهم . ولذلك لا تجد لديهم ولاء نحو آبائهم، وأنهم يصبحون أكثر ارتباطاً بأفراد غرباء عنهم يشعرونهم بأنهم في مركز القيادة منهم، وهو ما يشبع جوعهم للإحساس بأنهم أشخاص لهم أهميتهم .

الدراسة النفسية وجدت أيضاً أن الإرهابيين مصابون باضطراب في الشخصية مرجعه إلى جنون العظمة، وتتفاعل داخلهم مكونات ممتزجة بعضها، من الإحباط، وخيبة الأمل، ويتجه شعور كامل بأن أي شيء يحدث لهم لا يرضيهم .

وبالنسبة للقادمين من طبقات متوسطة، الذين حصلوا على قسط معقول من التعليم، وهم من عائلات متدينة، ونشأوا مؤمنين بالقيم الدينية السامية، والذين يجيدون اللغات الأجنبية، والتعامل مع وسائل التكنولوجيا الحديثة، فقد وجدت الدراسة أن ثلاثة أرباعهم انضموا للمنظمات الإرهابية، عندما ذهبوا للدراسة في الخارج. وهناك بدأت تحتويهم مشاعر الوحدة، والغربة، والحنين للوطن، والشعور بأنهم لا ينتمون إلى المجتمعات التي يتلقون فيها العلم .

وأثناء مرورهم بتلك الحالة النفسية، يلتقون أشخاصاً يقيمون معهم صداقات، ويحاولون التخفيف من مشاعرهم القاسية، لكن هؤلاء الأشخاص يتحركون تجاههم بدوافع ممنهجة تترصدهم وتلتقطهم، لتزيد لديهم فكرة انفصالهم عن كل المجتمعات، حتى التي جاءوا منها، وتقنعهم بأنهم ينتمون إلى عالم آخر يصورونه لهم، على أنه يمثل الدين الصحيح، وبهذا يقيمون لهم جداراً للعداء مع من ينتمون معهم لنفس الدين، طالما أنهم لا ينتمون إلى نفس تنظيمهم، الذي

يتحول في نظرهم إلى أنه قرين للدين ذاته . خلاصة الدراسة القائمة على تشخيص سيكولوجية الإرهابي، وجدت أنه شخص تمت إعادة تشكيل عقليته، باستغلال نقاط ضعف كامنة فيه، وتم تحويله من إنسان طبيعي إلى آلة للقتل . ويتم شحن هذه الآلة بأفكار تجردها من النزعات الفطرية للإنسان، ومن القيم الدينية والأخلاقية، والإنسانية التي يتمتع بها الإنسان الطبيعي. وبهذه الطريقة يصبح عقله مثل كتلة صماء من التفكير المتحجر، الذي انتزعت منه مشاعره الإنسانية نحو وطنه، ومجتمعه، بل وأحياناً نحو عائلته ووالديه)).

وفي دائرة الظواهر الاجتماعية، نجد ان الكبار يلعبون دورا اساسيا في صناعة التطرف لدى الصغار في مجتمعهم، وفي هذا الصدد نقرأ ما نشرته صحيفة الصباح بتاريخ 2014/9/1 تحت عنوان (أطفال ﴿داعش﴾ قنابل متنقلة قد تنفجر في أي زمان ومكان) جاء فيه:

((أصيب المواطنون الاستراليون بالصدمة والذهول مع صدور صحفهم اليومية، في الحادي عشر من آب الماضي، بعد ان نشرت تلك الصحف صورة "داعشية" الطراز لطفل عمره 7 سنوات وهو يحمل رأس واحد ممن جز التنظيم رؤوسهم في سوريا، وكانت الصورة لأحد أبناء خالد شروف اللبناني الأصل المولود قبل 31 سنة في أستراليا، والذي ذاع صيته الدموي في تموز الماضي لكثرة ما ظهر في صور بحسابه في مواقع التواصل وهو يحمل رؤوسا مقطوعة. وفيما أوهم رجل سعودي، طليقته بأنه سيسافر مع طفليه في رحلة سياحية، بينما كان متوجها عبر تركيا، في طريقه لينضم مع طفليه إلى تنظيم "داعش"، كشف جهادي سابق عن قيام "داعش" بتجنيد الأطفال لتنفيذ عمليات انتحارية وإرهابية، وقال نبيل نعيم، مؤسس تنظيم الجهاد سابقاك"إن تنظيم "داعش"يقوم بتجنيد الأطفال لتنفيذ عمليات انتحارية وإرهابية" مستشهدا بفضائية "طيور الجنة" التي تبث أفكارا تخدم هذا التنظيم...

وكانت تقارير قد كشفت في أيار الماضي النقاب عن عمليات تأسيس معسكر "أشبال الزرقاوي" خلال الأشهر الماضية في مدينة الرقة السورية لتدريب الأطفال على القتال.

**أطفال الدم**

وكان خالد شروف، اللبناني الأصل المولود في أستراليا قد بث صورة ثانية، نشرتهما صحيفة "ذي أستراليان" وانتقلت الصورتان منها إلى بقية وسائل الإعلام الأسترالية التي راجعت "العربية نت" بعضها أيضا، وفي المهمة منهما يبدو ابن شروف حاملا رأس أحدى ضحايا أبيه التي بثها في "تويتر" مرفقة بتغريدة قال فيها: "هذا هو ابني" من دون أن يذكر اسمه، حيث بدا الابن ببلوزة صيفية وشورت وعلى رأسه قبعة خضراء، كما وكأنه في نزهة عائلية.

وشرح شروف الذي كان مقيماً مع عائلته في ضاحية بمدينة سيدني الأسترالية، وغادرها مع زوجته وأبنائه للقتال مع "داعش" في سوريا والعراق العام الماضي، أن الصورة تم التقاطها لابنه في مدينة الرقة بالشمال السوري، فيما كانت صورته الثانية مع اثنين مسلحين من أبنائه الثلاثة، وعمر كل منهما تحت الثامنة تقريبا، وخلفهما راية "داعش" وبجانبها الأب متمنطقا برشاشين، في لقطة عائلية وإرهابية بامتياز. والمعروف عن شروف، الذي يستخدم اسم "أبو مصعب الأسترالي" لقبا، أنهم اتهموه بالتخطيط لأعمال إرهابية في أستراليا، وأدانوه واعتقلوه في 2005 وحكم عليه بالسجن لمدة 4 سنوات، ثم أبقوه في خانة المرصودين بالمراقبة الأمنية المشددة وصادروا جوازه ومنعوه من السفر. أما السعودي ناصر الشايق فقد ارسل الى زوجته رسالة قال فيها "احتسبي أبناءك طيوراً في الجنة" كعبارة كان لها وقع الصاعقة على قلب أم الطفلين عبدالله وأحمد الشايق، التي قرأت هذه الكلمات في الرسالة ويعد الطفلان عبدالله وأحمد الشايق، أصغر المنتمين السعوديين إلى "داعش"، فهما لم يكملا المرحلة الابتدائية، إذ إن الأول دون

الـ11 عاماً، فيما يصغره الآخر بعام، لكن ظروفهما العائلية قادتهما للعيش مع والدهما، بعيداً عن والدتهما، وذلك إثر انفصال الوالديـن قبل سبعة أعوام.

**سجل الإدانة**

بدأ سيـل الاتهامـات يأخذ طابعـه الرسمـي في مطلع نيسـان الماضـي مـن العام الحالي عندما إتهـم تنظيم" داعشـ"، جبهـة النصـرة بإستخـدام الأطفـال في المعارك، خصوصـا في المناطق الشرقية بسوريـا. قبل ان تعلن وزارة حقوق الانسان العراقية عن ارتكاب عصابات" داعش" لهذا الجرم الفادح. وبحسب" داعش" فإن أبو ماريا القحطـاني أحد قياديي النصـرة، أوعز إلى مقربين منه بتجنيد الأطفال ممن هم دون السادسة عشرة، بسبـب شراسة هؤلاء في القتال، وتنفيذهم ما يطلب منهم. وكشف التنظيـم أن جبهة النصـرة أوكلت مهام القيـادة في بلدة الرز بمحافظـة دير الزور إلى طفل يبلغ من العمر أربعة عشر عاما، ويدعى عبود سالم الشاهر، الذي يقوم بتوزيع مخصصات ماليـة يتلقاها من الجبهة على عناصره. ولم تنف جبهـة النصرة بشكل رسمي خبر تجنيدها للأطفال، لكن مقربين منها أكدوا على مواقع التواصل الاجتماعي أن الأطفـال الذين يتحـدث عنهم تنظيم" داعشـ"، ابلوا بلاء حسنـا في معارك دير الـزور، وحمص وحلب، وان الجزء الأكبر من القتال كان يقـع على عاتقهم، وتساءل أنصـار الجبهة، "ألا يجنـد تنظيم "داعش" الأطفال، فقـد رأينا العشرات من الأطفال يتدربون في معسكرات أقامها التنظيم على مقربـة من منجم الملـح"، وعلى الصعيد نفسـه كشفت وزارة حقـوق الإنسان، في الثامن مـن آب الماضي أن تنظيم "داعش" يجند أطفالاً فوق سـن 12 سنة ويرسلهم إلى محافظة الانبـار كانتحاريين، فيما أشارت

ناصر الشايق لزوجته:"احتسبي أبناءك طيوراً في الجنة"

إلى أن الانتحاريـين يباعون عبر سلسلة من المراجع عند وصولهم الانبار بأسعار تبدأ من 500 إلى 3000 دولار. وقالـت الـوزارة في بيان صحـافي، إن "عصابـات" داعش" الإرهابية تقـوم بتجنيد الأطفـال فوق سـن 12 سنة وترسلهم إلى محافظة الانبار كانتحاريين"، مبينة أن "التنظيـم يجذب هؤلاء الأطفال عـن طريق شباب يقدمـون لهم المغريات وكذلك يتم غسل أدمغتهم بأفكار تكفيرية تعصبيـة بدعـوى الجهـاد". وأضافـت أن "ارهابيـي التنظيم يسقوهـم عصائر مملوءة بحبـوب الكبسلـة والهلوسة قبـل إرسالهم للتفجير"، وقالـت الوزارة انه "تم إنقاذ احد الشباب من هذه الجريمة النكراء قبل أربعة أيام".

**انتحار بالإكراه**

في أواخر حزيران الماضـي تحدثت تقارير تناقلتهـا وسائل الإعلام عـن قيام عصابات "داعشـ" بتجنيـد أطفـال أبريـاء بعـد اختطافهم، وقالت التقارير ان الطفل محمد( 15 عامـا)، أصيب بالصدمـة، عندما وجد نفسه مجبرا على الوقـوف مع أترابه وسط مسلحـين يرتدون أقنعة سـوداء وهم بصدد قطـع رأس أحد الرجال فيمـا صاح أحدهم وهو يرفع رشاشا من طراز كلاشينكوف "هذا هـو الجهاد في سبيـل اللّه". والطفل محمد هو واحد من 140 طفـلاً كرديا اختطفتهم "داعش" عندما كانـوا على متن حافلاتهم عائدين من امتحانات نهاية السنة الدراسية،

ووفقًا للمرصد السوري لحقوق الإنسان جرت عملية الاختطاف في 29 أيار عندما كان الأطفال عائدين إلى منازلهم في قرية عين العرب من مدرستهم في حلب.

ويتذكر محمد يومه الأول وهو مختطف ويقول إنه بدأ مبكرا جدا عندما كرر مسلحون تحذير جميع الأطفال من قطع رؤوسهم إذا حاولوا الفرار، ثمّ تم تقسيمهم إلى مجموعات من 17 صبيا، كل مجموعة في غرفة، وكان كل يوم يبدأ بصلاة الفجر، حيث تتم إفاقة الأطفال من قبل "شيوخ" يؤمونهم ثم يلقون عليهم دروس "الشريعة" لساعات.

وليلاً، يسلم "الشيوخ" الأطفال لارهابيين يعلمونهم على مدى خمس ساعات أساليب "القتال وتنفيذ العمليات الارهابية الانتحارية"، ويمضي محمد قائلاً: "اذهب إلى عين العرب ولن تعثر على صغار هناك، أخذوا جميع أصدقائي، وأشعر أنني لا أقوى على الابتسام فكل أيامي وكل حياتي كانت مع رفاقي في المدرسة أما الآن فلا يوجد شيء".

وتقول منظمة هيومن رايتس ووتش" إن طبيبا أبلغها أنه عالج صبيا لا يتجاوز عمره 12 عاما، كانت وظيفته عندما كان مختطفا من قبل" داعش"، جلد المحتجزين لديها بالسوط، كما قال أب أحد المختطفين: "إنهم بصدد غسل أدمغتهم، لقد ربينا أطفالنا بالكيفية الملائمة ونخشى أن يؤثر كل هذا في نفسياتهم".

وبخصوص التوقيت الذي يبدأ فيه تكوين وعي الطفل وتنشئته ، دراسات عديدة تؤكد ان العملية المعرفية للطفل تبدأ أولا بالقدوات وبالسلوك المؤثر في المحيطين، ويظهر تأثر الطفل بسلوك الام تحديدا بدءا من عامه الثاني، حينما يردد الكلام، فهذا يكون أكثر تاثيرا لأن كل ما يردده يتعلمه، فيصبح معرفة.

وهذا ما يطبقه "الفكر الإرهابي في التربية"، فالبيئة عامل مؤثر قوي من عوامل التغيير للأفضل أو للأسوأ، ويكون الأمر أكثر صعوبة، إذا كان لدى الطفل أفكار صحية، واتبع الوالدان منهجا سلوكيا صحيحا، يتطور فيه الطفل، وينجز ويستمتع بالحياة.

**غسيل الدماغ**

من جهته، قال سفيان الحلاني في تصريح صحفي تداولته وسائل الإعلام في منتصف تموز الماضي، وهو من أهالي الرقة يعمل بائعا متجولا بعد أن فقد عمله في إحدى شركات المحاسبة: إنه يفضّل أن يدرّس أولاده في المنزل على أن يرسلهم إلى المدارس التي يديرها تنظيم" داعش"، إلا إن الأمر مستحيل كما وصفه الحلاني، فمجموعات "داعش" في الرقة لديها لوائح الطلاب في كل مدارس المنطقة وقد حصلت عليها من الإدارات التعليمية التي سيطرت عليها، وباتت تلاحق الطلاب لتتأكد من التحاقهم في المدارس". ولفت إلى أن الأطفال في المدارس باتوا يخضعون لغسل الأدمغة من خلال المناهج الجديدة التي تطبقها" داعش"، والتي استبدلت المواد العلمية بالدروس القتالية.

وبالفعل، فقد عمدت" داعش" إلى إلغاء مقررات العلوم والأحياء ومناهج التربية الإسلامية والتربية الوطنية والتاريخ والجغرافيا، واستبدلتها بكتب حول شروحات الفكر الجهادي السلفي، فضلا عن مناهج تحفيظ القرآن وشروحه المتطرفة، كما قال المتقاعد في الرقة محمود الأمين في تصريح صحفي.

الشباب المتطرف في الغرب بين سندان الغربة الاجتماعية ومطرقة الدعوات المتطرفة

وأشـــار إلى أن التنظيم "يحرص على تدريب الطلاب علـــى الطاعة العميـــاء للمدرسين ومسؤولي وأمراء داعش".

وغالبا ما يتم اختيار مجموعات من الطلاب لإخضاعهم لدورات عسكرية تدريبية، حيث يجرى إلحاق المميزين منهم بالمجموعات الارهابيـــة والتعلم علـــى استعمـــال السلاح وإطلاق النار، بحسب الأمين.

وأضـــاف، "أما العلوم ومواد الحساب فتدرس لبعض الطلاب فقط كجـــزء من التدريب العسكري لمساعدتهم على تحديد المناطق والتعامل مع الصواريخ وغيرها".

ولفت الأمين إلى أن مقاربة" داعش" للتعليم طالت الزي المدرسي التقليدي ليحل مكانه الـــزي الشرعي، وهو عبـــارة عن الحجاب للطالبـــات والمعلمـــات وزي شبيـــه بالزي الأفغاني للطلاب والمدرسين.

كذلك منع الاختلاط وألغيت جميع العطل الرسميـــة والدينيـــة التـــي كان معمولا بها سابقـــا، وعدلت العطلة الأسبوعية من يومي الجمعة والسبت إلى يومي الخميس والجمعة.

وأعـــرب الأمين عـــن قلقه مـــن أن تشكل سيطرة" داعش "على المؤسسات التعليمية "خطرا حقيقيا على مستقبـــل السوريين".

وقال، "تحولـــت المؤسســـات التعليمية إلى مراكز لغسل أدمغة الأطفال الصغار لتجعل منهـــم قنابل موقوتة متنقلـــة قد تنفجر في أي زمـــان ومكان". واختـــبر طالب الطب في جامعـــة دمشق نور الدين الجمّال بشكل مباشر كيـــف تؤثر عمليـــة غسل العقول علـــى الأطفال. وأكـــد الجمّال المتطوع في أحـــد مستشفيـــات دير الـــزور الميدانية، أنهـــم كثيرا ما يستقبلون في المستشفيات الميدانية والمراكز الصحية أطفالا مصابين بطلقات نارية أو بشظايا قذائف مدفعية)).

أما طبقـــة المراهقين فلديهم اسباب لا تقل اهمية عن اسباب الاطفال في انتشار ظاهرة التطـــرف بين اوساطهـــم، وفي هذا المجال نقرأ ما نشره موقع الملف بتاريخ 2014/10/14 تحت عنـــوان (حروب الأديـــان.. وحروب التحرير) جاء فيه:

((ليس بالضرورة أن ينمو العنف والإرهاب في بلدان فقـــيرة تسودها الأمية والتخلف، فقـــد انتشـــرت ثقافـــة النازيـــة والفاشية، وعقلية «الكاميـــكاز» في بلدان ذات دساتير ونظـــم وانتخابات حرة، وفي ظـــل العقلية القومية التي ترى نفسها متطورة عرقياً عن الأجناس الأخرى كانت سبباً لقيام الحروب الكبرى وما تلاها من أزمات..

الآن، وفي المنطقة العربية غربها وشرقها، تنشأ حـــروب صغيرة ولكنها أخذت الاتجاه الأممي باستقطابهـــا عناصر من وسط بيئة الـــدول الديمقراطيـــة في أوروبـــا وأمريكا، وكذلك الـــدول الإسلامية وغيرها، لكن ما هي مغريـــات شاب أوروبـــي أو شابة يعيش حياة مستقرة للذهاب إلى مراكز الحروب والانتظام مع داعش وقبلها القاعدة، وما هي المخاطر من أن يتحـــول أولئك الأفراد إلى جماعات إرهابية في داخل تلك الدول، ونواة لتطرف بدوافع ذاتية أو ظروف الفوارق التي تقسم أو تفصل بين المواطن الأصلي، والآخر الذي حصل على الجنسية ولكنه لم يندمج في وطن الغربة؟

المراهق مـــن الجنسين، ومـــن تستهويهم المغامرة والبطولة، هما مركز الاستقطاب لهـــذه الفئـــات لانعـــدام الشعـــور بالخوف، وليس بالضرورة أن يكونوا مقتنعين بالفكر التكفيري والإرهابـــي، لكن عملية أن نرى من داخل العمليات التي تجري على الأرض نحر مـــن يقبضـــون عليهم مـــن أوروبيين وأمريكيـــين بدعـــوى التجسس للعـــدو، أو الكفـــر، في حين تنخـــرط عناصر أخرى من نفســـ تلـــك البلـــدان، إن لم تقم بجز الرؤوس وإظهارها مصورة، فهي تقوم بأدوار مماثلة، وربما ليس بأعمار المراهقين وإنما هم محترفو حرب وقتـــال قيل إنهم تدربوا في بلدانهـــم، وحالات استقطـــاب العناصر المتطرفـــة التي جـــرت في أفغانستان، ثم العراق وسورية، أيضـــاً جذبت قوى مماثلة للصومـــال، و«بوكوحـــرام» في نيجيريـــا والشيشـــان وغيرها، فهـــل البيئة العالمية بمختلـــف نزعاتها ونظمها لديهـــا قابليات

نشوء أو الانخراط في تلك التنظيمات؟
قاتلت شعوب كثيرة من أجل استقلالها أو دفع الاحتلال عنها، ولكننا لا نجد التماثل الحقيقي بين حرب فيتنام التي تعد من الحروب الكبرى في صد أكبر جيش عالمي، وما جرى في أفغانستان، فالأولى تعد حرب تحرير، والأخرى حرباً مقدسة رغم أن البلدين هزما أكبر قوتين في ذلك التاريخ، لكن النتائج مختلفة..
فالفيتناميون تفرغوا لبناء وطنهم بعيداً عن تعميم ثورتهم أو نقلها للخارج في حين أن الأفغان أكدوها حرب أديان وكفر وإيمان، وظهر تعميم فكر طالبان والقاعدة اللذين ولّدا تنظيمات إرهابية أخرى اقتحمت معظم الدول الإسلامية وانتقلت لغيرها، والاستثناء بين التطرف الديني، وغيره، أن ثورة كوبا هي الوحيدة التي حاولت نقل تجربتها لبلدان أمريكا الجنوبية وأفريقيا، وتدخل ضمن استراتيجيات صراع القوتين في توسيع نفوذهما العالمي..
الشيوعيون أقاموا قاعدة الصراع على تفاوت الطبقات ومظالمها، والرأسماليون يعتبرونها خيار الحرية في أن تنشأ هذه الرأسمالية، ووسطهما ولدت التطورات الجديدة التي حددت الصراعات، ولكن في بيئات خارج المعسكرين)).
وعلى الصعيد نفسه نشر موقع الملف ايضا مقالا تحت عنوان(غربة «الجهادي» اللامنتمي) بتاريخ 2014/10/14 جاء فيه:
((سخر تشارلي تشابلن من أزمة الرأسمالية العالمية (1929) التي طحنت ملايين العمال البائسين. فقادهم روزفلت وتشرشل من المصانع المتعطلة إلى خنادق الحرب العالمية الثانية. ثم بهر مارلون براندو وجيمس دين العالم الخارج من الحرب، بالتعبير عن الجيل الجديد الغاضب الذي لم يخض الحرب. فقد اكتملت مراهقته في الخمسينات.
مثّل براندو ودين ذلك الجيل اللامنتمي، جيل الغربة عن الآباء المشغولين عن رعاية الأبناء، بالعمل وإعادة إعمار ما دمرته الحرب. وبقي هذان الممثلان الرائعان ذكرى حزينة لدى ملايين الفتيات، للفتى المراهق الغريب الذي ينطلق على «الموتوسيكل» بالجينز الضيّق. والجاكتة الجلدية القصيرة. و«الكاسكيت» المائلة على الرأس.
لكن جيلا شابا أكبر سنا. وأعمق ثقافة، عبّر آنذاك عن غربة اللامنتمي عن السياسة. استعار هذا الجيل من براندو الكلمة الغاضبة بلا صخب. والحافلة بالحيرة. والمرارة. والخيبة، إزاء مثاليات أحزاب اليسار. وفساد أحزاب اليمين...
غير أن الخطر الكبير يكمن في جيل «جهادي» آخر يعيش بيننا ومعنا. هؤلاء الشباب اللامنتمون الذين يتوقون إلى الالتحاق بالتنظيمات «الجهادية»، هم ضحية فشل مرجعيات الإسلام التقليدي في اختراقهم، وفي تفسير فقه الدين الصحيح لهم.
في هجرته من اللحية القصيرة المُشذّبة، إلى اللحية السوداء الكثة، يعبر هذا الجيل بشكله وهندامه عن إخفاق الإسلام السياسي و«الإخواني» في استيعابه وإرضائه. فقد فشل «إخوان» مصر. وتونس. والأردن. وغزة. وتركيا، في إدارة السياسة. والمشاركة في السلطة. وممارسة المعارضة. وفي عدم قدرتهم على حسم موقف إسلامهم من الحرية. والديمقراطية. وعدم إدراكهم أين حدود الأصالة. وأين حدود ثقافة الحداثة. وما بعد الحداثة.
بل لنكن أكثر صراحة مع أنفسنا. فقد أخفق مجتمعنا، في اكتشاف هذا الجيل «الجهادي» اللامنتمي، والاقتراب منه. والتواصل معه. والتعرف على مشاكله باكرا، في غربته عن الآباء. والمدرسة. والجامعة. والمسجد. تركنا هؤلاء الشباب قبل أن يستكملوا موقفهم الفكري. الثقافي. السياسي، لتحتضنهم فئة معينة من «فقهاء» الدين.
هؤلاء «الفقهاء» هم أيضا لم يستكملوا الدراسة العلمية للفقه الديني. فقد رفضوا التفسير

الفقهي التقليدي والرسمي. وتوقفوا عند مرحلة فقهية محدودة. عند فقه عصابي. جهادي متزمت، غير ملائم لتجييش العرب والمسلمين، في مرحلة انتقالية كان هدفها سد الهوة بين النقل، والإبداع العلمي والابتكار التقني.

في إدراكنا المتأخر لخطر المرحلة «الجهادية» المتوسعة، توجهنا أمنيا إلى مكافحة «الجهادي» المتشدد. المنتمي. المقاتل. وأهملنا أمنيا وفقهيا هذه الشرائح الفقهية العصابية. فنجحت في الوصول إلى الجيل «الجهادي» اللامنتمي، في دول ومجتمعات العالمين العربي والإسلامي...

في مقاتلة «الجهادي» المنتمي، وفي إحكام وتنسيق الرقابة الأمنية العربية - الغربية على «الجهادي» المنتمي، حدث تناقض صارخ بين ضرورات الأمن العالمي، ومبادئ حقوق الإنسان. فقد لجأت روسيا. وأميركا. وأوروبا، إلى استصدار قرار دولي مشترك من مجلس الأمن، يلزم الدول كافة (بموجب البند السابع من ميثاق الأمم المتحدة) بتقييد حرية الانتقال والسفر أمام المشتبه بكونهم من «الجهاديين» اللامنتمين. ومعاقبة من يمولهم ويدربهم.

القرار يظهر مدى ذبذبة القانون الدولي. وقصوره في فرض عدالة دولية متوازنة. حضر أوباما جلسة القرار، كدلالة على الرغبة الغربية الجارفة، بالثأر والانتقام العاطفي من «ثقافة» قطع الرؤوس. ودافعت روسيا عن القرار. فهو يضفي نوعا من الشرعية على ملاحقتها رؤوس «الجهاديين» الشيشان والداغستان، فيما استخدمت «الفيتو» ضد الملاحقة الدولية لنظام بشار الذي فتك. واعتقل. وعذب نصف مليون إنسان. مهارة «الجهادي» المنتمي واللامنتمي، في الاستخدام الدعائي لتقنيات الثورة الإلكترونية (الإنترنت. والفيديو)، لم تبدد سذاجة الفهم السياسي لدى «الجهاديين». فقد أثارت وحشية «الجهادي» المنتمي العرب والعالم ضد قطع الرؤوس. وإعدام الأسرى. وإلغاء السياسة. وحجب الحرية والعدالة عن المدنيين، إلى أي دين ومذهب انتموا...

في هذه المتاهة بلا نهاية، أعتقد أني عثرت على عمل ومهمة لدراويش المعارضة السورية «المعتصمين» في فنادق إسطنبول التركية. وأناشد ذمتهم الوطنية، التحرك لأدائها بهمتهم في التنافس أمام شاشات التلفزيونات، للتكهن بحلول وتسويات «انكشارية» للكارثة السورية.

طبعا، لا أريد للمعارضة السياسية السورية أن تنزل إلى داخل سوريا لاستعادة 10 ملايين نازح سوري من «الدعوشة». أخاف على وجهاء المعارضة من «ثقافة» قطع الرؤوس لا سمح الله. لكن باستطاعتهم التوجه برؤوس سالمة إلى مخيمات النازحين السوريين في الدول المجاورة (4 ملايين نازح)، لغسل أدمغة «الجهاديين» اللامنتمين الذين يتصورون أن الدولة الداعشية هي الحلم الفردوسي للإقامة فيها)).

على الشاكلة ذاتها، يأتي مقال لصحيفة الاهرام بعنوان (علاقة «داعش» بسينما هوليوود والمقاتلين الأجانب) ليؤكد على اهمية الوضع الاجتماعي وعلاقته بنمو التطرف بين فئات عديدة من المواطنين - وبخاصة الشباب- ويفسر بذلك جانبا من الاسباب التي ادت الى التحاق العديد من الافراد بالجماعات المتطرفة بعد ان كانوا يعيشون بين احضان البلدان الغربية، فيقول:

((على نهج داعش وغيرها، هرب اليها الوافدون الجدد من كل بلدان العالم من دولهم القومية القديمة حيث عانوا من اضطهاد الدولة الأم لهم دينيا واجتماعيا وثقافيا واقتصاديا، ليؤسسوا الدولة الافتراضية رغم انعدام مكونات الدولة المدنية الحديثة في عوالمهم الجديدة. فحدود الدولة الإسلامية تائهة المعالم ووهمية وبلا خطوط مرسومة، وترتبط فقط بعالم شبكات التواصل الاجتماعي والانترنت .. ولكن مع فرض نمط حياة قبلية قديمة نسيها العالم منذ عشرات السنين إن لم يكن مئات

السنين.
ربما كان الظلم والاضطهاد هو الدافع وراء انسياق الوافدين الجديد من أوروبا وأمريكا واستراليا وكندا الى عالم الدولة الإسلامية الوهمية أو دولة داعش الجديدة في المنطقة، فهؤلاء عانوا مرارة الوحدة والقهر النفسي وعدم التواصل الاجتماعي مع مواطنيهم في بلدانهم التي ولدوا ونشأوا بها، فهربوا الى عالم افتراضي جديد لا يربطهم به سوى ما يحملونه من الرابط الديني، فالإسلام كديانة يجمع بينهم. وإذا كان الدين هو سبب رئيسي لتعرض هؤلاء لاضطهاد في بلدانهم الإصلية، يعد في ذات الوقت الحافز القوى لتركهم بلادهم والهجرة نحو الدولة الداعشية، ليمنحهم الانضمام إليها صفة المسلم في بلاد الإسلام ولتكون لهم الأولوية في العيش والحياة والحصول على كينونة افتقدوها في الغرب، حتى لو التصقت بهم الآن صفة "الإرهابي" فهذا لا يهم طالما كان العيش بجانب مسلمين في دولة جديدة تترعرع في المنطقة، وبالتالي فهو يجارى أفكارها المتطرفة حتى وإن كانت تدعو الى قتل الغريب أو الاجنبى وربما كان المغدور به جارا لهذا الإرهابى الوافد أو قريبه)).

## رابعا: فشل أنظمة الحكم في ترسيخ المواطنة:

ان أي دولة تخضع لسلطة فاشلة لا بد ان تشهد نشاط افراد متمردين يطمحون الى تغيير هذه السلطة او على الاقل تعديل منهجها وفقا لما يرغبون به، سواء من الناحية السياسية أم الاقتصادية أم الاجتماعية أم الايدلوجية.
والجماعات المتطرفة دينيا لا تشذ عن هذه القاعدة بكل تأكيد، لذا يؤكد الباحث محمد برهومه في مقاله الموسوم (عوامل صعود السلفية الجهادية فى بلاد الشام) -الذي نشرته مجلة السياسة الدولية- ان احد الاسباب المهمة لصعود التطرف هو فشل السلطة وتراجع هيبة الدولة، ويتخذ من صعود التطرف في البلاد العربية انموذجا لتأكيد هذا الامر فيقول:
((كانت أفكار سيد قطب الذي أسهم بشكل واسع في وضع البني التنظيرية الأولى للفكر السلفي الجهادي والجماعات الإسلاموية متاحة منذ منتصف القرن الماضي في أغلب البلدان العربية، وظلت كامنة في عقول شرائح مختلفة من أعضاء الحركات الإسلامية إلى أن وجدت طريقها إلى الاستلهام والتطبيق في بلاد الشام عبر التحرك الذي قاده السوري الإخواني مروان حديد، عقب عصيان مدينة حماة السورية عام 1964، ووجد حديد ورفاقه - بعدما مانع "إخوان" سوريا تنفيذ مطالبه بالعمل المسلح لإسقاط نظام البعث الحاكم في سوريا- ضالته في الانضمام إلى العمل المسلح الذي كانت تتيحه قواعد حركة "فتح" الفلسطينية في الأردن، ضمن ما عرف بـ "قواعد الشيوخ" في غور الأردن (1968 - 1970)، التي كان أبرز وجوهها مدرس الشريعة في الجامعة الأردنية، الدكتورعبد الله عزام، الذي لم يجد في الأردن أو فلسطين بعد أحداث أيلول (سبتمبر) 1970 أي بيئة حاضنة لأفكاره التي شكلت البذور النظرية الأولي للسلفية الجهادية في الأردن، فسافر بها إلى أفغانستان، وصار فيما بعد أحد أهم المنظرين لـ "الجهاد" في أفغانستان، وقاتل فيها وقُتِل.
وكان حديد قد أعد في قواعد "فتح" في الأردن الخلايا الأولى لتنظيمه "الطليعة المقاتلة" الذي كان البذرة الأولى للسلفية الجهادية في سوريا، حيث قاد في عقدي السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي المواجهات المسلحة الأولي مع النظام السوري، وقد انضم إليه لاحقا تنظيم "الإخوان المسلمين" في سوريا، وكانت المواجهة العسكرية بين النظام والتنظيم في أحداث مدينة حماة

الشهيرة عام 1982وحين أراد النظام تجفيف منابع الفكر الجهادي المسلح في سوريا عمد - إلى جانب العمل الأمني- إلى ترسيخ نمط مهادن من "التدين الشامي" غير المعارض، وكانت أفكار محمد سعيد البوطي وجماعة القبيسيات، ورعاية التوجه الصوفي بعضا من روافده الأساسية. لكن هذه الوصفة، في ظل نظام غير ديمقراطي وقمعي، لم تكبح جماح الأفكار الإسلامية الجهادية المتشددة، التي وجدت فيما بعد في غزو العراق عام 2003 مناسبة للإعلان عن نفسها والانطلاق والتحرك، وبرغبة من النظام هذه المرة الذي كان يخشي أن دوره قد يكون قادما بعد العراق، فلجأ إلى إغراق العراق بالجهاديين وتسهيل عبورهم ليقايض واشنطن فيما بعد عليهم في ظل سياسة "مكافحة الإرهاب" التي أبعدت عنه خطر الغزو الأمريكي وأكسبته مزيدا من الشرعية الدولية.

هذا يعني أن فكرة التنظيمات الجهادية المسلحة ترتكز على فشل الدول، وهشاشة المجتمعات، وهي لا تعيش ولا تترعرع في ظل أنظمة معتدلة سياسيا وغير قمعية أو دموية، كما هو الحال في الأردن ولبنان وفلسطين، حيث إن "القاعدة" وأخواتها لا تتبلور رسالتها من خلال "خصومة" سياسية، وهي لا تريد أن تكون "معارضة" بالمفهوم التقليدي للكلمة، بل هي تريد أعداء وكفارا وأشرارا "تشيطنهم" لتقول إنه لا خلاص منهم إلا بقتلهم والعمل العسكري الذي ينال من قوتهم، وهي تنجح في منحاها العنفي المسلح حين تتمكن من توظيف الظروف المعيشية الصعبة في أي بلد (معتدل سياسيا) لإقناع مجنديها بأن الحل لهذه الظروف هو القضاء علي تلك الحكومات التي تتحمل المسئولية عن هذه الظروف بتقنينها للفساد المالي، والإداري، والسياسي، وبارتهانها لشروط الدول الغربية والمؤسسات المالية الدولية وابتعادها عن "تحكيم الشريعة")).

ويستمر الباحث برهومه في سوق الاستنتاجات التي تؤكد على ان فشل الحكومات هو ما يؤدي الى صعود التطرف في بلدانها، متخذا من المجتمعات العربية نموذجا فيقول:

((المجتمعات العربية معتدلة ووسطية في طابعها العام، وهي تأنف التطرف والتشدد والانغلاق الفكري والاجتماعي، واحتضان بعض مناطقها للسلفيين الجهاديين المحليين أو القادمين من الخارج تتحمل مسؤوليته الحكومات التي غيبت الإصلاحات السياسية

والاقتصادية، ورسخت سياسات التهميش والقمع وكبت الحريات وأهدرت الروابط الوطنية الجامعة، وأحيت الهويات الفرعية، بدلا من إرساء المواطنة المتساوية، ودولة القانون والمؤسسات، وتكافؤ الفرص والعدالة الاجتماعية، وشراكة جميع المواطنين في الثروة والسلطة.

وإذ نقدر أن فكر التكفير والعنف المسلح هو فكر "أقلوي" في المجتمعات العربية، دون تقليل من خطر هذه القلة على أمن الأفراد والمجتمعات واستقرار الدول وتقدمها، فإن هذا لا يعني عدم الاعتراف بأن هذا الفكر إنما يستمد قراءته للدين وشؤون الناس من نصوص دينية، وتراث ديني عقيدي وفقهي قد يؤسس للتشدد إذا ما قرئ قراءة مغلقة، لا تعترف بحركة الحياة وتطورها وتخلط بين الدين والتدين، وبين ما هو اجتماعي في التراث الديني، وما هو متعال على الاجتماع في النصوص المقدسة، ويمثل روح الدين ومبادئه الأبدية...

قصارى القول، إن فشل الحكومات العربية في إنتاج مدن عصرية مضمونا، تقوم فيها العلاقات الاجتماعية على المؤسسية، والتعاقدية وتشجيع الهيئات المدنية، وعدم تهميش المجتمع، بجانب حداثة القوميين واليساريين الناقصة نقصا فادحا، والمرتكزة على استبداد سلطوي عميق، إنما يتلاقي مع تدين سياسي واستعراضي، يقدمه "الإخوان المسلمون" مثلا، يقوم على "الشعبوية"، ولا يقيم وزنا كبيرا لحقائق العصر، وأسس العلاقات الدولية .. كل ذلك اجتمع بوعي أو بدونه على إضعاف إنتاج مدن حقيقية تقوم على سيادة القانون، وما يجمع بين أبنائها من روابط مؤسسية، وكأن مدننا تغدو يوما بعد يوم أقل مدينية. وهذه البيئة قد تكون تربة قابلة لاستقبال الأفكار المتشددة والأصوليات على شتى ألوانها. والأصوليات تتماهى في بعض الحالات، مع فئات اجتماعية تتعرض للانحسار، وتعاني التهميش، كما تتماهى في حالات أخرى، مع جماهير مدينية حديثة التشكل، أو، كما هو في وضع أفغانستان بعد 1978، مع جموع ريفية يهددها توسع رقعة السلطة المركزية)).

وفي ختام مقاله، يعرج الباحث برهومة على نقطة جديرة بالتأمل، تتعلق باصل النظرة الى الدين والتدين وعلاقتها الوطيدة بخلق ظاهرة التطرف في المجتمعات أو القضاء عليها فيقول:

((ثمة متفائلون يرون أننا نعيش مرحلة "نهاية محاولات التوظيف السياسي للإسلام"، وأن تصاعد وتنامي نفوذ الحركات الإسلامية المتشددة والمسلحة في المنطقة العربية هو حالة طارئة، وأن الظروف التي تمر بها المجتمعات العربية ظروف استثنائية، وأن الانقسامات والصراعات والحروب هي بيئة عمل الحركات الجهادية، وحالما تعافت هذه المجتمعات سياسيا واقتصاديا، فإن هذا النفوذ المتنامي للجهاديين سينقلب إلى تآكل واضمحلال، لا سيما أن جزءا مهما من الظاهرة السلفية الجهادية "وافد" من خارج المجتمعات المحلية التي تسودها الحروب والصراعات والفوضي، والتي تكون "دولا فاشلة" أو قريبة منها، فضلا عن أن هذه الجماعات المسلحة منقسمة فيما بينها، وعادة ما يحدث أن يقاتل بعضها بعضا في أثناء الحروب والصراعات والأزمات وبعدها.

وإذا صح ذلك، فإنه لا يقلل من خطر الاطمئنان إلى صواب رؤيتنا للدين وموقعه في المجال العام، حيث من المفترض أن اكتشاف عورات الأحزاب الإسلاموية في سوريا والعراق ولبنان ومصر وليبيا والأردن والأراضي الفلسطينية وغيرها، لم يفرز حالة أنضج من التدين، كما لم يصعد جدلا وحوارا عامين حول ضرورات تثقيف التدين. وفي مقابل هذه الرؤية غير المتفائلة والمتحفظة، ثمة من يتبني رؤية ثانية، تقول إن تجربة السنوات الثلاث الماضية من عهد الثورات العربية، من شأنها أن تخلق بذور وعي ديني أكثر نضجا واعتدالا وتسامحا مستفيدة من التجارب التي وضعت الأحزاب السياسية الإسلاموية،

والحـــركات السلفية الجهادية تحت المحك والتجربـــة العملية، مما منـــح المجتمعات مقـــدرة أنضـــج وأكثر جـــرأة وخبرة على مساءلة الظاهرة الدينية، والأفكار الدينية، والناطقين باسم الدين.

الرؤية المتحفظة تعتقد أنه لا مؤشرات في الأفق إلى أن ثمة مناخا من التعقل والتحرر يتوطن حيـــال النظر في الديـــن والتدين، ومجمل النسق القيمـــي والثقافي، بل على العكس يخشـــى أن استمـــرار فشل الثورات علـــى الأنظمـــة الفاسدة الفاشلـــة من شأنه أن يكرس الحالـــة القدرية لدى المجتمعات العربيـــة، ويضعف في وعيهـــا العام أكثر فأكـــثر التعويل علـــى الإرادة الإنسانية في صناعـــة الحياة والمصـــير والمستقبل. هنا يستعـــاد شعار الثورة السورية "ما إلنا غيرك يا اللّه"، في سياق أجواء أشد سلبية وهشاشة، ويغـــدو الدين كملجـــأ نفسي مـــن ويلات الحـــروب والنزاعـــات، ويفيـــض، بالتالي، دوره التنويري في تحريـــر الإرادة الإنسانية واستقلالها. ثـــورات المنطقة، وعلى رأسها السوريـــة، لا يبدو أنهـــا تتغلب على جمود الهياكل العقليـــة والاجتماعية والاقتصادية القائمـــة. والتجربة تقول إن التدين لا ينضج وينتعش ويتحرر ويتعقلن إلا في حالة كسر هذا الجمود)).

## خامسا: توظيف التطرّف الديني لصالح خارجية:

التطـــرف بطبيعته المغلقـــة والمتشددة اذا مـــا برز في بلد من البلدان - بسبب ظروف اشرنا اليها سابقا- لن يلقَ ترحيبا من الوضع الاجتماعي العـــام، ومن ثم فلن يجد لنفسه بيئـــة اجتماعية حاضنة تعمل على استمرار بقائه، لذا سرعان مـــا ينهار امام الظروف الاجتماعية الطبيعية.

وان التنظير الفكري الذي يدعم حركات التطرف لا يكفي باقناع الرأي العام من اجل تهيئـــة بيئة حاضنة له، ومن ثم فان صعوده المفاجـــئ – لو خلي ونفســـه - فسوف يكون مصيره الفناء عاجلا.

ولكـــن يمكن لعوامل خارجيـــة ان تنفخ في ديمومة بقائـــه، وربما تتمكن بطرق ملتوية من خلق بيئة حاضنة له، وكل ذلك يحدث لتحقيـــق غايات تقـــع في مقدمتها تحقيق اهـــداف سياسية واقتصاديـــة وايدلوجية تقع خارج حدود البلدان التـــي تنمو في داخلها ظاهرة التطرف الديني.

### أ- التوظيف السياسي والاقتصادي:

وفي هذا المجال نشر موقع قناة العالم مقالا بعنوان (الجماعـــات التكفيرية .. سلاح ذو حدين) مؤرخ في 2014/9/7 جاء فيه:

((منذ الغـــزو السوفيتـــي لافغانستان بداية ثمانينيـــات القـــرن المنصـــرم، تم في المختـــبرات الامريكيـــة تصنيـــع كائـــن صُمـــم لارباك الجيـــش الاحمـــر واستنزاف قـــواه، دون ان يشـــكل خطراً علـــى امريكا وحليفتيهـــا السعودية وباكستـــان، اللتين ساهمتـــا في عملية التصنيع تلك، فكان هذا الكائن"القاعدة".

بعد هزيمـــة الجيش الاحمـــر السوفيتي في

افغانستان، تم تصنيع، في ذات المختبرات، "نسخة وطنية" افغانية عن القاعدة، الا وهي "طالبان"، لابعاد باقي التنظيمات الجهادية الافغانية عن سدة الحكم في افغانستان، وضمان بقاء هذا البلد في دائرة النفوذ الباكستاني السعودي وبالتالي الامريكي.

نتائج هذه الصناعة الامريكية، ورغم انها جاءت كما اراد مصنعوها، الا انها تحولت الى كارثة حلت بالمنطقة وشعوبها، واصابت شرورها بعض المصالح الامريكية والغربية ومصالح حلفائها في المنطقة ايضا، ومازال العالم يدفع الي اليوم ثمنا باهظا بسبب سياسة تصنيع المجموعات التكفيرية او سياسة تصنيع الضد النوعي.

لايبدو ان الخسائر الجانبية التي تكبدتها امريكا والغرب من صنيعتيها القاعدة وطالبان، والنتائج الكارثية التي حلت بالبلدان العربية والاسلامية بسببهما، قد ردعت امريكا او ردعت حتى حلفائها في الغرب والمنطقة من تكرار تجربة تصنيع مثل هذه التنظيمات التكفيرية، لخدمة مصالحها، حتى وان وضعت مستقبل المنطقة برمتها على كف عفريت.

اليوم ومن اجل ضرب محور المقاومة في المنطقة، تم تصنيع نسخة اكثر طائفية واكثر قسوة وتطرفا من القاعدة وطالبان في المختبرات الامريكية، فكانت هذه النسخة "داعش"، التي أُنتجت خصيصا لتفكيك سوريا ككيان و استنزاف جيشها وتشتيت شعبها، وبالتالي الانقضاض على لبنان وحزب الله.

مر على تصنيع "داعش" اربعة اعوام، تمكن خلالها هذا التنظيم ان يحقق الكثير من الاهداف الامريكية في المنطقة مثل اشغال الجيش السوري واستنزاف قواه، وتدمير

الاقتصاد السوري والبنية التحتية لهذا البلد، وجعل الملايين من ابناء الشعب السوري لاجئين ومشردين، وزرع الفتن الطائفية بين المسلمين، واخراج الكيان الصهيوني من معادلة الصراع، وجعل المسلمين والمسيحيين وباقي الاقليات الاخرى، اعداء يجب القضاء عليهم باي شكل من الاشكال، ونقل الفتن الطائفية الى لبنان واستهداف الجيش والوحدة بين اللبنانين للوصول الى حزب الله.

واتساقا مع الطبيعة الذاتية للتنظيمات الارهابية عندما تتضخم، اخذت "داعش" بعض اليد التى اوجدتها وربتها ورعتها، كما عضت من قبل القاعدة تلك اليد، ولم تكن هذه اليد في كلتا الحالتين سوى امريكا والغرب وبعض من شارك في الجهد الذي افرز القاعدة وطالبان و "داعش" و "النصرة"، مثل باكستان والسعودية و قطر، صحيح ان الاخيرتين مازالتا في منأى عن خطر "داعش" و "النصرة"، بسبب كثافة الصبغة الطائفية لهذين التنظيمين، الا ان هذا الامر لن يدوم طويلا، وان النار التي حرقت بها السعودية وقطر سوريا سيصل شررها يوما ما اليهما.

ان الكلفة الباهظة التي دفعتها وتدفعها شعوب المنطقة والعالم، من امنها واستقرارها، جراء سياسة تصنيع مجموعات تكفيرية ارهابية، بهدف اسقاط انظمة واضعاف جيوش، و تغيير معادلات سياسية، و فرض اجندات خاصة بالقوة، يجب ان تدفع هذه الشعوب، والمنظمات الدولية،

ومنظمات المجتمع المدني، والاحزاب والنخب الفكرية والسياسية والاعلامية في العالم اجمع، الى الوقوف صفا واحدا، في وجه هذه السياسة الكارثية العبثية، فسلاح المجموعات التكفيرية، هو اقذر سلاح تم انتاجه في مصانع امريكا، فهو يفتك بالعقول، ويمسخ الانسان ويحوله الى وحش كاسر لا يرحم بشرا ولا شجرا ولا حجرا، الا انه في الوقت نفسه سلاح ذو حدين، بسبب عجز مصنعيه على التحكم به دائما، فهو كثيرا ما يخرج عن السيطرة، كما خرجت القاعدة بالامس، وكما هو حال "داعش" اليوم)).

وفي هذا المجال ايضا نقرأ ما نشره مركز باحث تحت عنوان (ندوة سياسية حول الحركات التكفيرية في المنطقة) جاء فيه: ((عقدت في مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية في بيروت، بتاريخ 2014/8/21 ندوة سياسية حول الحركات التكفيرية في المنطقة: خلفيات وتحدّيات. وقد حاضر في الندوة التي حضرها جمع من الباحثين والمهتمين بالقضية الفلسطينية وقضايا المنطقة، الدكتور أحمد موصلّلي، أستاذ العلوم السياسية والدراسات الإسلامية في الجامعة الأمريكية في بيروت.

وبعد تقديم من مدير مركز باحث الأستاذ وليد محمّد علي، تحدّث د. موصللي حول الظروف التاريخية التي أحاطت بنشأة الحركات الإسلامية السلفية في المنطقة، بدءاً من الحركة الوهّابية التي برزت في القرن الثامن عشر (بخص محمّد بن عبد الوهاب)، إلى تنظيم الأخوان المسلمين في مصر الذي أسّسه حسن البنّا في ثلاثينيات القرن الماضي، والذي توسّعت فروعه إلى عدّة دول عربية وإفريقية، فضلاً عن اتجاهات دينية وسياسية أخرى.

أما ظواهر التكفير المنتشرة اليوم في المجتمعات الإسلامية، فتعود إلى التلاقح الغريب بين هاتين الحركتين السلفيتين اللتين تحدّثنا عنهما: الحركة الوهّابية التي كفّرت أو نقضت كلّ ما أتى بعد عهد الرسول محمد(ص) والخلفاء "الراشدين" والصحابة، فيما كفّر "الإخوان المسلمون" المجتمع الإسلامي الذي يخضع للظالم مهما كانت المبرّرات والظروف المحيطة به!

لقد كفّر الوهّابيون السنّة غير المعتقدين بأفكارهم، كما كفّروا الشيعة وغيرهم، فيما كفّر السلفيون من الإخوان المسلمين الأنظمة والمجتمعات التي تعيش الكفر في حياتها وممارساتها، برغم التناقضات الكبيرة الموجودة ما بين تلك الدول والمجتمعات غير الملتزمة بشريعة اللّه في كلّ الأحوال!

وما زاد الطين بلّة أن السياسة بكلّ أحابيلها قد دخلت باكراً على خطّ هاتين الإيديولوجيتين، لتربط المملكة السعودية خصوصاً في المنطقة، والولايات المتحدة وبريطانيا من خارج المنطقة، بامتدادات وخطط كلّ من الحركة الوهّابية وجماعات "الإسلام السياسي" التي مثّلها الأخوان المسلمون في مرحلة أولى؛ ولتنشأ في بيئات هاتين الحركتين فيما بعد جماعات التكفير والتدمير والقتل الأعمى، للمسلمين الآخرين كما لغير المسلمين، بذرائع أو مبرّرات فقهية وفكرية عديدة، ليس فيها أيّ منطق أو منهج تفكير سليم، كما هي حالة الفكر الإسلامي الإنساني الأصيل والتاريخ العربي والإسلامي عموماً.

وأورد د. موصلّلي عدّة شواهد ووقائع على تأثّر منظّري وقادة الحركة السلفية الجهادية (التكفيرية) الحاليين بمن سبقهم من منظّرين على ضفّتي الوهابيين أو الأخوان المسلمين (في مصر تحديداً- سيّد قطب)، لتنتج الجماعات القتالية في أفغانستان ضدّ الاحتلال الروسي (ومن ثم الاحتلال الأمريكي لاحقاً)، والتي خرجت من الإطار الغربي-الخليجي الراعي لها إلى مسار مهاجمة كلّ الدول أو الجهات والفئات التي ترفض مبادئ وممارسات هذه الجماعات، كما شهدنا فيما بعد من عمليات تفجير وتدمير عمياء طالت المدنيين المسالمين قبل غيرهم، بدءاً من أفغانستان وباكستان

مروراً بالعراق واليمن ومصر وسوريا، وحتى الدول الأفريقية ودول في غرب أوروبا، وصولاً إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي هالها التوسّع المفاجئ لتلك الجماعات إلى درجة باتت تهدّد الأمن القومي الأمريكي، فيما كان من المؤمّل- بحسب المخطّطين أو المنظّرين الغربيين- أن تؤدّي ممارسات هذه المجموعات الإرهابية إلى تفتيت المنطقة وتقسيم دولها ومجتمعاتها بما يخدم أمن الكيان الإسرائيلي ويحفظ المصالح الحيوية الاستراتيجية للغرب فحسب (النفط خصوصاً)... وكشف المحاضر أن المملكة السعودية قلقت كثيراً من تنامي ظاهرة "داعش" واقترابها من حدودها في بعض المناطق، حيث اتخذت عدّة إجراءات للتصدّي لخطرها الزاحف، بعدما اعتقدت أنها سوف تستفيد من ممارساتها وعملياتها الإجرامية والدموية في المحيط العربي الواسع حولها (سوريا/العراق/ليبيا/ اليمن، وغيرها).

ولاحظ أن "الربيع العربي" الذي أبهر العالم في بداياته ما هو إلاّ نتيجة تقاطع أو تلاقي الإرادة الغربية (الأمريكية تحديداً) مع طموحات جماعة الأخوان المسلمين (في مصر وغيرها)، بما يتناسب مع مشروع (إسرائيل الكبرى) أو الشرق الأوسط الكبير (بحسب وزيرة خارجية أمريكا السابقة: كونداليزا رايس) الذي تجدّد، وقد يتحوّل إلى واقع بفعل ما جرى ويجري في منطقتنا في هذه المرحلة القاتمة من تاريخها)).

وفي ذات السياق نشرت شبكة أنباء العراق تقريرا خبريا بعنوان (كلينتون تعترف: نحن أسسنا داعش) بتاريخ 2014/8/8 جاء فيه:

((فجرت وزيرة الخارجية الاميركية السابقة هيلاري كلينتون في كتاب لها أطلقت عليه اسم "خيارات صعبة"، مفاجأة من الطراز الثقيل ، عندما اعترفت بأن الادارة الاميركية قامت بتأسيس مجاميع داعش الاجرامية لتقسيم منطقة الشرق

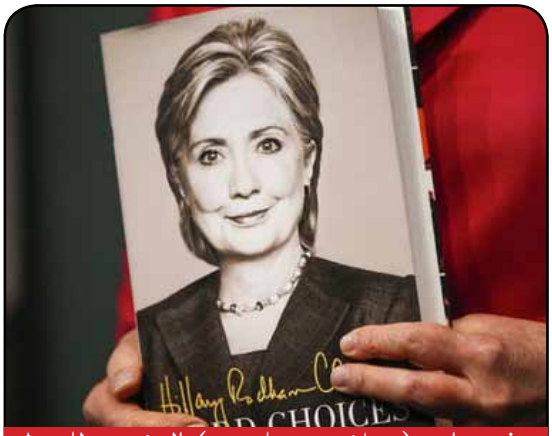
مذكرات (هيلاري كلنتون) المثيرة للجدل

الاوسط.

وقالت كلينتون في كتاب مذكراتها الذي صدر في أمريكا مؤخرا" دخلنا الحرب العراقية والليبية والسورية وكل شيء كان على ما يرام وجيد جدا وفجأه قامت ثورة 30 / 6 - 3 / 7 في مصر وكل شيء تغير خلال 72 ساعة".

وأضافت انه" تم الاتفاق على اعلان الدولة الاسلامية يوم 2013/7/5 وكنا ننتظر الاعلان لكي نعترف نحن واوروبا بها فورا".

وتابعت" كنت قد زرت 112 دولة في العالم، وتم الاتفاق مع بعض الاصدقاء بالاعتراف بـ" داعش" حال اعلانها فورا وفجأة تحطم كل شيء".

ولفتت الى ان" كل شيء كسر امام اعيننا بدون سابق انذار، شيء مهول حدث، فكرنا في استخدام القوة ولكن مصر ليست سوريا او ليبيا، فجيش مصر قوي للغاية وشعب مصر لن يترك جيشه وحده ابدا".

وتزيد "وعندما تحركنا بعدد من قطع الاسطول الاميركي ناحية الاسكندرية تم رصدنا من قبل سرب غواصات حديثة جدا يطلق عليها ذئاب البحر 21 وهي مجهزة باحدث الاسلحة والرصد والتتبع وعندما حاولنا الاقتراب من قبالة البحر الاحمر فوجئنا بسرب طائرات ميغ 21 الروسية القديمة، ولكن الاغرب ان رادارتنا لم تكتشفها من اين اتت واين ذهبت بعد ذلك ، ففضلنا الرجوع مرة اخرى ازداد التفاف الشعب المصري مع جيشه وتحركت الصين وروسيا رافضين هذا الوضع وتم رجوع

قطع الاسطول والى الان لانعرف كيف نتعامل مع مصر وجيشها".

وتقول هيلاري" اذا استخدمنا القوة ضد مصر خسرنا، واذا تركنا مصر خسرنا شيئا في غاية الصعوبة، مصر هي قلب العالم العربي والاسلامي ومن خلال سيطرتنا عليها من خلال الاخوان عن طريق مايسمى بـ" داعش" وتقسيمها ، كان بعد ذلك التوجه لدول الخليج وكانت اول دولة مهيأة الكويت عن طريق اعواننا هنا، من الاخوان فالسعودية ثم الامارات والبحرين وعمان وبعد ذلك يعاد تقسيم المنطقة العربية بالكامل بما تشمله بقية الدول العربية ودول المغرب العربي وتصبح السيطرة لنا بالكامل خاصة على منابع النفط والمنافذ البحرية واذا كان هناك بعض الاختلاف بينهم فالوضع يتغير")).

وعلى الرغم من ان التصريحات التي ادلت بها كلينتون في التقرير السابق يتضمن العديد من المبالغات - التي ربما تقف وراءها مصالح سياسية غير معلنة - الا ان مثل هذه التصريحات توثق مدى علاقة بعض الدول في تغذية التطرف لاجل مصالح سياسية واقتصادية.

وبشكل طريف، يأتي مقال (ابوكاليبس «داعش» والحليف الأميركي) الذي نشره المركز العربي للدراسات المستقبلية بتاريخ 2014/8/25 مؤكدا على دور الدول ذات المصالح في دعم التطرف لتحقيق غاياتها السياسية، اذ يقول كاتب المقال:

((لن يقدّم المخرج الأميركي فرانسيس فورد كوبولا نسخة جديدة عن «نهاية العالم» أفضل من المشاهد الحقيقية التي يبثها تنظيم «داعش» عبر وسائل التواصل الاجتماعي. ولن يجد العرب، المسلمون والمسيحيون، والأكراد والسريان والكلدان والايزيديون والمعتدلون والمقاومون والممانعون وكل الاقليات الأخرى افضل من «الحليف الأميركي» لانقاذهم من «الاشرار».

عاد «الكاوبوي» سيد الموقف، وكثُر الهنود الحمر والسمر. الفارق الوحيد ان البطل الاميركي سيكون هذه المرّة في حاجة ماسّة الى التعاون مع بعض هنود المنطقة.

كان ينقص فقط سبب مهم لتحريك الرأي العام الأميركي. جاء قتل الصحافي الاميركي (شهيد المهنة) الزميل جيمس فولي لتأمين السبب. الضحية أميركي والقاتل بريطاني الجنسية وعضو في «داعش».

اكتمل المشهد اذاً: ضحية، وشرير وبطل مخلِّص. صار تحريك الطائرات مبرراً للقضاء على «داعش». تمدّد الارهاب اكثر مما تحتمل المصالح الغربية.

صار كل شيء جاهزاً. مع ذلك لا بد من سوق بعض الملاحظات المهمة:

أولاً: نجح «داعش» الى حد بعيد في نشر الصورة الاعلامية المرعبة التي أرادها. هذا كان جزءاً مقصوداً من استراتيجيته لازالة كل معترض على دولة الخلافة. غرق الجميع في فخّه. تهافتت مواقع التواصل الاجتماعي والفضائيات وكل وسائل الاعلام الى مساعدته، عن عمد او غباوة، على نشر الصورة المرعبة التي أرادها لنفسه.

ثانياً: كان غريباً فعلاً ان محركات التواصل الاجتماعي، التي غالباً ما تحجب فوراً ما لا يعجبها، تركت «داعش» ينشر صور قطع الرؤوس ويرفقها بحملاته الدعائية جميعاً. معروف اين مركز القرار في هذه

الضحية امريكي والقاتل بريطاني الجنسية

المحـــركات. فلماذا لم توقـــف بث الصور والفيديوهات الدموية...؟ هل كان مطلوباً تضخيم حجم «داعشـــ»، لكي يصبح تدخل الاطلســـي مطلباً اقليمياً وعربيـــاً واسلامياً ومسيحياً ودولياً بامتياز؟ على الأرجح، نعم.

ثالثـــاً: هـــل كان انتشـــار الجانب المرعب مـــن «داعش» (رغـــم ان للتنظيـــم جوانب خدماتية لافتة في المناطـــق التي يسيطر عليها) مقصوداً ليخدم استراتيجية الاطلسي في اظهار عجز المنافســـ الروسي وحليفه الصيني عن نصـــرة القلقين؟ على الارجح، نعم. هذا مطلوب اليوم أكثر من اي وقت مضى، بعدما تمـــدّد الروس صوب صفقات الاسلحة مع مصر والعراق والجزائر وسوريا وغيرهـــا، وقد يتمددون صوب الاكتشافات النفطية الجديدة. لا بد من بطل أميركي.

ماذا بعد؟

بعدمـــا وضع الاطلسي، ومعـــه بعض الدول الاقليمية، ايران امام خيارين: إما «داعش» أو قبول تنـــازلات في المفاوضـــات النووية وفي العراق، بـــدأ المسؤولون الاميركيون يلوّحون بأمـــر مشابه في ما يتعلق بسوريا. ها هو مارتن ديمبسي، رئيس هيئة الأركان في الجيشـــ الأميركـــي، يقـــول لمن يريد ان يفهـــم الرسالة: «يمكن هـــزم داعش إذا جـــرت معالجة الأزمة السورية». هذا الكلام المخفّـــف، قياساً بما قاله وزيـــر الخارجية الاميركـــي جون كـــيري قبل ايـــام ضد الرئيســـ بشـــار الاسد، موجّـــه في الدرجة الاولى الى ايران.

معالجة الازمة السورية في المنطق الاطلسي تعني، بوضوح، اعادة توزيع القوى والحصص في سوريـــا على غـــرار الخطـــة المرسومة للعراق. بمعنى آخـــر: اذا اردتم مساعدتنا للقضاء على «داعش» في سوريا، فعليكم دفع ثمن كبير. نساعدكم على ضرب داعش، ونقرر مصير سوريا. لا بد لهذا الاخراج من عامل عربي مساعد. حصل الاجتماع أمس في السعودية.

هل بـــات المخرج الاميركـــي متحكماً في كل تفاصيل الفيلم؟

لا شـــك في ان تضخـــم «داعشـــ» على هذا النحـــو السريع سيـــف ذو حديـــن بالنسبة إلى الرئيســـ الاميركي باراك اوباما، ليس لدى سيد البيت الابيض ذي الوضع الهش في بـــلاده بسبب ازمات داخلية واجتماعية كثـــيرة، خيـــارات استراتيجية واضحة في الشـــرق الاوســـط. لا شيء يمنـــع ان تلجأ التنظيمـــات الارهابية والقاعدية المنشأ الى الـــرد على أميـــركا فوق ارضهـــا. لا شيء يؤكـــد ان قصف الطائـــرات وحده كفيل بانهاء خطـــر «داعش». تجربـــة افغانستان واضحة. «طالبـــان» صارت اقوى مما كانت عليه قبل الاجتياح الاميركي الذي انتهى بانسحاب مذل. ثم لا شيء يمنع، إذا اقتصر الامر على ضرب «داعش» في العراق، من ان يتمـــدد التنظيم صـــوب تركيا والاردن ولبنـــان. كل ذلـــك سيمثل هزيمـــة نكراء لاوباما تقضي عليه، وخصوصاً ان جزءاً من اللوبي اليهـــودي صار متنافـــراً معه بسبب الموقف من غزة والمستوطنات.

ثمة مـــن يدفع في أميركا لعدم التعاون مع النظام الســـوري. بعض هؤلاء يذهبون ابعد من ذلك، الى حد القول إن ابعاد بشار الاسد عن السلطة مقدمة ضرورية للمساعدة على انهـــاء «داعش» في سوريـــا. ثمة من يذهب ايضاً الى حد اقتراح صفقة العصر على ايران مقابل التضحية بحليفها السوري. يعتقدون ان ما حصل مع نوري المالكي قابل للحصول في دمشق.

في المقابـــل، ثمة فريق أكبر، وبينه كبار ضباط المؤسســـة العسكريـــة الاميركية، غالبا ما يلجأ الى الحل الأقل كلفة والأكثر أمنـــاً. هـــذا الفريـــق يـــرى ان الظروف مؤاتية تمامـــاً لفتح قنوات تعاون جدى مع الجيش السوري لضـــرب «داعش». يعتقد هذا الفريق ان دمشـــق باتت اكثر قابلية للتعـــاون مع واشنطن مـــن اي وقت مضى، وان خروج حماســـ من سوريا أسهم في نزع احـــد معوقات العلاقة. هؤلاء يقولون إن من المستحيل ضرب «داعش» في المنطقة من دون تعاون مع سوريـــا. لا بد اذاً من مخرج

لهـذا التعاون. يجب العودة الى الحديث عن حل سياسي. اجـواء السعودية امس لم تكن بعيدة عن ذلك، رغـم استمرار البعض في الدفع صوب اقصـاء الاسد كمقدمة لتغيير مجاري الرياح.

جرى في العامـين الماضيين تبادل الكثير من المعلومات بين اجهزة سورية وغربية، وخصوصـا عبر الوسيط الروسي، وفي بعض المـرات عبر ايران وحـزب اللّه. تبين ان المعلومـات التـي كانت تقدمهـا دمشق صحيحة لجهة اسماء ارهابيين وتفاصيل عن تحركاتهـم وجنسياتهم. ما الذي يمنع من توسيع التعاون اكثر؟ أسهم مقتل الصحافي الاميركي في تقبل الرأي العام الاميركي لمثل هذا الخيار. ثم إن اتجاهاً كهذا سيعزز شبكة الامان التفاوضي بين اميركا وايران.

صـوب اي الخيارين سيذهب أوباما؟ لا شك في ان مصلحته التـي تتخطى عادة مصالح الجميـع في المنطقـة وخارجها، تصب في خانة توجيه ضربات موجعة جدا لـ «داعش» بأقل خسائر ممكنة. على هذا فقط سيقيس اوباما استراتيجيته لجهة مستقبل التعاون او عدمه مع سوريا وحلفائها. كل شيء وارد. اميركا تعتبر مقتل فـولي اعتداء ارهابيا عليهـا. مضطرة هـي اذاً إلى الـرد بقوة. ستدرس بعناية مع من تتعاون ومن تضرب.

آخر همها الآن الاصلاح السياسي او المعارضة او النظام. ستبحث فقط عن الرد بأقل كلفة وأدنى خطر. الاهم صورتها ومصالحها. اثبت التاريخ انها مستعـدة للتعاون مع الشيطان والتخلي عـن ابرز الحلفـاء في المحطات المصيريـة. تماماً كما أثبت خصومها انهم يحاربونها طويلا والهدف الأبرز لهم يبقى ولو بعد حين... خطب ودها.

الا يذكركم هذا بقـول ونستون تشرشل: «لا عـداوات دائمـا ولا صداقات دائمة وانما مصالـح دائمة»... مصلحـة أميركا فقط ستحدد هل يتعاون اوباما مع الاسد ام لا؟)).

وعلـى صعيـد ذي صلة، نشـرت صحيفة العرب الدوليـة دراسة تحليلية تحت عنوان (الإخـوان والأميركان علاقـات متشعبة تحكمها أجندات مشتركة) بتاريخ 2014/5/15 جاء فيها:

((تـداول العديد من الباحثـين والفاعلين السياسيـين الروابـط العميقـة التي تجمع التنظيم الدولي للإخوان المسلمين بالولايات المتحـدة الأميركيـة وتجذرهـا ليرتبطا بمصالـح مشتركة تخدم من جهة مخطط التنظيـم الدولي في إقامة دولة الخلافة التي يحلم بها، وسيناريو البيت الأبيض المكشوف حاليـا في الهيمنة على المنطقة وتقسيمها، وفق مشروع الشرق الأوسط الكبير.

من هـذا المنطلق تناولـت دراسة تحليلية أجراها الباحث السيد شبل تشعب العلاقات وامتدادهـا بـين التنظيم الـدولي للإخوان وصنـاع القـرار في البيـت الأبيض، حيث أورد شبـل بالدلائل الارتباطات الوثيقة التي جمعت الطرفـين. والمتتبـع للعلاقة بين واشنطن وحـركات الإسلام السياسي، منذ خمسينات القرن الماضي يجد من الشواهد مـا يؤكد تلـك الارتباطات بـين جماعة الإخوان المسلمين ومختلف الحكومات التي تعاقبت على البيت الأبيض.

**علاقات عميقة**

يوضـحّ السيد شبل في هـذا السياق قائلا: "فمن سعي جـون دالاس، وزيـر الخارجية الأميركي في أوائل الخمسينات إلى تشكيل تحالف "إسلامي" يضم الدول العربية وإيران وتركيا لمواجهة الاتحاد السوفيتي - حلف بغداد فيمـا بعد - والترويج لـه بشعارات دينية تجعل الخصومة مع الروس أكبر منها مع الكيـان الصهيوني، إلى توظيف جماعة الإخـوان وحالتهـا الفكرية لتكـون بمثابة خنجر في خاصـرة المشـروع الناصري تتآمر عليه وتبـارك التحركات العسكرية الغربيـة للقضاء عليه ( العدوان الثلاثي 1956 - حرب يونيو 1967)، مرورا بحشد المقاتلين إلى أفغانستـان بدعوى الجهـاد ضد الاتحاد السوفيتـي بداية من منتصـف السبعينات وتشكيل جبهة داعمة لهم ماديا ولوجيستيا وتسليحيـا مكونة من (مصـر "السادات" والسعودية وباكستان).

تربـط بـين الإخـوان وواشنطـن مصالح مشتركة تخدم مخطط إقامة دولة الخلافة وهيمنة واشنطن على المنطقة وليس انتهاء بدور تلـك الحركات في أحـداث "الربيع العربي" ونجاحها بدعم من دوائر مخابراتية غربيـة في تحويـل الانتفاضـات الشعبية المطالبة بالعدالة والرافضـة للاستبداد إلى مطية تمر عليها مشاريع الفوضى "اللاخلاقة" الرامية إلى تقسيم البلـدان العربية وإعادة ترسيـم حدودها على أسس طائفية وعرقية بما يخدم النظام العالمي الجديد والشركات العابرة للقارات ويحكم السيطرة على موارد الطاقة في العالم".

لا تثق دراسة شبـل، الصادرة عن المركز الوطنـي للأبحـاث واستطلاع الـرأي، في التقارب الأميركي المصري، الذي بدأت بوادره تلـوح مؤخرا، وذلـك بسبب خلايا الإخوان الفاعلة داخل البيت الأبيض ومدى توغلها وحجـم نفوذها في صناعـة القرار، وفق السيد شبل.

وقـد اعتمـدت استراتيجيـة الإخوان في الولايات المتحـدة بالأساس على الجمعيات الطلابية ثم المنظمـات الثقافية والدينية، التـي سرعان ما تحولت إلى تكتلات بشرية في كل الولايـات. ودون أن تتعرض هذه الممارسـات لتضييـق واضـح مـن قبـل السلطـات الأميركيـة، بـدأت عناصر الإخـوان في التسلـل إلى مفاصـل الدولة والتغلغل داخل دوائر صنع القرار الأميركي (توافق المصالح).

**إخوان في البيت الأبيض**

رصد السيد شبل العلاقة بين الإخوان والإدارة الأميركيـة، ووقـف على حجـم التعاون الخلفي بـين الجانبين وحجم تلاقي المصالح وكذلـك حجم النفوذ الـذي سُمح لأعضاء تابعين فكريا أو تنظيميا لجماعة الإخوان بأن يحتلوه داخل أسـوار البيت الأبيض. ويفتح الباحث قوسا عند هـذه النقطة موضّحا أن هذا التغلغـل لم يكن اختراقا وقع دون علم أو ترتيب مع " السي آي إيه" وإنما تم بإرادة ورضـى الولايات المتحدة وفـق ما تقتضيه مصلحتها.

وذكرت الدراسة أسمـاء بعينها حول هذه العلاقة، من بينها شقيق الرئيس الأميركي باراك أوباما، المدعـو مالك، والذي يلعب دورا هامـا في التنظيـم الـدولي لجماعـة الإخوان، وفـق السيد شبل. فـ"مالك أبونجو أوبامـا" الذي ولـد في مارس 1958، الأخ الأكبر غير الشقيق لباراك أوباما، ويعمل في التجـارة والاستثمارات الضخمـة، نشأ في نيروبي بكينيا ويعيش هناك، ويُجري

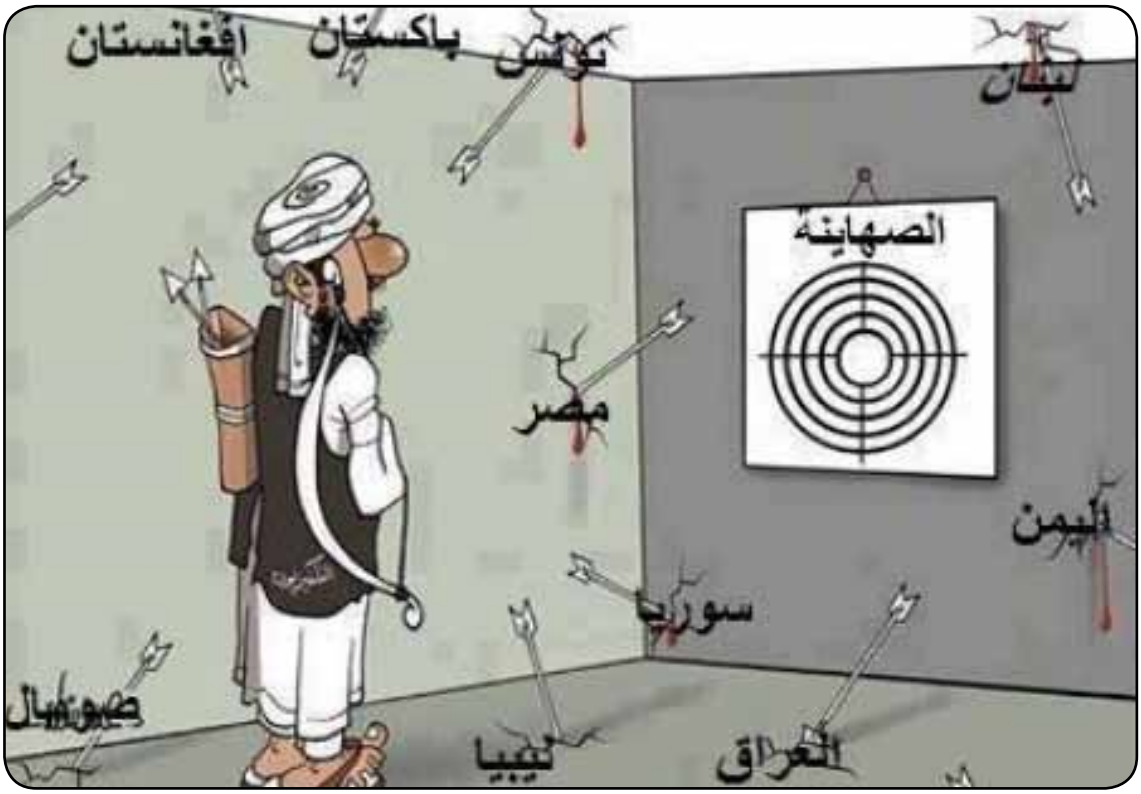


زيارات للولايات المتحدة بشكل متكرر، وتشير المعلومات المتوفرة عنه إلى أنه صديق مقرب من الرئيس السوداني عمر البشير - القريب فكريا وتنظيميا من الإخوان -، ويشغل حاليا منصب الرئيس التنفيذي لمنظمة "الدعوة الإسلامية"، وهي منظمة غير ربحية أسستها الحكومة السودانية، واتجهت إلى دعم التنظيم الدولي لجماعة الإخوان المسلمين مع بداية تأسيسه.

وكانت قناة "دبليو إن دي" الروسية للأخبار قد ذكرت في وقت سابق أن السلطات المصرية تعتزم وضع مالك أوباما شقيق الرئيس الأميركي باراك أوباما على قوائم المراقبة، بسبب كونه أحد مهندسي الاستثمارات للتنظيم الدولي للإخوان المسلمين، وبعد أن أشارت تحريات جهاز الأمن الوطني إلى تورط منظمة "الدعوى الإسلامية" في دعم وتمويل مظاهرات جماعة الإخوان وإثارة القلاقل خاصة في صعيد مصر.

من الأسماء الأخرى التي ذكرها الباحث، نقلا عن تقرير لسليم فضل اللّه، وتم نشره بموقع "24":

هوما العابدين: اختارتها هيلاري كلينتون مديرة لمكتبها عندما كانت وزيرة للخارجية في حكومة باراك أوباما الأولى، و"العابدين" قريبة - حسب محللين وخبراء- فكريا وتنظيميا من جماعة الإخوان، وهي متحدرة من أسرة مهاجرة باكستانية هندية، وتعتبر أول وجه "إخواني" يظهر للعلن بهذا الشكل.

اعتمدت استراتيجية الإخوان في الولايات المتحدة بالأساس على الجمعيات الطلابية ثم المنظمات الثقافية والدينية

علي خان: الباكستاني الأصل ويعتبر أحد أهم منظمي اللقاءات بين قيادات الإخوان والعناصر النافذة في الإدارة الأميركية. وتعرضت تقارير إعلامية إلى الأدوار التي لعبها "خان" العضو الناشط في التنظيم الدولي للإخوان وفي أكثر من ملف، خاصة في تنظيم عدة لقاءات ومفاوضات بعضها معلن، وأكثرها سرّي بين 2001 و2011 بين ممثلين عن الإدارة الأميركية وعن الإخوان المسلمين.

محمد الأبياري: إلى جانب تمثيله الرسمي للمجلس الإسلامي بمدينة هيوستن ورئاسته لفرع المجلس الأميركي الإسلامي بنفس المدينة وكلاهما من الفروع الإخوانية

المعروفة، ينشط في الجمعيات والمنظمات التي تدور في فلك الإخوان والتنظيم الدولي.

رشاد حسين: أبرز الوجوه الإخوانية على الإطلاق المكلف منذ 2009 بكتابة خُطب وكلمات الرئيس أوباما الموجهة إلى العالم الإسلامي ومن أشهر خطبه في هذا السياق كلمة أوباما في جامعة القاهرة في 2009. وأصبح منذ 2010 ممثلا للإدارة الأميركية في كل ما يتعلق بالتعاون مع العالم الإسلامي، حتى تعيينه في منصب ممثل الولايات المتحدة لدى منظمة التعاون الإسلامي في 2012.

بسام الأسطواني: كشفت "شو بات" الأميركية، عن رجل الجماعة البارز داخل الولايات المتحدة منذ عقود، ووثقت تقريرها عن "بسام الأسطواني" بصور حصرية ورسائل بريد إليكتروني تكشف العلاقة التاريخية بين جماعة الإخوان وقادة ورؤساء البيت الأبيض. و"الأسطواني" سوري المولد، وحاصل على الجنسية الأميركية، وأحد قادة الإخوان، وقرّبه البيت الأبيض إلى محيط دائرة النفوذ داخله، خلال عهد الرئيس الأسبق "بيل كلينتون".

لم يعد خافيا أن جماعة الإخوان المسلمين ترتبط بعلاقات وثيقة مع الولايات المتحدة الأميركية، ومن الواضح أن هذه العلاقات لم تتشكل في العامين الأخيرين بعد اندلاع الثورات العربية بل هي علاقات قديمة، فضحها الغضب الأميركي من سقوط حكم الإخوان المسلمين. ولأنها علاقة مصالح وأجندات وخطط تطلّبت سنوات طويلة لحياكتها فإنه ليس من السهل، وفق المراقبين، أن تنهار بسهولة، رغم أن واشنطن بدأت تلوّح بعودة التقارب مع مصر، فسيناريو الإرهاب في سيناء ودعم الجماعات الجهادية لبث الفوضى في مصر لا يزالان قيد التنفيذ.

ب- **التوظيف الايدلوجي**:

ان جزء من الاهداف التي يتوخاها الغرب في دعم التطرف الاسلامي يتمثل بالاهداف الايدلوجية المتعلق بالصراع القديم بين الغرب الصليبي والشرق الاسلامي، وان كان هذا الصراع يكاد يضيع بين اولويات المصالح السياسية والاقتصادية الغربية، الا انه لا يزال يأخذ حصة مهمة من الفكر الغربي في دعمه لجهات متطرفة بصورة عامة.

وفي هذا السياق نقرأ ما نشره موقع قناة (سي أن أن) الأمريكية تحت عنوان (المؤسسة الدينية المصرية تكتشف استناد الغرب والجماعات التكفيرية لأفكار واحدة) بتاريخ 2014/5/12 جاء فيه:

((قال شيخ الأزهر أحمد الطيب إن الغرب يمارس "الاستعلاء" على الشرق، و"اخترع نظريات فاسدة" للسيطرة عليه، وبينها "صدام الحضارات" بالتزامن مع تقرير صادر عن دار الافتاء المصرية حول ظاهرة "الفكر التكفيري" اعتبرت فيه أن هذه الأفكار تستند إلى "صراع الحضارات" لبناء طروحات بينها قتال الأنظمة وعدم الاعتراف بالحدود.

وقال الطيب في مقابلة مع فضائية "الحياة" إن الغرب يمارس "الاستعلاء والإقصاء" تجاه الشرق، وقد اخترع ما وصفها بـ"النظريات الفاسدة" من أجل "السطو على خيرات الشرق" وتابع بالقول: "مع أن ثورات الربيع العربي كان فيها الخير لبعض البلدان العربية، إلا أن بعضها كان يحمل مخططا لتخريب وتقسيم لبعضها الآخر، والغرب

اليوم يقدم لنا نظرية صراع الحضارات التي يقصد بها أن يظل الغرب في تربص وصدام مع الحضارة التي يقدمها الإسلام."
وأضاف الطيب أن الأمم غير الغربية "لها حضارات وقادرة - لو تركت لها الفرصة - على قيادة العالم بطريقة أعقل بكثير من قيادة الغرب للعالم،" مضيفا أن الحضارة الغربية تعيش ما في ظل ما وصفه بـ"الفقر المدقع والتصحر الأخلاقي والروحي والديني"... وفي أعقاب مواقف الطيب، أصدرت دار الإفتاء المصرية تقريرا تناول ما وصفه بـ"منهج الفكر التكفيري وأسسه التي يَبني عليها مقولاته" ورأى أن التغيرات التي شهدتها المنطقة خلال الثلاث سنوات الماضية وما رافقها من أحداث شهدتها سوريا والعراق "دفع ما أطلق عليهم بالجهاديين إلى الواجهة مرة أخرى، وأعاد أصحاب الفكر التكفيري إلى دائرة التأثير."
واعتبر التقرير الصادر عن "مرصد فتاوى التكفير" التابع لدار الإفتاء، أن الفكر التكفيري "يؤسَسَ على نظرية صدام وصراع أصحاب الأديان والثقافات المختلفة بدلاً من الحوار والتعارف والتآلف الذي أمر به الإسلام". وحدد التقرير بعض معتقدات أصحاب من وصفهم بـ"الفكر المنحرف" وبينها أنهم "لا يعترفون بالحدود بين الدول الإسلامية، إذ يعتبرون أن العالم كله دولة واحدة تقام في ظل أممية إسلامية حسب زعمهم تعيد مجد الأمة وريادتها.. لذا يستبيح التكفيريون حدود الدول وأراضيها في مسعى منهم لإقامة إمارات إسلامية حسب حسب تصورهم")).
وعلى صعيد متصل نقرأ ما نشرته صحيفة الرياض بتاريخ 6/ يناير/2014 تحت عنوان (التطرف الإسلامي موجود وأسبابه لا تعالج) جاء فيه:
((مما لا شك فيه أن هناك رصداً إقليمياً وعالمياً لتصاعد التطرف الإسلامي، ولكنْ هناك في الوقت نفسه إحجام مطلق يوحي بأنّه مقصود عن البحث في أسبابه وعناصر تكونه، بل ورصد علاقته وجذوره في مناطق الوجع العربي والإسلامي الأكبر حيث هي في بلاد المنشأ في فلسطين المغتصبة على الخصوص...
لقد نجحت الصهيونية في تحويل نظر الغرب الاستعماري عن أفعالها وجرائمها إزاء الفلسطينيين والعرب لتصور نفسها بصورة الحمل الوديع العائد إلى أرض أجداده في فلسطين التي طردهم منها العرب كما فعلوا في السابق مع الفرنجة في الحروب الصليبية فما الصهيونية ولا الحروب الصليبية بنظر الصهيونيين إلا ظاهرتان شرعيتان لاسترداد الأرض التي كان العرب المسلمون والمسيحيون قد أخذوها من أهلها أصحاب الحق فيها أكانوا فرنجة أو يهوداً صهاينة. إن أخطر ما في الصهيونية أنّها كانت تنظيراً وتزويقاً لكل محاولة أجنبية لأخذ فلسطين من أهلها العرب مسلمين ومسيحيين على حد سواء...
وقد قال الرئيس شارل حلو إنّه أثناء عمله سفيراً للبنان في الفاتيكان لمس حقداً صهيونياً على هذا الوطن ربما لا يعادله حقد على أي وطن عربي آخر. ذلك انه كان من صلب دعاية الصهيونية لدولتها في فلسطين القول إن المسلم يرفض كل آخر مسيحياً كان أو يهودياً أو بوذياً، وقد رأت في الصيغة اللبنانية ونجاحها في جمع المسلمين والمسيحيين في دولة لبنانية عربية منفتحة وذات دور، ضربة قوية لأحد مبررات وجودها. ولهذا يدفع لبنان أثمانا في الصراع مع إسرائيل أكبر مما يدفعه باقي العرب)).
واخيرا نشير الى جزء من الدراسة التي نشرتها صحيفة الاهرام بتاريخ 2010/11/1 تحت عنوان (العقل الارهابي والتطرف الايدلوجي: تحليل ثقافي) جاء فيه:
((إذا انتقلنا من مجال الصراعات الجزئية بين بعض الجماعات الإرهابية المتطرفة إيديولوجيا والدولة العربية المعاصرة، فهناك حالات من التطرف الإيديولوجي أخطر من ذلك بكثير، وهو التطرف الإيديولوجي للدول

ذاتها. ولعل المثال البارز لذلك في محيطنا العربي هو التطرف الإيديولوجي لدولة إسرائيل التي رفعت شعار الصهيونية وهي- كما اعترفت الأمم المتحدة في قرار شهير لها صدر ذات مرة - إيديولوجية عنصرية. هذا التطرف الإيديولوجي الصهيوني كان وراء الصراع الدامي الذي دار مع الشعب الفلسطيني والشعب العربي منذ إنشاء هذه الدولة في عام 1948، بل وحتى قبل إنشائها حين تدفقت موجات الهجرة الصهيونية إلى أرض فلسطين)).

## سادسا: الاعلام ودوره في صناعة التطرف:

ان انعدام الرقابة ووجود محددات على صناعة الخطاب الاعلامي عبر القنوات الاعلامية المختلفة كالمنابر الخطابية والفضائيات ومواقع التواصل الاجتماعي اصبح من اهم الاسباب التي تؤسس لمنابر اعلامية تزيد من غليان التطرف الديني على المستوى المحلي والدولي، لذا فقد انطلقت مناشدات عديدة من اجل تفعيل دور الرقابة على الاعلام الذي يدفع بهذا الاتجاه.

وفي هذا الصدد نشر المركز الاقليمي للدراسات الاستراتيجية -القاهرة مقالا بعنوان (كيف يُمكن لوسائل الإعلام تكريس الطائفية أو الحد منها؟) بتاريخ 2014/8/22 جاء فيه:

((يُثير أداء وسائل الإعلام، وبشكل خاص المرئية منها، تساؤلات عدة حول دورها في تأجيج عنف الشارع في العديد من دول المنطقة، وإسهامها أيضًا في التحريض ضد طائفة أو جماعة ما، لا سيما خلال تغطية فترات الأزمات السياسية وما بعدها، التي يُلاحظ فيها عدم التزام العديد من القنوات الرسمية والخاصة بقواعد المهنية والحيادية، واتجاهها إلى ممارسة التحريض والتحريض المضاد، والدخول كطرف في هذه الأزمات.

ولا يقتصر ذلك الجدل المحتدم حول دور الإعلام في تأجيج الصراعات التي يُمكن وصفها بالطائفية على وسائل الإعلام المحلية الرسمية والخاصة فقط، وإنما يمتد أيضًا إلى وسائل إعلام أخرى عربية وأجنبية، تتبنى النهج ذاته في الانحياز الواضح لجماعة دون الأخرى، والتحريض ضد معارضيها.

**طائفية وتحزب الإعلام:**

تتعدد أشكال طائفية الإعلام ما بين الانحياز لطائفة دينية والتحريض ضد أخرى، أو التحيز لجماعة سياسية، وتخوين معارضيها، ويمكن القول إن ظاهرة الإعلام المتحزب لطائفة دينية أو الموالي لجماعة سياسية هي ظاهرة عالمية وليست مقتصرة فقط على منطقة الشرق الأوسط التي تشهد أزمات سياسية عديدة، واحتقانات دينية متعددة. فعلى سبيل المثال، ظهر الإعلام الديني المتطرف في الغرب، وتحديدًا في الولايات المتحدة الأمريكية التي شهدت أول تجربة لاستخدام القنوات التليفزيونية كمنبر لنشر أفكار دينية معينة، في ظل سيطرة اللوبي اليهودي على أكثر المحطات

التليفزيونيـــة الأمريكية انتشـــارًا، وقد ظل تأثير هذه القنوات محدودًا داخل الولايات المتحدة الأمريكيـــة من خلال التعبير عن مصالح فئـــة مالكيها، والتأثير على قرارات النخبة، إلى أن بدأت مرحلة الإعلام العابر للحدود، حيث واصلت هذه القنوات وغيرها الدور ذاته، وعملت على فتح قنوات متعددة اللغـــات لمخاطبة عدد مـــن الدول، بهدف استخدامهـــا كســـلاح في ساحة الصراعات الإقليمية.

غير أن انتشار الفضائيات والقنوات الخاصة بشـــكل كبير قد أسهم في دخول الإعلام في أزمات سياسية ومجتمعية في المنطقة، في ظل منـــاخ مضطرب، يسمـــح بالاصطفاف والاصطفاف المضاد، لا سيما في الدول التي تتعدد فيها الانتمـــاءات الدينية والأعراق، وتغيب عن مجتمعاتهـــا فكرة المواطنة. إذ يلاحظ انخراط الإعلام في محاولات تأجيج الصراعات الطائفية الدينية في تلك الدول التي تعلو فيها الـــولاءات الدينية والطائفية على الانتمـــاءات الوطنية وفكرة المواطَنة، وتتزايد محـــاولات التحريض والتخوين ضد فئة سياسية ما خلال فترة الأزمات السياسية التي تشهدها بعض الدول.

ويُعدُّ الإعلام المذهبي المتطرف أحد أدوات تأجيج الصراع الطائفي في المنطقة، وبصفة خاصة بعد التوسع في تأسيس قنوات فضائية تنطلق من أسس مذهبية ودينية، ولا شك في أن المستجـــدات السياسية في المنطقة وحالة الاحتقان الطائفي والاصطفاف الديني المسيطرة علـــى المشهد الإقليمي قد زادت من معدلات ظهور هـــذه القنوات، وهو ما يبدو جليًا في حالة العراق، حيث الصراع المذهبي بين الشيعـــة والسنة، والاتهامات المتبادلة التي توجهها هذه القنوات لبعضها بعضًـــا، وبثها روحَ العداء علـــى أساس فقهي تارة، وإسقاط سياسي تارة أخرى، من خلال التركيز على الخلافات الفقهية، والاعتماد على تكفير الآخر، واستدعاء التاريخ وإقحامه في الخلافات المذهبية والسياسية، مما يزيد من احتقان المشهد على أرض الواقع...

أمـــا على الصعيـــد السياســـي، فيُلاحظ أثر البرامـــج التليفزيونيـــة في تأجيـــج عنف الشارع المصـــري، لا سيما خـــلال الفترة التـــي سبقت ثـــورة 30 يونيو؛ حيـــث تبادل أنصار التيار الإسلامي والمعارضة الاتهامات بالخيانـــة والعمالة، فيمـــا شهد المجتمع في سابقة هـــي الأولى من نوعهـــا تحريضًا على الجاليات السورية والفلسطينية، بعد ظهور بعضهم في مظاهرات دعم النظام السابق، وإعلانهـــم تأييـــد حكـــم جماعـــة الإخوان المسلمين، كما لم يغب التحريض الطائفي ضد الشيعـــة والمسيحيين من جانب بعض القنوات الدينيـــة المتطرفـــة التابعة لتيار الإســـلام السياســـي، كانـــت نتيجته حرق كنائس وتهجير أسر مسيحية من قرى في الصعيد، وقتل أربعة مـــن الشيعة في يونيو 2013.

**حدود حرية التعبير:**

تغيب عن المشهـــد الإعلامي العربي بشكل خاصـــ والإقليمي بشكل عـــام الحيادية في تناول الأحداث على الأرض، في ظل انتشار فوضى القنوات الفضائية الممولة والموجهة، والتـــي عادةً ما تعبِّر عـــن المصالح الخاصة لمالكيهـــا، وفي ظل وجود أجنـــدة معينة لكل قناة على حـــدة، تشغل الفضاء العربي والإقليمي بصراعات لا منتهية.

وفي هـــذا السيـــاق، اختلـــف الخـــبراء والإعلاميون حـــول حـــدود الرقابة عندما يتعلـــق الأمـــر بما يمكـــن وصفـــه بالإعلام الطائفي؛ حيث يؤكـــد البعض أهميةَ منع التوجهـــات الطائفيـــة في وسائـــل الإعلام بحـــزم، في مقابـــل آخرين يـــرون أن من

دواعي حرية التعبير عن الرأي السماح لكل الجهات بإطلاق خطابها السياسي والديني في الإعلام. ورغم أن الأصل في مبدأ حرية التعبير هو إشاعته وليس تقييده، يُلاحظ أن أكثر الدول الديمقراطية لا تسمح للحريات بتجاوز مقتضيات الأمن المجتمعي، وفي هذا الاتجاه أشارت منظمة "مراسلون بلا حدود" إلى استخدام الحجة الأمنية لتقييد حرية الإعلام في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا التي سبق أن قامت الهيئة المختصة فيها بتنظيم الاتصالات "أوفكوم" بسحب رخصة البث التليفزيوني لشبكة "برس تي في" الإيرانية الناطقة بالإنجليزية، وقررت منع بثها داخل بريطانيا، بحجة خرق القناة الإيرانية لقواعد البث التليفزيوني البريطاني، وسيطرة السلطات الإيرانية على سياستها الإعلامية، وتبنيها نهجًا تحريضيًّا، الأمر الذي يُشير إلى ضرورة وجود هيئات إعلامية مستقلة يُلقَى على عاتقها مسئولية محاسبة وسائل الإعلام المختلفة وفق شروط وقواعد المهنية والحيادية، والبعد عن التحريض، وهو ما يفتقده الفضاء الإعلامي في المنطقة)).

وتأكيدا على الضرورة التي تحدث عنها المقال اعلاه في وجود جهات رقابية تحد من ظاهرة الاعلام الذي يروج للتطرف؛ نشر موقع BBC خبرا بعنوان(بريطانيا تقترح قوانين تمنع "المتطرفين الاسلاميين" من الظهور في وسائل الاعلام) بتاريخ 2014/10/2 جاء فيه:

((قالت وزيرة الداخلية البريطانية تيريزا ماي إنها "تقترح فرض قوانين جديدة تحد من ظهور المتطرفين على شاشات التلفاز أو نشر آرائهم على وسائل التواصل الاجتماعي حتى لو لم يقدموا على خرق القانون.

وأكدت ماي خلال كلمة ألقتها خلال المؤتمر السنوي لحزب المحافظين أن هذه القوانين الجديدة تستهدف الدعاة الاسلاميين.

واشارت في كلماتها إلى أنه في حال إعادة انتخابها العام المقبل، فإن حزب المحافظين سيسعى لسن قوانين جديدة تمنع "الأشخاص الذين ينشرون الكراهية السامة" من الحصول على منبر لنشر هذه الآراء، بحسب مراسل بي بي سي روب واتسون.

وقال واتسون إن " أضحى التطرف من أهم الموضوعات في بريطانيا لا سيما بعد انضمام المئات من البريطانيين للقتال إلى جانب تنظيم الدولة الاسلامية في الشرق الاوسط")).

ومثلما يعمل الاعلام على نشر ظاهرة التطرف بين طبقات المجتمع، فهو يعد سلاحا فعالا بيد الجماعات المتطرفة فعلا يعملون من خلاله على الترويج لتطرفهم وترهيب اعدائهم واظهار سطوتهم على الساحة العالمية.

ويؤكد ذكل ما نشرته صحيفة العرب اللندنية بتاريخ 2014/8/27 تحت عنوان (حرية التعبير الغربية حققت للجماعات المتطرفة هدفها الإعلامي) الذي جاء فيه:

((حضور الجماعات المتطرفة في وسائل الإعلام العالمية، عبر الاستفادة من مبدأ حرية التعبير منحها الفرصة لنشر الأفكار والممارسات المتطرفة التي تسعى إلى نشرها بين الشباب في كل أنحاء العالم.

تعتبر الأصوات الداعية إلى حرية التعبير والإعلام، أن التعتيم على أخبار الجماعات المتطرفة أو أي مشاهد عنيفة هو نوع من الرقابة والتقييد للحريات الإعلامية، مع رفض القائمين على الإعلام الجديد، حذف المواقع الإلكترونية والحسابات الخاصة للجهاديين على مواقع التواصل الاجتماعي.

ويزداد الجدل الدائر حول ما إذا كان الهدف من العنف إيصاله إلى أكبر عدد ممكن من المشاهدين عبر وسائل الإعلام؟ أو أن الهدف من إظهار الصور تسليط الضوء على وحشية الحرب؟

في خِضَم الضجيج الإعلامي يظهر أن مواد هذه الجماعات هي الأكثر صدقا والأقرب إلى الحقيقة من بين المحتوى المعروض على وسائل الإعلام، في حين تتنافس وسائل الإعلام لجذب الزوار إلى مواقعها الإلكترونية

عبر العناوين الملغومة وصور الجثث المضرجة بالدماء. بعض الإعلام يريد كل ما يشبه "داعش" في كل المجالات: قطع الرؤوس، العنف، الجنس، الفضيحة.

لكن رغم هذا لا يمكن تجاهل حقيقة أن الجماعات المتشددة، وأبرزها اليوم تنظيم داعش، لديها خبرة واسعة في مجال التعامل مع الإعلام والاستفادة من التقنيات الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي. فمنذ نشأتها بدأ الكادر الإعلامي المتخصص في الحرب النفسية في نشر أخبار وصور تتعلق بمقاتلي التنظيم وقدراته العسكرية والقتالية وإمكانياته ومؤيديه والشعبية التي يحظى بها.

وفي الوقت الذي يسأل البعض عن سر قوة داعش ويندهش من قدراتها العسكرية والقتالية ومن أعداد مقاتليها وجيشها الجرار، تقر العديد من الدراسات والأبحاث والمحللين بأن معظم انتصارات داعش جاءت من حربها الإعلامية النفسية أو كما سمي بإعلام الرعب.

وتهدف داعش في حربها النفسية في وسائل الإعلام، إلى إضعاف الروح المعنوية والقتالية لأعدائها، ورفع المعنويات في صفوف مقاتلي التنظيم، وإقناع المتابعين للإعلام بأن النصر حليف التنظيم وأن المعارك محسومة لصالحه من خلال حرصه، في مقاطع الفيديو التي ينشرها، على إظهار جيش جرار يتجهز لخوض المعركة من خلال عرض رتل ليست له نهاية من العربات والآليات والمدافع والأسلحة والجنود التي لاتعد ولاتحصى.

ويبدأ الكادر الإعلامي المتخصص في المواقع الاجتماعية كفيسبوك وتويتر وغيرهما في نشر أخبار كاذبة تتعلق بانسحابات العدو وتقهقره قبل وصول أرتال التنظيم إلى موقع المعركة وأن التنظيم بدأ بحشد الدبابات والمدافع وأدخل منطقة العدو في حصار يشارف على الإطباق خلال ساعات من نشر الخبر.

ثم يأتي دور مواقع الإنترنت، لتشارك داعش حربها النفسية على أعدائها، بامتلائها بمقاطع فيديو وصور تظهر القتلى وصور مقراتهم التي تنتشر فيها الجثث والجرحى، وصور العتاد الحربي الضخم الذي اغتنمه مقاتلو داعش من مواقع العدو، وإن لزم الأمر يقوم التنظيم بإظهار آلياته وعتاده الحربي على أنها غنائم من العدو.

تنظيم داعش أجاد لعبة الإعلام، وركز عليها مثلما يركز على عملياته ميدانيا، حتى عملية نشر الفيديوهات والصور الدموية لم تنشر بشكل اعتباطي، فكلها مدروسة وموجهة، وعندما يشعر التنظيم بأن هناك ما يُضعفه ميدانيا يلجأ إلى الترهيب الإعلامي والحرب النفسية.

صحيفة (وورلد تريبيون) الأميركية، أبرزت في هذا الإطار أن إعلام داعش يروج لشعبيته بإظهار الأعداد الكبيرة للمنضمين إليه من الدول الغربية، وذكرت أن هناك اعتقادا بالفعل أن حوالي 12 ألف مقاتل أجنبي يعاونون داعش في سوريا والعراق، وأن 3 آلاف منهم يعتقد أنهم من الدول الغربية و100 منهم من الولايات المتحدة، وقالت إن الفيديو الدعائي الذي بث مؤخرا لداعش وظهر فيه جهاديون يتحدثون الإنكليزية من كل من بريطانيا وأستراليا يهدف إلى زيادة تلك الأعداد. ولفتت الصحيفة إلى أن هاشتاغ تنظيم داعش الذي ارتفعت نسبة مشاهدته إلى 1000 مشاهدة في المتوسط قبيل غزو العراق، تتراوح نسبته الحالية بين 30 و40 ألف مشاهدة في بعض الأيام.

ويقول المحللون إن الخطورة تكمن في أن المشاهدة المتكررة لهذه المواد البصرية الدموية على الشبكة، تزيد من تقبلنا لها كأمر واقع و"طبيعي" لا مفر منه)).

ويعد توفر شبكات التواصل الاجتماعي بالذات مروج اساس لانتشار التطرف كالنار في الهشيم، وبخاصة في بلاد الغرب، وفي هذا المجال نطلع على ما نشرته جريدة العرب الدولية بعنوان(النساء عبرن إلى جنة داعش عبر السوشيال ميديا) بتاريخ 2014/9/13 جاء فيه:

((تعج المواقع الإخبارية الغربية عامة والإنكليزية خاصة بقصصهن أولئك اللواتي تركن جنة أوروبا للالتحاق بجنة داعش لكن كيف تمكن التنظيم من استقطاب النساء من جميع أنحاء العالم؟

في اليومين الماضيين، وجهت فتاة بريطانية تنتمي إلى تنظيم داعش (الدولة الإسلامية)، تهديدا إلى رئيس الوزراء البريطاني ديفيد كاميرون بقطع رأسه إذا قرر المشاركة في "الحرب على المسلمين" أو التحالف الدولي للقضاء على الدولة الإسلامية الذي أعلنه الرئيس الأميركي وانضمت له معظم القوى الغربية ومنها بريطانيا.

ونشرت الفتاة البريطانية (18 عاما) تغريدات على تويتر، وتحمل اسما مستعارا وهو "الجزراوية"، وكانت قد نشرت صورة لها وهي ترتدي النقاب وتحمل سلاحا على كتفها.

وكتبت "إن شاء اللّه، سيأتي اليوم الذي يقطع فيه رأس ديفيد كاميرون إذا استمر في حربه ضد أولياء اللّه"، ساخرة من قراره بسحب الجنسية البريطانية منها ومن المتطرفين الذين يسافرون إلى سوريا للجهاد، ومنعهم من العودة مرة أخرى إلى بريطانيا، داعية الشباب البريطاني إلى "الجهاد" في سوريا، واصفة قرار هروبها من بريطانيا إلى هناك بأنه أهم قرار في حياتها.

وكثيرة هي الروايات التي تشبه ما فعلته الجزراوية.

أقصى محمود غردت على تويتر "إن لم تتمكنوا من الوصول إلينا في أرض المعركة، فانقلوا المعركة إلى أراضيهم"

ويرجح خبراء أن هناك ما يقرب من 200 "جهادية" أوروبية بين صفوف تنظيم داعش، لكن السؤال كيف يجند تنظيم الدولة الإسلامية، المعروف إعلاميا بـ"داعش"، النساء من جميع أنحاء العالم؟

يقول المعهد الدولي لدراسات التطرف في بريطانيا إن انخراط النساء في صفوف الجهاديين بدأ يتطور خاصة بعدما دعا البغدادي النساء في الغرب إلى الانضمام لداعش، ضمن محاولة واضحة لبناء مجتمع جديد يتبنى التفسيرات المتشددة والأفكار المتطرفة.

في البداية، لم يشجع داعش النساء على التواجد على الأرض، بل دعا على مواقع التواصل الاجتماعي إلى "الجهاد من خلال جمع التبرّعات وما شابه"، لأنّه "لا مكان للنساء في الحرب". لكن هذا الواقع أخذ في التغيّر عندما اقترب التنظيم من تحقيق هدفه بتأسيس "دولة الخلافة".

هكذا، راحت الاستثناءات تكثر شيئا فشيئا لأنّ النساء عنصر رئيس لـ"الدولة الفاعلة" وفق ما أكدت شيراز ماهر من "المركز الدولي لدراسة التطرّف". وبالتالي برزت الدعوات للطبيبات والممرضات والمهندسات للنزول إلى ساحة القتال.

وأضافت ماهر أنّه عندما بدأت "داعش" تفرض سيطرتها على مدينة الرقة السورية في 2013 بات الأمر "يتطلّب قوى أمن نسائية للتأكد من أنّ المواطنات يطبقن القوانين الإسلامية في ما يخص الزي والسلوك"، إضافة إلى أنّ "وجود الشرطيات ضروري على نقاط التفتيش، كما أنّ الأهم هو تكاثر العائلات".

ويؤكد المركز أنّ الحملة التي تقودها "الدولة الإسلامية" على السوشيال ميديا لاستمالة النساء ليست بحجم تلك المخصصة لتجنيد الرجال، إلا أنّها ليست في حاجة لتكون كذلك، خصوصا أنّ "الجهاديين في سوريا والعراق يملكون الكثير من المتابعات الافتراضيات اللواتي يتأثرن بأفكارهم". هنا، تصبح سهلة ولادة حسابات نسائية داعمة لهذا النهج على مختلف مواقع التواصل الاجتماعي، وعلى رأسها تويتر وتمبلر.

علما بأنّ هذين الموقعين يضجان بصفحات لنساء نجحن في الوصول إلى سوريا والعراق مثل "الخنساء" التي تغص مدوّنتها على بمحتوى يتوجّه إلى "الجهاديات أو الراغبات في أن يكن كذلك".

ولكي لا تظن أي من هؤلاء أنّ الانضمام إلى "داعش" يعني فرصا جديدة ومساواة في

الحقوق، تشدد "الخنساء" على أنّ دور المرأة الأساسي هو "مساندة زوجها والمشاركة في زيادة هذه الأمّة".

وتشير مالين سميث وهي من المعهد الدولي لدراسات التطرف في لندن أيضا إلى أن الفئة العمرية للسيدات اللاتي يستهدفهن تنظيم داعش ينحصر ما بين 19 – 20 عاما، وأن هناك مواقع أنشئت على الإنترنت تقوم من خلاله هؤلاء السيدات بالتواصل مع بعضهن لإقناع المزيد من السيدات الغربيات بالانضمام إلى صفوف داعش. وتعمل سميث على التحقق عن قرب من وسائل الدعاية التي تمارسها النساء البريطانيات لاستقطاب أقرانهن للسفر إلى سوريا والعراق.

وقالت سميث، التي تتبعت حسابات 21 سيدة بريطانية سافرت بالفعل للالتحاق بتنظيم "داعش"، من بينهن الشقيقتان التوأم البالغتان من العمر 16 عاما من مانشيستر (شمال إنكلترا)، وأقصى محمود من غلاسكو في اسكتلندا، أنهن "يشجعن المتشددين للقيام بأعمال إرهابية في الغرب".

وأضافت أن أقصى كتبت على حسابها على تويتر "اتخذوا من إخوانكم في وليتش وتكساس وبوسطن قدوة" في إشارة إلى ذبح جندي بريطاني على يد "معتنق جديد" للإسلام في حي وليتش شرق لندن، وتفجير ماراثون بوسطن بواسطة الأخوين تسارنايف في الولايات المتحدة. وقالت اقصى، في تغريدة أخرى، "إن لم تتمكنوا من الوصول إلينا في أرض المعركة، فانقلوا المعركة إلى أراضيهم".

وعقب نشر داعش الفيديو الذي يظهر ذبح الصحفي الاميركي جيمس فولي على الإنترنت، علقت مدونة على تمبلر "أتمنى لو كنت فعلت ذلك بنفسي"، فيما غردت خديجة داري على تويتر "أتمنى لو أكرر نحره بنفسي، أريد أن أكون أول امرأة بريطانية تقتل بريطانيا أو أميركيا".

وتلعب النساء دائما أدوارا في الحروب، فإن لم تكن هذه الأدوار في القتال الفعلي، تكون في مجالات حيوية أخرى مثل جمع المعلومات الاستخباراتية والرعاية الطبية وإعداد الطعام والدعم وغيرها.

وعلى ما يبدو فإن التناقضات والمقارنات التي تحاول النساء المنضمات إلى صفوف التنظيم طرحها على الإنترنت ساعدت "الخليفة" أبا بكر البغدادي كثيرا في التوسع. فيمكن تمييز، منذ الوهلة الأولى، أعداد كبيرة من الراغبين في الانضمام والسفر إلى سوريا من خلال المحادثات التي تتم عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

وكثيرات هن "الجهاديات" البريطانيات اللاتي يستغرقن وقتا طويلا في كتابات مقالات ومقطوعات تحتوي على وصف لـ"السعادة" التي يعشنها في كنف "أرض المسلمين".

فأقصى، على سبيل المثال، قامت بإنشاء موقع إلكتروني للتواصل مع قريناتها من "الجهاديات"، في الوقت الذي قال فيه أفراد عائلتها، هذا الأسبوع، إنهم مازالوا لا يستطيعون تصديق أن ابنتهم "اللطيفة والذكية والمسالمة" سافرت إلى سوريا.

لكن الأمر لم يتوقف عند الرغبة في خوض "مغامرة"، لكنه تعدى ذلك على ما يبدو إلى الإعجاب بفكرة الزواج من مقاتل أجنبي مستعد للتضحية بحياته في سبيل قضية يؤمن بها، وهو ما يصور هؤلاء الجهاديين في أعين الفتيات كـ"أبطال".

وقد وصل الأمر إلى طلب بعض من الجهاديين

خديجة داري بصحبة زوجها النرويجي في صفوف داعش

الرجال من نساء التوقف عن إرسال عروض زواج لهم على مواقع التواصل الاجتماعي حيث أن ذلك يعد من "المحرمات".

وفي فرنسا ووفقا لوزارة الداخلية، فإن 45 ٪ من تحقيقاتها، وقعت مع النساء، من بينهن فتاة في سن 16 من عمرها تم اعتقالها في مطار فرنسا بعدما اشتبه في سفرها إلى سوريا للانضمام لداعش.

وهناك فتاتان نمساويتان، عمرهما 15 و16 عاما، ذهبتا إلى سوريا في أبريل الماضي للانضمام إلى داعش، وفي مايو سافرت شقيقتان توأم عمرهما 16 عاما للالتحاق بشقيقهما في سوريا للزواج من جهاديين هناك، كما أن فتاة أميركية شانون مورين كونلي، عمرها 19 عاما، تم اعتقالها من قبل مكتب التحقيقات الفيدرالية في أبريل أثناء استعدادها للسفر إلى تركيا ومن ثم التوجه إلى سوريا للانضمام إلى داعش، وهناك امرأة كندية على الأقل وامرأتان صوماليتان من النرويج في سن المراهقة انضممن إلى داعش في سوريا، كل هذا في إطار استراتيجية داعش للتوسع عالميا.

وتقدر وزارة الخارجية الأميركية أن نحو 12 ألف أجنبي قد سافر إلى سوريا من 50 دولة مختلفة على الأقل للقتال مع عدد من المجموعات المختلفة، بما في ذلك داعش.

وقالت نائبة الناطقة باسم وزارة الخارجية الأميركية، ماري هرف، إن المسؤولين يقدرون أعداد الأميركيين الذين ذهبوا للقتال مع المجموعات السورية بأكثر من 100 أميركي.

وقال المتخصص في شؤون سوريا بجامعة أوكلاهوما الأميركية، جوشوا لانديس: "من بين مجموعة من التفسيرات لانضمام هذا العدد الكبير إلى داعش أنه بالمقارنة مع غيره من الجماعات الجهادية مثل القاعدة، فإن داعش يرحب بانضمام الأجانب".

ووفق خبراء فإن قوّة التنظيم، تكمن خاصة في استخدامه سياسة إعلاميّة محدّدة ومباشرة ومنظّمة إلى حدّ بعيد، باتت عوامل واضحة للعيان. وهذا الأسبوع هدد

نساء تركن حياة الترف ليلحقن بـ"جنة" داعش

التنظيم موظفي تويتر، ردّا على قيام إدارة الموقع بإغلاق ستة آلاف حساب لأنصار "الدولة الإسلامية".

ونشر حساب جماعة "النصرة المقدسية"، تغريدات يهدِّد فيها موظّفي تويتر في مقرّات إقامتهم وعملهم، ويتوعدهم بالقول إنه "على كل موظّف في تويتر في سان فرانسيسكو في الولايات المتحدة أن يتحسّس رأسه ويلتفت حوله، فلربما ينتظره على باب منزله أسد قاتل!".

وأضاف أنّ ذلك يندرج ضمن خطة "للردّ على إدارة الموقع، باستهداف موظفيها عبر تصفيتهم جسديا، والفعل سيكون لخلايا الموت النائمة". وذلك خيار ممكن وارد لكونه "مطروحا في أجندة المجاهدين، والأسود المنفردة المنتشرة في ربوع أوروبا والذين لا يعلم بهم إلا الله تعالى" دائما بحسب الحساب المذكور)).

والى حين الاستجابة الى الحملات الداعية لمحاربة الاعلام الذي يدعو للتطرف، تستدعي الضرورة ان يكون هنالك اعلاما مضادا يدعو الى نبذ التشدد الديني، وفي الوقت نفسه يفضح الاساليب الخبيثة التي يتنهجها اعلام المتطرفون لنشر سمومهم في ابدان المجتمعات.

وفي مجال تأثير الاعلام على صناعة التطرف الديني ونموه او الحد من انتشاره، لا بد ان نشير الى اننا نجد خللا كبيرا في الماكنة الاعلامية المضادة في مجتمعاتنا، تشهد عليها الكثير من الاحداث والوقائع، نأخذ منها مثلا ما اشارت اليه شبكة انباء العراق في مقالها الموسوم (مجتمعاتنا العربية الاسلامية بالذات، داعش صورة أخرى

لهزيمتنا) بتاريخ 5 /2014/9 اذ جاء فيه:
((انهزمنا إعلاميا في المعركة ضد داعش، كما انهزمنا عسكريا في واحدة من الإنتكاسات التي تنبأنا بها قبل حدوثها ، وهاتان الهزيمتان تؤكدان حقيقة ان الإعلام يشكل الوجه الاخر من خندق الصراع ، ومن ينتصر إعلاميا يمكن ان ينتصر عسكريا ، والعكس صحيح .
فشل الإعلام العراقي الرسمي والحزبي يأتي عبر خلو ساعات او صفحات البث والنشر من التعريف بماهية داعش، والظروف التي شاركت بصناعتها وبلورة وجودها وتمددها في الداخل العراقي ، وكيف وجدت لها حواضن في المحيط السني؟ ولماذا ؟
لم يكن ثمة تعريفا أو تثقيفا بخلفيات هذا التشكيل المكرس للذبح والإبادة وماهي الأسباب التي جعلتهم يتخذون من اسم الدولة الإسلامية ، متى نشأ وكيف انتشر بهذه السرعة ؟ ماهي عوامل الدعم اللوجستي والديماغوجي له ، او التركيب العقائدي ، وهل له ارتباطات وتساوق مع التنظيمات الإسلامية المجاورة ؟ من اين يأتي الدعم المالي لداعش ؟ وكيف يجهز بالمتطوعين والأسلحة والتدريب ؟ عبر اي منافذ يتسلل للعراق وهل يتعشق مع خلايا القاعدة النائمة ؟
كيف تسنى لبعض التنظيمات العراقية السرية ان تتواصل معه ،وتشترك بهجماته على الموصل وصلاح الدين وغيرهما من المدن ؟؟
اي العشائر تلك التي بايعت داعش واعطت ولائها للمدعو البغدادي ، ومن هي الحواضن التي استقبلته بتفاعل ؟ واي العشائر واجهته بالرصاص والموقف الوطني؟
هذه الاسئلة كان من الواجب ان ينشغل بها الإعلام العراقي ، ويحرض بدوره المؤسسة الأمنية والمخابراتية ،النائمة هي الأخرى ، في العثور علي اجابات ووضع استعداد وتهيا لمعركة الوجود والمصير مع اخطر تهديد وحشي يتعرض له العراق وشعبه بكل مكوناته .

الإعلام العراقي بدا بحالة من البلاهة وعدم المبالاة والعدمية المطلقة والسطحية التي اعطت لإعلام داعش تفوقا في تحقيق غاياتها رغم انه اعلام سيء وسلبي ، عدواني غريزي في احسن توصيف له ، بمعنى انه يهدد غريزة الحياة لدى المتلقي الذي يقشعر جسده لمرأى افعال داعش في الذبح والجريمة ،ولايساوره سوى الإستسلام لهذا الوحش الداهم .
لم يجد الإعلام الرسمي من ادوات واسلحة واعية يواجه او يناور بها ، واقتصر منهج شبكة الإعلام العراقي على استعارت اسلوب بائس موروث من زمن صدام في معاركه السابقة ، واقصد حشد مجموعة من المنشدين والفنانين في اغاني بائسة ليس لها قيمة معنوية او ثقافية او تعبوية؟!
واذا انتهينا من الأغاني المتهالكة البائسة ، انتقلنا للشعر الشعبي والاهازيج التي تعيد الإيحاء بايام ام المعارك وقادسية صدام من ناحية تجميد محفزات الوعي ، وتعميق البعد الطائفي والعاطفي الساذج!
هذه المشتركات اجتمعت في عموم القنوات الطائفية والحزبية والتجارية اضافة الى الفضائية العراقية التي بالغت كثيرا بعزلتها .
لقد كشف واقع الإعلام العراقي خلال وبعد ضياع الموصل وبقية المدن عن هزال الساحة الإعلامية ، وخلوها من العقليات الإعلامية القادرة على رسم منهج حر يمتلك قوة الحضور والكشف والتعرية والاشتباك مع الحدث من رؤية واعية وجاذبة لمشروعيتها وقوة نفوذها في الوعي المجتمعي .
ارتباط المؤسسة الإعلامية بسلطة الحكومة الفاسدة وتوجيهاتها اصابها بالعمى والتخلف والهزيمة كحال المؤسسة العسكرية التي انهارت على نحو مخزي ، ليس له مثيل في التاريخ)).

ꕥ ꕥ ꕥ

# الفصل الثاني:

## ظاهرة التطرف الديني في الغرب

### أولا: انقلاب السحر على الساحر

نشر موقع ايلاف مقالا بعنوان (الغرب صنع التطـرف والإرهاب.. والحصـاد يرتد إليه) بتاريخ 2014/6/4 جاء فيه:

((انقلاب السحر علـى الساحر يصدق على أوروبـا وأمريـكا اللتين صنعتـا تنظيمات الإرهـاب وجماعاتـه المسلحـة ضمـن مخطـط استراتيجي واسـع لتفكيك الاتحاد السوفييتي... ففي أفغانستان نشأت القاعدة منذ عام 1984 وبلغت اكتمالها مع عام 1998، والقاعدة هـي التي هاجمت أمريكا في عقر دارها وفجرت مبنى مركز التجارة العالمي كما هاجمت مبنى وزارة الدفاع الأمريكية . ومـن أفغانستان حيـث رعت مخابرات الولايات المتحـدة الأمريكيـة ومخابرات الدول الأوروبية والمخابـرات الباكستانية وغيرهـا تأسيس ما يمكـن أن نطلق عليه مركـز تفريـخ الجماعـات والتكوينـات والشبكات الإرهابية في العالم التي تتخذ من العنف المسلح سبيلاً لها .

شهدت العاصمـة الإسبانية مدريد العام 2004 تفجيرات استهدفت أربعـة قطارات وأدت إلى مقتل ما يقارب المئتين والألفي جريح وأطاحـت الحكومـة اليمينيـة بسبب ما اعتبره المواطنون ضريبة دفعها الإسبانيون ثمناً لاشتراك بلادهم في الحرب على العراق . كمـا شهـدت العاصمـة البريطانية في العام 2005 وفي وضـح النهار سلسلة عمليات تفجير متزامنـة استهدفت القطارات أدت إلى مقتـل خمسين شخصـاً وجرح سبعمئة شخص، ولأول مـرة في تفجـيرات لندن يكون منفذوها مولودين في الغرب ويحملون جنسية بعض دولـه، فثلاثة من المنفذين

كانـوا باكستانيين، وواحداً آخر كان من جاميكا .

وأشـار وقتهـا دانييل بينغامـين في مجلة "التـايم" إلى الـدور الأمريكـي في صناعـة جماعـات العنف المسلـح وإرهابها بقوله: "لقـد برهنـت أمريـكا علـى كفاءتها في مطاردة الإرهابيـين لكنها باحتلال العراق برهنـت أكثر على كفاءتها في صناعتهم" . لقـد كان احتلال العراق من قبل أمريكا والقوى المتحالفة معها أحد أكبر الأسباب التـي أعادت للقاعدة زخمهـا، ولجماعات العنف المسلح قوتها وحيويتها، فقد عاد أبو مصعب الزرقاوي من أفغانستان إلى العراق بعد الاحتـلال الأمريكي للعـراق، وهناك تأسس ما يمكن أن نطلق عليه الجيل الثاني الأكثر وحشيـة ودموية مـن القاعدة في العراق .

وفي سوريـا اليوم يتشكل ما يمكن أن نطلق عليـه "الجيـل الثالث" لجماعـات العنف المسلـح، حيـث تتحـدث التقديرات عن وجود عشرين جنسيـة أوروبية تشارك في القتـال في سوريـا، وعن أعـداد المقاتلين الأوروبيـين تشير التقديـرات الرسمية إلى أن عددهـم يـتراوح بين ألـف وخمسمئة وألفـي مقاتل، وتشـير المعلومات إلى أنهم

ينتقلون إلى سوريا عن طريق تركيا، حيث لا يذهبون مباشرة إلى مكان القتال، كما أن القرب الجغرافي لسوريا من أوروبا يشجع هؤلاء المقاتلين على العزوف عن الانتقال إلى منطقة وزيرستان على الحدود بين باكستان وأفغانستان.

لقد كانت الاستراتيجية الأوروبية والأمريكية تقوم على مواجهة جماعات العنف المسلح في مناطق وجودها بعيداً عن القارة الأوروبية والأمريكية، وكانت تعمل على جعل البحر المتوسط عازلاً أو فاصلاً بين شواطئه الجنوبية والشمالية، ولكن القارة الأوروبية أصبحت اليوم مركزاً لجماعات العنف المسلح تلك، بل إنها أصبحت مصدراً إلى خارجها كما هي الحال في هجرة المقاتلين الأوروبيين من أوروبا إلى سوريا، حيث ينضمون إلى أكثر الجماعات تشدداً وهي "الدولة الإسلامية في العراق والشام" و"جبهة النصرة" .

في دراسة لمعهد واشنطن بعنوان "الجهاديون الأجانب في سوريا، تعقب شبكات التجنيد"، تتبع الباحث إشعارات الوفاة للمقاتلين الأجانب على صفحات الإعلام الاجتماعي، واتضح أن أغلب إشعارات الوفاة لأكثر من ألف ومئة مقاتل كانت في النصف الأخير من عام 2013 وهو ما يشير إلى تدفق المزيد من المقاتلين الأجانب في سوريا كلما امتد أمد الصراع هناك، وتشير كل التقديرات إلى أنه لن يكون صراعاً قصير الأمد إنما صراع طويل وممتد ربما لعشرات السنين المقبلة لتعقد مكوناته الطائفية والعرقية ولتعقد طبيعة مواقف القوى الإقليمية والدولية المنخرطة في الصراع .

هذا يعني في الواقع، استمرار ظاهرة تدفق المقاتلين الأجانب والأوروبيين إلى سوريا، وتعاظم المخاطر المتصلة بعودتهم لبلدانهم إذا عادوا إلى هناك محملين بأفكار السلفية الجهادية وبخبرات قتالية عالية ستمثل قنابل موقوتة في مواجهة مجتمعاتهم، وكما عايشت المجتمعات العربية مشكلة العائدين من مناطق التوتر والقتال في أفغانستان وألبانيا والبوسنة، فإن المجتمعات الأوروبية هي الأخرى تواجه اليوم معضلة "العائدون من سوريا" .

البلدان التي رصدتها دراسة معهد واشنطن لمقاتلين أوروبيين قتلوا في سوريا: هي فرنسا، أستراليا، أيرلندا، ألبانيا، ألمانيا، الولايات المتحدة الأمريكية، البوسنة، بريطانيا، كندا، الدنمارك، كوسوفو، مقدونيا، نيوزيلاندا، إسبانيا، بلغاريا، إيطاليا، لوكسمبرغ، النرويج، رومانيا، السويد، وبالطبع هناك بلدان أخرى أوروبية لم يعلن عن مقاتلين قتلوا لها في القتال هناك، وحسب معلومات أوردها المركز الدولي لدراسة الظواهر الراديكالية، فإن فرنسا لها 412 مقاتلاً في سوريا، وبريطانيا لها 366 مقاتلاً وبلجيكا لها 296 مقاتلاً وألمانيا لها 240 مقاتلاً، بينما هولندا لها 152 مقاتلاً، و تتحدث التقديرات عن أكثر من مئة مقاتل أمريكي .

تشير المعلومات أيضاً إلى أن الفئات العمرية التي تتجه من أوروبا للقتال في سوريا تتراوح أعمارها بين فئتين إحداهما من الرابعة عشرة إلى الثامنة عشرة، والثانية من الثامنة عشرة إلى الخامسة والعشرين، وهؤلاء حين يعودون لبلدانهم يكونون أكثر استعداداً للقيام بعمليات تفجيرية في بلدانهم فقياساً على العائدين السابقين من أفغانستان أو البلقان، يكون كل شخص مستعداً للقيام بعمليات تفجيرية من بين كل تسعة، ومن ثم فالعائدون من سوريا هم قنبلة موقوتة محتملة التفجر في وجه الحضارة الأوروبية والغربية والأمريكية .

الخطر الأكبر الذي تواجهه أوروبا اليوم هو "العائدون من سوريا وبلاد الشام"، فاحتمالات قيامهم بعمليات تفجير في العواصم الأوروبية هي مسألة وقت لا أكثر من منظور المسؤولين الأوروبيين، وأصبح سؤال متى يضرب جهاديو سوريا في أوروبا سؤالاً مطروحاً بقوة في الدوائر الأوروبية والغربية .

تمثل ساحات القتال في سوريا اليوم ثاني

أكبر تجمع في التاريخ الإنساني لجذب مقاتلين من دول متعددة للمشاركة في القتال، التجمع الأول كان في أفغانستان وهو من سهلت أوروبا وأمريكا تكوينه وتشكيله من دون تقدير لعواقبه ونتائجه التي ترتد إلى صدر من صنعها اليوم، وفي داخل هذا التجمع تنشأ ما نطلق عليه "الشبكات الجهادية المغمورة" والتي تحمل الفكر السلفي الجهادي والخبرة الحركية في القتال، كما أنها تتواصل مع مجموعات أخرى جهادية التقتها في ساحة القتال تلك، وهو ما يشجعها في المستقبل حتى بعد العودة من القتال لإمكان التواصل ونسج خيوط جديدة لعمل تنظيمات صغيرة تصبح هذه التنظيمات الخطيرة المغمورة في المجتمع أحد المصادر المحتملة للتحول بالعنف في مواجهة مجتمعاتها وحكوماتها، وبعض الجهاديين الأوروبيين المقاتلين في سوريا تم الإعلان عن مقتلهم ولكنهم لم يقتلوا ومن ثم يعودون إلى بلادهم ولديهم الإمكانية للقيام بأعمال عدوانية ضد ما يعتبرونه حضارة غربية مؤذية للمسلمين في فلسطين والعراق وفي سوريا ذاتها .

تتنادى أوروبا لعقد مؤتمرات تمكنها من التنسيق بين دولها لمواجهة ظاهرة العائدين من سوريا، فقد عاد بعضهم فعلاً، والتقى وسائل الإعلام، وأكدت التقارير أن العائدين يحملون في دواخلهم رغبة انتقامية من أوروبا وأمريكا بما في ذلك "أحلام بتفجير البيت الأبيض" والمؤسسات الأوروبية .

المشكلة أن الجيل الثالث الجديد من القاعدة هو أكثر عنفاً وميلاً للتدمير والتفجير من الجيل الأول للقاعدة من أمثال عبد اللّه عزام وأسامة بن لادن اللذين كان لديهما الهدف نفسه هو تحرير بلدان المسلمين في مواجهة ما اعتبراه تهديداً لحدودها من قبل دولة ملحدة وشيوعية، وهي الاتحاد السوفييتي، لكن مواجهة الحضارة الغربية والتدمير لمؤسساتها يمكننا القول: إن الجيل الثاني من القاعدة هو من قام بها، أما الجيل الثالث الذي تربى في أحضان داعش فإنه أكثر طائفية وعنفاً وعسكرة واستعداداً للانتحار والتدمير، ومن هنا تكمن المخاطر الحقيقية التي يمثلها هذا الجيل العائد على البلدان التي يعود إليها خاصة في أوروبا وأمريكا .

يمثل المقاتلون الأجانب في سوريا من أوروبا وأمريكا وفق التقديرات الموثوقة نسبة تصل إلى 7٪ ولحساسية المجتمعات الأوروبية للصورة حيث أطلقت عدة فيديوهات لأوروبيين في سوريا وهم يقاتلون ويمارسون العنف هناك، وهو ما اعتبره مسؤولون أوروبيون تهديداً للقيم والحضارة الغربية، فإن الظاهرة يتم التركيز عليها إعلامياً ربما بأكثر من حجمها، ومن دون التقليل من خطر الظاهرة وأهميتها فإنه يجب أن يتم الفصل بين معالجة تلك الظاهرة الإرهابية بالوسائل التي تحد منها وتحاصرها، وهذا حق لأوروبا ولأمريكا وللدول التي تهددها تلك الظاهرة من دون تعميم يلحق بكل المسلمين والعرب في أوروبا حيث تنتشر التيارات اليمينية التي تؤسس لظاهرة الإسلام فوبيا، والتي قد توظف تلك الظاهرة الهامشية لشباب مراهق يعاني تهميشاً وعزلة وعدم تحقق لتجعل منها ظاهرة تنال الوجود العربي والإسلامي كله في هذه البلدان الأوروبية والأمريكية، فيما تطلق عليه الاتجاهات اليمينية "الحدود الجديدة لدار الإسلام في أوروبا"، ومن هنا الدور الذي يجب أن يلعبه المسلمون والعرب في أوروبا لنفي علاقتهم بتلك الظاهرة وبتأكيد انتمائهم لبلدانهم التي يعيشون فيها، وبتقديم نماذج حقيقية للتسامح وتقديم صورة الإسلام السمحة .

في خطاب الرئيس الأمريكي الأخير في نيويورك أمام خريجي "ويست بوينت" أشار إلى دعم القوى المعتدلة من الجيش الحر لتكون بديلاً عن القوى الإرهابية، وخصص خمسة مليارات لتأسيس صندوق لمكافحة الإرهاب في مالي واليمن والصومال وليبيا، وهو ما يعني أن البؤر التي صنعها الأمريكيون لتكون ملاذات محتملة لجماعات العنف

المسلح عليهم أن يعملوا على تضييق الخناق عليها، كما اعترف "أوباما" صراحة بأن الإرهاب هو التهديد الأكثر مباشرة على الولايات المتحدة في الداخل والخارج، وأن التهديد الرئيسي لم يعد من القاعدة المركزية لتنظيم القاعدة وإنما من الجماعات اللامركزية التابعة للتنظيم .

إن إحدى أهم العبر التي تقدمها لنا علاقة الغرب بتنظيم القاعدة ودوره في دعم ذلك التنظيم، هو أنك تسمن كلباً ليتحول إليك ليعضك، وهكذا تحولت القاعدة من خنجر في يد أمريكا لمواجهة الاتحاد السوفييتي إذا بها تتحول إلى خنجر في خصر أمريكا وأوروبا، هذه أحد أوجه تقلبات السياسة وأعاصيرها التي لا يزال العالم كله يعانيها، وهو ما يؤكد أن أمن العالم كله واستقراره هو أمن واحد للجميع . ففي ظل العولمة لا يمكنك أن تحقق أمنك وحدك وإنما أمن البشرية هو أمن للجميع)).

ان التطرف بطبيعته الرافضة للآخر، والتي لا تتحرك من منطلق الحكمة والواقعية في السلوك والتعامل، كثيرا ما ينقلب على الجهات التي مولته ودعمته في مرحلة من مراحل نموه المشبوه، لذلك نجد ان الغرب الذي دعم الكثير من حركات التطرف مثلا قد شعر بتصاعد تهديدات هذه الحركات في عقر داره، وهنالك احداث فاصلة في تاريخ العالم ترجمت هذه التهديدات على ارض الواقع منها تفجير برجي التجارة العالمي عام 2001.

وسواء حدثت هذه التهديدات بمؤامرات الحكومات الغربية - بالسماح بحدوثها- ام لا، فان الشعوب الاوربية باتت اكثر تحسسا لهذا الخطر على كيانها العام بعد ان صارت في تماس مع هذه الجماعات بشكل مباشر.

وفي هذا المجال نجد ان العديد من الاخبار والتقارير تؤكد حالة من النمو السريع للمتطرفين القاطنين في تلك البلدان، وبالاخص بعد ان اشتعلت الحرب بين النظام السوري والجماعات المتطرفة في سوريا وغزو قوات داعش لشمال وغرب العراق، من ذلك ما نشره موقع قناة روسيا اليوم بتاريخ 2014/9/23 تحت عنوان(ثلاثة آلاف جهادي من أوروبا قاتلوا في سورية والعراق) ورد فيه:

((أعلن منسق شؤون مكافحة الإرهاب في الاتحاد الأوروبي جيل دي كيرشوف أن عدد الجهاديين الأوروبيين الذين قاتلوا في سورية والعراق ازداد من ألفي شخص في يوليو/ تموز الى نحو ثلاثة آلاف حاليا.

وفي حديث لوكالة الأنباء الفرنسية يوم الثلاثاء 23 سبتمبر/أيلول لم يستبعد دي كيرشوف أن أحد أسباب تنامي هذا العدد يعود إلى النجاحات الميدانية التي حققها تنظيم "الدولة الإسلامية" في المنطقة وإعلان "الخلافة" في أراض وقعت تحت سيطرة مسلحيه.

وأشار المنسق الأوروبي إلى أن معظم المقاتلين يفدون من فرنسا وبريطانيا وألمانيا وبلجيكا والسويد والدنمارك، لكن هناك مواطنين إسبانيين وإيطاليين وإيرلنديين ونمساويين.

وذكر دي كيرشوف أن ما بين 20 و30٪ ممن مروا بساحات القتال في سورية والعراق قد عادوا إلى دولهم، وقسم منهم استطاع العودة إلى الحياة الطبيعية، أما القسم الأخر منهم فيعانون من صدمة نفسية بعد تجربتهم القتالية، وأخيرا ثمة متشددون يمثلون تهديدا للأمن العام. وقال المنسق إن على كل دولة أوروبية أن تقيم كل من الفئات الثلاث ومدى الخطورة الناجمة عنها لتقديم حلول فعالة)).

وفي هذا المجال ايضا نطلع على ما نشرته صحيفة القدس العربي بتاريخ 2014/8/23 تحت عنوان (اكثر من ألف فرنسي في صفوف «داعش»...) جاء فيه:

((كشفت أرقام وزارة الداخلية الفرنسية أن عدد «الجهاديين» الفرنسيين الذين يقاتلون في صفوف تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام والمعروف اختصارا باسم «داعش» تجاوز الألف مقاتل، ما يعني أن العدد في ارتفاع متواصل رغم الإجراءات الأمنية والقضائية المشددة التي اتخذتها

الحكومة الفرنسية لإنهاء الظاهرة بلغت حد التهديد بسحب الجنسية.

وقال برنار كازنوف وزير الداخلية الفرنسي إن المعلومات الاستخباراتية التي جمعتها وزارته أظهرت وجود نحو 900 من «الجهاديين» الفرنسيين الذين يقاتلون في صفوف «داعش» في العراق وسوريا بينما يقتل 100 آخرين في ليبيا، مؤكدا أن الرقم مرشح للإرتفاع أكثر لوجود أعداد أخرى منهم في تركياأو بلدان مجاورة وحتى في فرنسا، لا تزال تتحين الفرصة للالتحاق بساحة القتال، هؤلاء لم تنجح السلطات الفرنسية بعد في تحديد هويتهم.

وقال «جان بيير فيليو» أستاذ العلوم السياسية في جامعة باريس والمتخصص في شؤون الجماعات المتشددة إن «تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام لا يشكل تهديدا لأمن فرنسا وحدها بل لكل أوروبا والعالم، وهو أخطر بكثير من تنظيم القاعدة باعتبار أن داعش تضم بين صفوفها اليوم آلاف المقاتلين المتطرفين والمتعصبين كلهم يعملون تحت سلطة زعيم واحد ويمتلكون خبرة واسعة في القتال وممارسة العنف الشديد والتماسك التنظيمي ما يؤهلهم لتقديم أداء أسوأ مما يتصور».

وأضاف «مواجهة هذا الخطر تقتضي إرادة مشتركة وقرار دولي تشارك فيه الولايات المتحدة وروسيا وجميع دول المنطقة، نحن الآن ما زلنا بعيدين عن هذا والتنظيم يتمدد ويتوسع يوما بعد يوم».

وعن قوة تنظيم داعش قال الباحث الفرنسي: «الأمريكيون ارتكبوا في العراق نفس خطأ روسيا في سوريا، أي أنهما اتكلا على الجيش النظامي في هذين البلدين واستهانا بكل ما يسمى «قوات غير تابعة للدولة» والنتيجة ان عدد المنتسبين إلى «داعش» في سوريا والعراق تجاوز الـ30 ألف مقاتل، واستطاعوا طرد مليون جندي عراقي من جزء مهم من العراق».

وذكر الباحث الفرنسي بقضية «الجهادي» الفرنسي من أصل جزائري مهدي نموش الذي نفذ اعتداء على متحف يهودي في بروكسل في بلجيكا قبل أن تعتقله فرنسا في مدينة مارسيليا وتسلمه إلى السلطات البلجيكية لمحاكمته، مؤكدا أنه « قاتل في سوريا في صفوف داعش وهناك تلقى التدريب على حمل واستخدام الأسلحة وتنفيذ اعتداءات، ما يثير الجدل مجددا بشأن خطر هؤلاء على الأمن في فرنسا وأوروبا بعد عودتهم، أيضا حول مسألة مراقبة الفرنسيين الذين يتوجهون إلى سوريا للقتال».

وأضاف : "شخصيا أخشى أن تكون قضية «مهدي نموش» بداية لسلسلة اعتداءات قد تشهدها أوروبا وينفذها جهاديون أوروبيون عائدون من سوريا، لأني على يقين أن تنظيم داعش قادر اليوم على إرسال مقاتلين لتنفيذ اعتداءات في أوروبا وحتى في الولايات المتحدة".

من ناحية أخرى أثار استطلاع للرأي أجراه في فرنسا ودول أوروبية مركز متخصص لفائدة قناة تلفزيونية أجنبية وأظهر حمل 15 في المئة من الفرنسيين رأيا إيجابيا عن «الجهاديين» الذين يقاتلون في صفوف داعش جدلا كبيرا في وسائل الإعلام الفرنسية.

ويظهر الإستطلاع الذي أجري على عينة عشوائية من 1000 شخص في ثلاث دول أوروبية أن 15 في المئة من الفرنسيين لديهم رأي إيجابي عن «مجاهدي» الدولة الإسلامية في العراق والشام، مقابل 7 في المئة فيبريطانيا و 2 في المئة في ألمانيا.

وشكلت الفئة العمرية المتراوحة بين 18 و24 سنة نسبة 27 في المئة من المستطلعة آراءهم، ما يعني برأي الخبراء الذين جرت استشارتهم في إطار الدراسة وجود علاقة مباشرة بين هذه النتيجة وعدد المهاجرين من البلدان العربية والشرق الأوسط إلى البلدان الثلاثة التي جرى فيها الإستفتاء.

غير أن يوري روبينسكي الباحث الفرنسي في المعهد الأوروبي يقلل من أهمية ذلك حين يقول: «يلاحظ بوضوح وجود عدد هام من المهاجرين الذين ينحدرون من البلدان

المسلمة في فرنسا، حيث ان عددهم هو الأكبر في البلدان الأوروبية، منذ وقت طويل، قطع العديد من أبناء الجيل الصاعد علاقاتهم مع البلد الذي ينحدر منه أهلهم، لكنهم اختاروا التعبير عن تضامنهم مع الإسلاميين المتطرفين كمظهر احتجاج».

ويضيف: «نتيجة هذا الاستفتاء تشير أيضاً إلى معدل السخط المتنامي بين الفرنسيين، هذا يشكل ببساطة تعبيراً عن رفض النظام الموجود في فرنسا برمته إنها طريقة احتجاج ورفض للنخب ليس إلا».

وحرصت الحكومة الفرنسية على تشديد الإطار التشريعي الذي لا بد منه لتوفير الأساس القانوني لتحرك القوى الأمنية، بهدف مساعدتها على تفكيك الخلايا التي تجند الجهاديين وتمولهم وتسهل خروجهم من فرنسا وقبل ذلك تخضعهم لعملية غسل دماغ، حيث تعتقد الأجهزة الاستخباراتية الفرنسية أن عمليات «التجنيد» تجري داخل السجون وعبر الإنترنت وأيضا داخل المساجد في ربوع التراب الفرنسي، كما تتطلع الحكومة الفرنسية إلى توثيق التعاون الأمني وتبادل المعلومات مع البلدان الأوروبية والعربية ومع دول أخرى مثل تركيا لمنع وصول الجهاديين واعتقالتهم وتسليمهم إليها.

ووضعت الحكومة ترسانة من القوانين ضمن خطة خاصة اتخذت بموجبها عدة اجراءات ترمي من ورائها إلى القضاء على ظاهرة تجنيد مقاتلين في صفوف داعش والتنظيمات المتطرفة من فرنسا، كما عمدت إلى تخصيص رقم هاتف للعائلات للتبليغ عن ابنائهم الراغبين في مغادرة فرنسا من أجل

مهدي نينموش

الانضمام للتنظيمات المتطرفة للاتصال بالسلطات طلبا للمساعدة ومنعا لخروج أبنائها.

كما وأعادت العمل بقانون يمنع القاصرين من الخروج من الأراضي الفرنسية دون إذن من أهلهم قبل ان تتراجع عنه لقلة فاعليته، غير أنها تركت الباب مواربا أمام منع الخروج بناء على طلب مباشر من الأهل ما يستدعي آليا وضع أسماء الأشخاص المعنيين على لائحة «شنغن» وبالتالي منع الخروج ليس من الأراضي الفرنسية بل من الدول الموقعة على اتفاقية شنغن.

وتقول المعلومات إن السلطات الفرنسية تفكر في إجراء مماثل يهم هذه المرة البالغين، خاصة وأن بعض الأسر أعلنت مرارا انها فشلت في إقناع أقرباء لها بالعدول عن قرارهم السفر للإنضمام إلى جماعات متشددة بينها تنظيم «داعش» كما تريد الحكومة الفرنسية تشديد الرقابة على المواقع «الجهادية» الإلكترونية بهدف إغلاقها ومتابعة القائمين عليها في خطوة تهدف إلى منعها من مواصلة الدور الخطير الذي تلعبه في «غسل دماغ» القاصرين. وتقول الأرقام إن 68 حالة تحقيق أو ملاحقة يعالجها القضاء في الظرف الراهن يتابع فيها نحو 300 شخص.

غير أن نوابا في البرلمان الفرنسي يشككون في فاعلية الاجراءات الاحترازية بينها سحب الجنسية وجدواها ويشككون قي قدرتها على احتواء ظاهرة تزايد أعداد «الجهاديين» في ظل بقاء الأزمة السورية عالقة، ما يعني بقاء التربة التي تغذي توسع الظاهرة خصبة)).

كما نشر موقع قناة فرانس 24 الفرنسية خبرا بعنوان (930 شخصا من المقيمين في فرنسا لهم علاقة بالجهاد في سوريا والعراق) مؤرخ في2014/09/14 جاء فيه:

((صرح وزير الداخلية الفرنسي برنار كازنوف لصحيفة لو جورنال دو ديمانش الأسبوعية، أن 930 فرنسيا أو أجنبيا من المقيمين في فرنسا لهم علاقة بالقتال في

سوريا والعراق.

930 شخصا من المقيمين في فرنسا لهم علاقة حاليا بالقتال إلى جانب الإسلاميين في العراق وسوريا، حسب ما أعلن وزير الداخلية الفرنسي برنار كازنوف لصحيفة لو جورنال دو ديمانش الأسبوعية.

وأعلن أن "350 موجودون في الميدان من بينهم 60 امرأة. وغادر حوالى 180 سوريا فيما يتجه حوالى 170 إلى المنطقة". وأضاف "كما أعرب 230 شخصا عن النية في الذهاب. وإضافة للعدد الإجمالي البالغ 930 شخصا فإن 36 قتلوا هناك".

وذكر تقرير برلماني صدر أخيرا في فرنسا علاقة حوالى 950 شخصا بالقتال وزعوا كما يلي: 350 شخصا على الأرض و150 يتجهون للقتال و180 عادوا و220 ينوون الذهاب.

وإثر إنشاء منصة التبليغ التي افتتحت في الربيع، وهي كناية عن رقم هاتف "ضد الجهاد" فتح للعائلات التي تخشى مغادرة أحد أفرادها أكد كازنوف أنه تم الحؤول دون "مغادرة 70 شخصا على الأقل" من أصل "350 بلاغا، كانت 80 منها تتعلق بقصر و150 بنساء".

ردا على سؤال حول روايات المشاركين الفرنسيين في القتال بعد عودتهم صرح الوزير أن "البعض تبنى ما فعل وأعرب عن الاستعداد للعودة، لكن البعض الآخر أبدى صدمة من العنف أو الفظائع التي شهدها أو شارك فيها، ورفض العودة إليها".

وتابع "كما يؤكد آخرون أنهم ذهبوا لغرض إنساني فيما نملك معلومات مؤكدة تثبت أنهم قاتلوا في صفوف الجهاديين")).

ولم يكن مجرد الاحصاء هو آخر المطاف، فقد اسفرت الاشهر القليلة المنصرمة عن حوادث ارهابية قام بها جماعة متطرفون عائدون من القتال في جبهات القتال في الشرق الاوسط، وفي هذا الصدد نقرأ ما نشرته صحيفة ميدل ايست أونلاين بتاريخ 2014/9/8 تحت عنوان(مهدي نموش عنوان لخطر الجهاديين العائدين الى اوروبا) ورد فيه:

((تصور قضية الفرنسي مهدي نموش المتهم بقتل اربعة اشخاص في هجوم نفذه على المتحف اليهودي في بروكسل والذي كان احد خاطفي رهينة فرنسي سابق، التهديد الذي يمثله الجهاديون الاوروبيون الذين ينضمون الى صفوف تنظيم الدولة الاسلامية بالنسبة لاوروبا.

وقال جان شارل بريزار خبير المسائل المرتبطة بالارهاب ان الهجوم الذي ادى الى قتل اربعة اشخاص في 24 ايار/مايو في المتحف اليهودي في بروكسل والذي اوقف نموش الفرنسي الجزائري الاصل بشأنه في بلجيكا هو "اول عمل ارهابي ناجح على الاراضي الاوروبية مصدره الشبكات السورية".

وعلى غرار نموش هناك مئات الاوروبيين العائدين من سوريا حيث انضموا الى الجهاديين، فيما يواصل مئات المرشحين الاخرين الانضمام الى صفوف "الدولة الاسلامية" او "جبهة النصرة"، الفرع السوري لتنظيم القاعدة.

ويبعث تدفق المرشحين للجهاد مخاوف لدى المسؤولين السياسيين واجهزة الاستخبارات الاوروبية من ان يفلت بعضهم من رادارات المراقبة وينفذون اعمالا ارهابية لدى عودتهم الى بلادهم.

وقال لوي كابريولي مسؤول مكافحة الارهاب في مديرية مراقبة الاراضي بين 1998 و2004 "انها ظاهرة جماعية تتخذ حجما متزايدا".

وقدر جان شارل بريزار عدد الاوروبيين الذين زاروا سوريا والعراق او الذين ما زالوا موجودين في هذين البلدين بـ3200.

وفي بريطانيا، افاد رئيس الوزراء ديفيد كاميرون ان هناك "ما لا يقل عن 500" غادروا الى سوريا والعراق عاد منهم 250.

اما في فرنسا، فهناك 950 شخصا ضالعون في الشبكات السورية، ما بين جهاديين يقاتلون حاليا (350) او في طريقهم (150) أو عادوا الى بلادهم (180) أو يسعون للرحيل (220)، بحسب تعداد اعده مقرر مشروع قانون حول تعزيز مكافحة الارهاب في منتصف

اب/اغسطس.
وتم توقيف اشخاص يسعون لتجنيد مرشحين للجهاد في كل من المانيا وهولندا.
وقال جان شارل بريـــزار انه على ضوء هذه الاعـــداد فان مخاطر وقوع اعتداء جديد في اوروبا "تتخطى مجرد الاحتمال" مشيرا الى ان "الاجهـــزة على يقين بـــان الامر لم يعد سوى مسالة وقت".
وقـــال الخبـــير ان "هـــذا يمكـــن ان يحصل بطريقتين: هنـــاك حالات الافـــراد الذين سيحاولون لدى عودتهم القيام بعمليات بدون تلقي تعليمات، لمجرد انهم اصبحوا عنيفين، وهذا ما ينطبق على ما يبدو على نموش"، لكنه اضاف ان "الخطر الحقيقي هو انه بوسع الدولة الاسلامية الاستناد الى الاف الجهاديين الاجانب في صفوفها للقيام بعمليات محددة الاهـــداف ومنسقة، تكون وطأتها اشد بكثير مما يمكن ان يحققه جهادي وحيد".
وراى ماثيـــو اولسن احد مســـؤولي مكافحة الارهاب الاميركيـــين ان "التهديد لاوروبا داهم نسبيا".
وفي مواجهة هذه المخاطـــر، تسعى الدول الاوروبيـــة لتعزيز ترسانتهـــا القضائية لمنع رحيل المرشحين للجهاد، ولا سيما في فرنسا وبريطانيا اللتين تستعدان لاقرار تشريعات تجيز منع الاشخاص الذيـــن يشتبه بسعيهم للتوجه الى ارض جهاد من مغادرة الاراضي الوطنية.
وشدد شارل بريزار على ان "المهم هو منعهم من الرحيل، هذه هي الاولوية. لانهم حين يرحلون، فقد فات الاوان".
امـــا الذين يعـــودون، فان اجهـــزة مكافحة الارهاب لا تملـــك الوسائـــل الكافية لفرض مراقبة متواصلة عليهم فتعمد الى وضع لوائح تصنفهم فيها بحسب درجة خطورتهم.
واوضح خبـــير في هذا الملـــف ان "فرض مراقبـــة على مدار الساعـــة على مشتبه به واحد لا سيما وانه يستخدم في غالب الاحيان ثلاثة او اربعة ارقام هاتفية مختلفة، يتطلب ثلاثين شرطيا. كيف يمكن القيام بذلك؟"
وفي فرنسا راى لوي كابريولي ان المديرية العامة للامـــن الداخلي مع عملائهـــا الـ3300 تقـــوم بـ"عمل ممتاز لكنهـــا تعاني من نقص في عديدهـــا. وتعزيزها المزمع بـ300 الى 400 عنصر لا يشكل ردا بمستوى التحدي".
وقال جان شـــارل بريزار "نعلم من التجارب الماضيـــة، في افغانستـــان او الشيشان، ان شخصا من اصل تسعـــة عائدين انخرط في اعمال عنيفة او ارهابية".
ومـــا يزيد من حـــدة المخاطـــر بنظره ان "هؤلاء الاشخاص يعـــودون وقد تخلصوا تماما من اي رادع معنوي بالنسبة للعنف" وهو ما ينطبق على ما يبدو على مهدي نموش)).
ويبدو ان على دول الغرب بشكل عام تواجه تهديـــدا مضاعفا من التطرف، اذ ان تنامي ظاهرة التطـــرف الديني في بلاد الغرب لم يقتصر على الجماعات المسلمة فحسب، بل انه اثار النعرات المتطرفة لدى الجماعات الاخرى في تلك المجتمعات، وبخاصة تلك المؤمنة بالدين المسيحـــي، مما يصعد من خطورة انفجار حرب داخلية، ويشهد على ذلـــك ما نشرتـــه صحيفة الحيـــاة اللندنية بتاريخ 2014/6/1 تحت عنوان (تطرفان اسلامي ومسيحي يجتاحان أوروبا) جاء فيه:
((تواجـــه اوروبا موجتين مـــن التطرف في آن، واحـــدة يمينيـــة مسيحيـــة تشدد على الهويـــة الاصلية البيضاء وتعادي المهاجرين والوحـــدة الاوروبية وتدعـــو الى اعادة قولبة المجتمعـــات الاوروبية علـــى اساس العرق والقوميـــة والدين، واخـــرى اسلامية تواجه عقبات عملية الدمـــج الاجتماعي بالعنف وتدعـــو الى التمرد على النظـــم المختلطة القائمة، معتبرة القتال في ساحات "الجهاد"، وفي مقدمهـــا سورية، تدريباً على معركتها المستقبلية في اوروبا نفسها.
وليس صدفـــة بالتأكيد التزامن بين هذين التيارين، ذلـــك ان كلا منهما يعتبر نفسه بمثابة رد على ما يرى انه فشل التركيبات السياسيـــة الاوروبيـــة في تلبيـــة تطلعـــات مجتمعاتهـــا، ويتغذى مـــن مواقف الآخر وسلوكـــه، ويبنـــي حملاتـــه وشعاراتها على الاستعداد لما يعتبره جنوحاً لدى الآخر الى

افتعال مواجهة معه.
وتنشغل الدوائر السياسية والاعلامية والاكاديمية في كل من فرنسا وبريطانيا والدنمارك ودول اوروبية اخرى بنقاش محموم حول اسباب صعود اليمين المتطرف وتنامي مؤيديه، بعد الفوز الكبير الذي حققته حركاته في هذه الدول في انتخابات البرلمان الاوروبي، وحول ابعاد هذا الانتصار وتبعاته على الاوضاع السياسية والاجتماعية في هذه البلدان.
وفي حين يستخف اليساريون، وخصوصا في فرنسا، بأهمية الظاهرة ويعتقدون انها موقتة ويعيدونها الى النكسة الاقتصادية التي تشهدها القارة العجوز منذ سنوات وتكاد تشفى منها، هناك من يعتقد ان ظاهرة التطرف اليميني ليست مستجدة، بل تمتد جذورها في الماضي الاوروبي غير البعيد الذي انجب في النصف الاول من القرن العشرين احزابا قومية وفاشية في المانيا وايطاليا وفرنسا ودول اخرى تسببت في حربين عالميتين، قبل ان تنكفئ لفترة ثم تعاود الظهور في ثمانينات القرن الماضي، وانها قد تنجح مجددا في العودة الى صدارة المشهد السياسي اذا احسنت استغلال الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي يشكو منها الجميع.
وعلى رغم انها لا تشكل حتى الآن تهديدا فعليا لانظمة الحكم العلمانية وشبه العلمانية في اوروبا، الا ان صحوتها الجديدة جعلت صيحات التحذير تنطلق بقوة، وخصوصا بعد تركيزها على مجالات جديدة، ولا سيما التعدد الثقافي الذي ترى انه يهدد الهوية الاوروبية، وتسعى الى ضربه.
وفي المقابل، اثار وجود الآلاف من المقاتلين الاوروبيين، وغالبيتهم العظمى من اصول عربية وافريقية، في سورية ومناطق "جهادية" اخرى، قلقا كبيرا في دولهم، ليس لأن هؤلاء قد يعودون يوما ويشكلون تهديدا ارهابيا فحسب، بل لإن البيئة الحاضنة لهؤلاء المقاتلين تؤكد وجود اعداد مضاعفة من المتطرفين والمتعاطفين معهم، توحي بها قدرتهم على تنظيم عمليات التجنيد والانتقال والعودة بفاعلية، على رغم الاجراءات الامنية المتخذة ضدهم، والتي شملت اعتقالات احترازية.
وتبين ان انشطة هذه الجماعات المتعددة آخذة في الاتساع وتهدد بتنويع مروحة استهدافاتها، حيث تعتبر ان هناك تمييزا عرقيا ودينيا في حق الاوروبيين من اصول عربية يبقيهم على هامش مجتمعاتهم.
لكن المشكلة الاساسية الاخرى بالنسبة الى الدول الاوروبية هي ما يعنيه تنامي التطرف الاسلامي من فشل السياسات الاجتماعية المعتمدة في دمج اجيال الشبان المولودين لعائلات هاجرت الى دول القارة، بمجتمعاتهم، وهذا ما يستخدمه ايضا اليمين المتطرف الذي يعتبر ان المشكلة في الهجرة نفسها وفي التقديمات الى المهاجرين الذين لا يزالون يعادون اوطانهم الجديدة.
وفي الوقت الذي يقف القادة الاوروبيون عاجزين امام ظاهرتي التشدد الاسلامي والمسيحي-اليميني وكيفية مواجهتهما، يشحذ المتطرفون من الجانبين اسلحتهم، وقد لا يمضي وقت طويل قبل اندلاع المواجهة بينهما)).
واخيرا من المفيد ان نطلع على ما نقله مركز باحث بعنوان(أعداء من الداخل) عن صحيفة هآرتس الاسرائيلية بقلم أنشل بابر بتاريخ 2014/9/4 جاء فيه:
((حين قال الرئيس الامريكي براك اوباما الاسبوع الماضي ان ليس للادارة بعد استراتيجية لمواجهة تنظيم الدولة الاسلامية، تعرض لكثير من الانتقاد. ولكن مخاوفه تعكس بالضبط المشكلة المشتركة اليوم لعموم دول الغرب: كيف التصدي لمشكلة عودة مئات وحتى الاف من ابناء الغرب ممن سافروا للقتال كجهاديين في سوريا وفي العراق ويعتزمون العودة الى بلادهم. أفلام اعدام الصحفيين الامريكيين جيمز فولي وستيفان سوتلوف بقطع الرأس، على يد عضو تنظيم الدولة الاسلامية، الذي

بدا يتكلم الانجليزية بلكنة لندنية واضحة – شكلت نداء استيقاظ أخير في الغرب. فقبل أربعة اشهر من ذلك فقط استيقظ الناس في واشنطن، لندن وبروكسل على مقتل اربعة أشخاص في المتحف اليهودي في العاصمة البلجيكية على يد مهدي نموش، مسلم فرنسي عاد قبل بضعة اشهر من ذلك بعد سنة قاتل فيها بصفوف الدولة الاسلامية في سوريا. ومنذئذ، وعلى مدى الاشهر الاخيرة ازداد الاهتمام الاعلامي بما يجري في حروب الشرق الاوسط حين بات التهديد هذه المرة ليس فقط على الاستقرار في هذه المنطقة بل وايضا على أمن مواطني الدول الغربية.

ولكن هذا لم يفاجيء رجال الاستخبارات في الغرب. فمنذ اكثر من سنة وهم يحذرون من خطر الجهاديين من انتاج محلي. وفي عدة حالات احبطت محاولات منهم – بما في ذلك في بريطانيا وفرنسا – لتنفيذ العمليات. ولكن الان، عندما باتت الدولة الاسلامية تتحدث بالفرنسية والانجليزية وتظهر كل يوم على شاشة التلفزيون وفي العناوين الرئيسة للصحف، فان حقيقة أن الدول التي توجد على بؤرة الاستهداف عديمة الوسيلة، تحظى بالتشديد.

ان مشكلة هذه الدول هي مشكلة معقدة. فبعضها يعود الى غياب المعلومات عن هوية الجهاديين واعدادهم. وبينما قدر الاتحاد الاوروبي عدد المسافرين الى سوريا باكثر من الفين، تقدر اجهزة الامن البلجيكية بان العدد مضاعف، على الاقل. مسألة اخرى هي مسألة اليوم التالي. ليس واضحا كم من بين اولئك الذين يعودون الى بلادهم يعتزمون مواصلة النشاط. وبينما بعض ممن يخضعون للتحقيق لدى أجهزة الامن في دولهم ادعوا بان قادتهم يتوقعون منهم مواصلة النشاط في دولهم، قال آخرون ان الوحشية التي اصطدموا بها دفعتهم لان يعيدوا النظر في طريق الجهاد.

ولكن حتى عندما تنجح الدول في بلورة سياسة لمواجهة الاف الجهاديين الذين سيعودون الى حدودها، يتبين بان السبيل الى تطبيقها لا يزال طويلا. وهكذا ففي الاسبوع الماضي فقط تحدث رئيس الوزراء البريطاني دافيد كمرون عن سلسلة خطوات ضرورية لمنع سفر الجهاديين المحتملين وعودة اولئك الذين سبق ان سافروا منها. وضمن امور اخرى، تحدث عن قيود الحركة، الاعتقالات الوقائية وسحب الجوازات. ومرت بضعة ايام وأول أمس عرض الخطة التي استصعبت ذكر التصريحات من الاسبوع الماضي. وبتوصية رجال القانون وبعد ضغوط من جانب قسم من اعضاء حزبه – ممن ادعوا بان هذا مس غير متوازن بحريات الفرد – عرضت رواية اكثر رقة بكثير. والان ايضا يوجد تخوف من أن يكون البند الذي سعى الى منع عودة المواطنين الذين سبق أن سافروا الى سوريا، وبموجبه يحتمل ألا يكون دستوريا كون الدولة لا يمكنها أن تسحب من مواطنيها الحق في العودة اليها.

وحسب التقديرات المختلفة، فان نحو 500 مواطن بريطاني شاركوا للمشاركة في الجهاد ونصفهم عاد منذ الان. ويعتقد جهاز الامن MI-5 بان بعضهم على الأقل يبقي على اتصال ويخطط لتنفيذ عمليات مستقبلية على مسافة أقرب من الوطن. وكان العمل الذي قامت به وزارة الداخلية في السنة الماضية هو سحب جوازات 23 مواطن كي لا يتمكنوا من مغادرة الدولة. ولكن واضح منذ الان بان هذا الامل لم ينجح في ان يقلص بشكل بارز تيار الجهاديين. ومن الجهة الاخرى ينشأ السؤال ايضا كيف يمكن القول ان شابا يشتري بطاقة سفر الى تركيا ليس في طريقه الى اجازة في انطاليا بل يعتزم اجتياح الحدود الى سوريا.

طريقة عمل تبنتها الولايات المتحدة بعد 11 ايلول – واستخدمت في اسرائيل ايضا، ولكن ليس في اوروبا بعد – هي الطلب من شركات الطيران ان تحول مسبقا قائمة مسافريها كي تسمح للحكم بفرض حظر دخول للمشبوهين باعمال ارهابية. يحتمل

أن يكـــون اتخاذ هذه الوسيلة مـــن شأنها أن يساعد في منع الجهاديـــين المحتملين من السفر الى سوريا والتحذير من عودتهم، ولكن رغـــم أن بريطانيا والدول الاوروبية الاخرى تسعى الى تبنيهـــا، واجهت اعتراضات من جانب الاتحـــاد الاوروبي. فهـــذا يخشى من المس بمبـــدأ الحدود المفتوحـــة بين دول الاتحاد.

بعض الـــدول الاوروبية، بما فيها بريطانيا، المانيا والسويد، بلورت خططا هدفها العثور على الشبان الذين قد يقعون في شباك الاسلام المتطرف أو ممن انجرفوا منذ الان في هذا الاتجـــاه. وفي اطار هذه الخطـــة يتم ابعاد الشبان عـــن عناصر الخطر ويتم اشراكهم في المجتمع بمرافقة ثابتـــة. ويدعي مؤيدو هذه الخطط من جهـــة بانهم نجحوا في أن يقلصوا بشكل واضح اعداد منفذي العمليات المحتملين ومن جهة اخرى بان الاجراءات العقابية في كل الاحوال لم تكن ناجعة ضد من يـــرى منـــذ الان في سلطـــات القانون عدوا. اما عمليا فتجد هذه الخطط صعوبة في توفير جـــواب على الظاهـــرة المتسعة والخوف من مئات الجهاديين الذين يتجولون بحرية في القارة ولا يمكن معرفة متى واين يختارون العمل. هكذا كان في حالة نموش الفرنسي الـــذي اجتاز بسهولة بارزة الحدود الى بلجيكيـــا ونفذ العملية في دولة لا تعرفه فيها الشرطة.

موضـــوع آخر يقلق جـــدا المجتمع الغربي هو طريقـــة تجنيد اولئك الشبـــان. فالدولة الاسلامية وغيرها من المنظمات المتطرفة تجنـــد اليوم المؤيدين عـــبر الانترنت اساسا وفي الشبـــكات الاجتماعية. ومع أنه كانت في الغـــرب محاولات للعمل مع مواقع مثل تويـــتر وفيسبوك لاغـــلاق حسابات شعبية للجهاديـــين الغربيين، ولكنـــه لم يمر وقت طويل الى أن فتحـــت حسابات جديدة بدلا منها أو أن هؤلاء ببساطة انتقلوا الى شبكات اخرى يصعب فيها التقاطهم.

على الرغم مـــن ان الصحفيين اللذين قتلا بقطع الرأس همـــا امريكيين، ورغم حقيقة أن غارات سلاح الجـــو الامريكي في العراق تشتد فـــان السكان في نيويـــورك، واشنطن ولوســـ أنجلوس يشعـــرون الان بامان أكبر من ســـكان اوروبا. ولعلهـــم يشعرون بذلك بفضل نشاط سلطات القانون في الدولة التي عمـــدت الى الاعتقالات الوقائيـــة لكل من يشتبه بمشاركته في الارهاب. ولكن يساهم في ذلك ايضـــا حقيقة أن نصيـــب الطائفة الاسلامية بين اجمـــالي السكان في الولايات المتحدة اصغـــر بكثير مقارنـــة بالوضع في اوروبا، وتوجد مخاوف أقل من المظاهرات والاحتجاجات الواسعـــة. ولكن كل هذا لا يمنـــع سناتورات جمهوريين مـــن أن يدعوا منذ الان الى سحب الجنسية من الجهاديين وحتـــى ادارة اوبامـــا الديمقراطية اعدمت عمليا نشطـــاء القاعدة مع جنسية امريكية في احباطـــات مركزة قامت بها الطائرات غير المأهولة في اليمن.

في هـــذه الاثنـــاء تنفذ الولايـــات المتحدة غـــارات جويـــة في العراق وتعتـــزم توسيع حملتهـــا الجوية لتشمل سوريـــا ايضا. ليس واضحـــا اذا كان هذا سيكفـــي لمنع انتشار الدولـــة الاسلاميـــة وهذا اغلـــب الظن لن يغـــير حقيقـــة أن التنظيم يشـــكل مصدر جذب للشبـــان الذين لاسباب متنوعة ملوا حياتهم الغربية. في كل الاحوال فان الحل الوحيد على الطاولة الان هو الحاق الهزيمة بالاسلاميـــين – النتيجة التـــي قد تستغرق سنـــوات هـــذا اذا كانـــت ستتحقق في أي وقت من الاوقـــات. وفي المستقبل الاقرب ستضطر كل الـــدول الغربية التي تتعرض لهذا التهديـــد الى التعاون، التنسيق وتبادل المعلومـــات. وبالنسبة لاوروبـــا يحتمل أن يتعين على حكوماتهـــا أن تتساءل اذا كان بوسعهـــا أن تقاتل تنظيما لا يعترف بالحدود او القوانين دون أن تمس بحقوق اعضائها)).

| الدولة | العدد | نسبتهم بين المسلمين |
|---|---|---|
| روسيا | اكثر من ١٨٠٠ | من كل ٢٠,٠٠٠ |
| تركيا | ١٤٠٠ | من كل ١٨٧,٠٠٠ |
| السعودية | ١٢,٥٠٠ | من كل ١٠,٠٠٠ |
| استراليا | ١٢٥٠ | من كل ١,٦٠٠ |
| تونس | ١٣,٠٠٠ | من كل ٣,٥٠٠ |
| المغرب | ١١,٥٠٠ | من كل ٢٢,٠٠٠ |
| بريطانيا | ١٥٠٠ | من كل ٥,٧٠٠ |
| فرنسا | اكثر من ١٧٠٠ | من كل ٦,٧٠٠ |
| اسبانيا | ١٥١ | من كل ٢٠,٠٠٠ |
| الولايات المتحدة | ١١٠٠ | من كل ٣٠,٠٠٠ |
| بلجيكا | ١٢٥٠ | من كل ٢,٥٠٠ |
| المانيا | ١٣٠٠ | من كل ١٣,٨٠٠ |

جدول بالدول التي جاء منها الجهاديون الى سوريا نشره مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية مؤرخ في 2014/9/4

## ثانيا: اسباب تفاقم ظاهرة التطرف في الغرب:

قد يبدو غريبا ان تتفاقم ظاهرة التطرف في بلدان تقع في الصدارة في مضمار الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في العالم، فضلا عن تأكيدها على انها الداعية الاولى الى ظاهرة التسامح ورفض الصدام على اساس ديني او عرقي، ولكن باستقصاء بعض الاسباب التي تقف وراء حوادث ترتبط بنماذج متطرفة في تلك البلدان، يمكن ان نشير الى نعزو نمو التطرف في تلك البلدان للاسباب الآتية:

### أ: نشاط مدارس التطرف في الغرب:

يعد النشاط الدؤوب للجماعات الاسلامية التي تؤسس للفكر المتطرف في المجتمعات الغربية من اهم اسباب نمو التطرف في المجتمعات الغربية، وتتجلى هذه الظاهرة في حوادث عدة منها ما نقلته صحيفة الاهرام تحت عنوان (المدارس البريطانية فى مرمى التطرف) بتاريخ 2014/5/4 جاء فيه:

((حذرت صحيفة «دايلى تليجراف» البريطانية من مخطط إسلامى محكم لسيطرة المتطرفين على سلسلة من المدارس فى مدينة برمنجهام. ورصد التقرير الذى أوردته الصحيفة على صفحتها الأولى أول تحذير من نوعه وجهته الرابطة الوطنية لمديرى المدارس من وجود «جهود منسقة» تهدف إلى اختراق ست مدارس على الأقل فى برمنجهام، وأن المخطط يشمل مجموعة أكبر من المدارس فى كافة أنحاء بريطانيا. ونقلت الصحيفة عن متحدث باسم الرابطة إشارته إلى أن المخطط، الذى أطلقت عليه اسم "حصان طروادة" يهدف إلى اختراق المتطرفين الإسلاميين للمدارس البريطانية، وذلك من خلال إلغاء بعض الأجزاء من المناهج الدراسية، ومحاولة التأثير فى تعيين موظفين مسلمين. ونبهت إلى أن هذه الفضيحة تمتد لتشمل عدد آخر من المدن البريطانية مثل "برادفورد" و"مانشستر" وأجزاء من شرق لندن.

واعتبرت الصحيفة أن هذه الإجراءات

تأتى كرد فعل على الحملة التى أطلقتها قبل أسابيع، وحذرت من مخطط "حصان طروادة" الإسلامى فى برمنجهام، وحذر راسل هوبى الأمين العام للرابطة، من أن الأزمة لا تقتصر على مدينة برمنجهام وحدها، ولكنها تمتد على نطاق أوسع، وتهدف بالأساس إلى السيطرة على المدارس العلمانية وتغيير طبيعتها واستبدال إدارتها وهيئة التدريس بها بأخرى إسلامية تعمل على تلقين الأطفال أفكارا متطرفة.

من ناحيتها، سارعت هيئة مراقبة المدارس المستقلة، إلى فتح تحقيقات شملت من 18 إلى 20 مدرسة فى برمنجهام وحدها، وهو ما تزامن مع التحقيق الذى أطلقته وزارة التعليم البريطانية، حيث تشير التحقيقات الأولية إلى أنه تم إجبار الفتيات فى مدرسة (بارك فيو) على الجلوس فى الصفوف الخلفية فى الفصول الدراسية وتم تقليص المناهج التعليمية بحيث تتواءم مع الأفكار الإسلامية المتطرفة)).

وفي ذات السياق نشرت صحيفة ميدل ايست أونلاين خبرا بعنوان (التشدد يرتدي زي الشرطة في المانيا) بتاريخ 2014/9/8 جاء فيه:

((دعا سياسيون ووسائل اعلام المانية الى تشديد القوانين ضد مظاهر الاسلام المتشدد بعد ان قامت مجموعة من السلفيين المتشددين، تطلق على نفسها اسم "شرطة الشريعة" بدوريات في شوارع مدينة فوبيرتال غرب المانيا.

وقالت صحيفة داي فيلت اليومية المحافظة "لا تساهل مع السلفيين" بعد ان قامت مجموعة صغيرة من الرجال يرتدون سترات برتقالية كتبوا عليها "شرطة الشريعة" بسلسلة من "الدوريات" في فوبيرتال.

وقامت المجموعة، التي تسعى الى تطبيق متشدد لأحكام الشريعة، بالطلب من مرتادي النوادي الليلة عدم شرب الكحول او الاستماع الى الموسيقى، كما طلبت من مرتادي اماكن اللعب عدم اللعب مقابل المال.

وظهرت المجموعة في شريط فيديو انتشر على الانترنت ومن افرادها سفين لاو، وهو الماني اعتنق المذهب السلفي، يقول انه احد الذين كانوا وراء فكرة الدوريات.

وبموجب القانون الالماني الحالي فقد تواجه "شرطة الشريعة" تهمة الاخلال بالنظام العام. ولم يتم اعتقال احد بعد، إلا ان زعماء سياسيين حذروا من انه سيتم قمع الدوريات الاسلامية اذا واصلت نشاطاتها.

وقال وزير العدل هيكو ماس "لن نتساهل مع اية ممارسات غير قانونية موازية للنظام القضائي". وصرح وزير الداخلية توماس دي ميزير لصحيفة بيلد، السبت، ان "احكام الشريعة غير مسموح بها على الاراضي الالمانية". ووصف وزير داخلية ولاية بافاريا يواخيم هيرمان تلك الدوريات بأنها "هجوم مباشر من قبل السلفيين على نظامنا القانوني".

وفي كانون الثاني/يناير العام 2013 بدأت الظاهرة في البروز في العاصمة البريطانية لندن عندما ظهرت ثلاثة فيديوهات انتشرت على الشبكة تظهر عدة رجال يضايقون المارة في شوارع شرق لندن إما لأنهم يشربون الكحول أو يلبسون تنورات قصيرة أو لأن "مظهرهم يوحي بأنهم مثليون"...

وأعربت اجهزة الاستخبارات الالمانية العام 2013 عن قلقها لتزايد عدد السلفيين المنادين بتطبيق متشدد لأحكام الشريعة، وقالت ان عددهم في المانيا يبلغ نحو 4500 شخص.

وذكرت صحيفة داي فيلت "يجب عدم السماح للسلفيين والمتعصبين بالتستر

شرطة الشريعة في المانيا

بالحرية الدينية، وحتى الجماعات الاسلامية القلقة على صورة الاسلام وسمعة المسلمين تعتقد ذلك ايضا")).

والعبارة الاخيرة لصحيفة داي فيلت عبارة لافتة، إذ يبدو بالفعل ان الجماعات التي تؤسس للتطرف في بلاد الغرب تستغل ظاهرة حرية الفكر والتعبير التي تسود في تلك المجتمعات لنشر التطرف الديني فيها، والمسؤولون في تلك البلاد قد التفتوا الى هذه القضية ودعوا الى التعامل مع القضية بالتنازل عن مبادئها هذه لمواجهة التطرف، ونقرأ في هذا الصدد ما نشرته قناة فرانس 24 تحت عنوان (بريطانيا تريد ترسيخ القيم البريطانية لمواجهة التوجه الإسلامي) بتاريخ 2514/6/15 جاء فيه:

((في رسالة خص بها صحيفة ميل أون صنداي الأسبوعية، دعا رئيس الوزراء البريطاني ديفيد كاميرون إلى العمل على ترسيخ "القيم البريطانية بشكل أقوى" في مواجهة انتشار التوجه الإسلامي في العديد من المدارس البريطانية العامة وخصوصا في برمنغهام.

وقال كاميرون "في السنوات الأخيرة ظهر تهديد بتمرير رسالة مثيرة للقلق: وهي، إذا كنتم لا تؤمنون بالديموقراطية فهذا أمر مقبول، وإذا كنت لا ترغبون في المساواة فليس هناك مشكلة، وإذا كنتم غير متسامحين على الإطلاق مع الآخرين فاننا سنكون مع ذلك متسامحين معكم".

واعتبر أن "ذلك لم يؤد إلى ظهور انقسامات فحسب بل سمح أيضا للتطرف، سواء كان عنيفا أو لا، بأن يزدهر". وأضاف "يجب أن نرسخ ونعلي بشكل أقوى من شأن القيم البريطانية والمؤسسات التي تدافع عنها".

وأكد أن "الإيمان بالحرية والتسامح وقبول المسؤولية الفردية والمجتمعية واحترام القوانين أمور حيوية" في المملكة المتحدة، فهي قيم "بريطانية بنفس قدر العلم البريطاني وكرة القدم أو طبق السمك والبطاطس".

الاثنين، اعتبرت الهيئة العامة للرقابة

في الوسط (سفين لاو) الماني اعتنق المذهب السلفي

المدرسية (اوفستيد) أن ست مدارس من 21 مدرسة في برمنغهام (وسط بريطانيا) يشتبه بخضوعها لسيطرة إسلاميين متشددين، "غير مطابقة" لقيم وتقاليد المجتمع وأخضعتها لـ"إجراءات خاصة".

وقال المفتش العام لهيئة اوفستيد مايكل ويلشو أنه رصد في خمس مدارس "أجواء من الخوف والترهيب" وذلك بفضل التحريات الأخيرة.

وظهرت الشكوك إثر رسالة من مجهول تلقتها قبل بضعة أشهر بلدية برمنغهام تؤكد أن إسلاميين يسعون إلى تغيير الهيئات الإدارية في العديد من المدارس العامة ليتمكنوا من فرض آرائهم. كما ظهرت اتهامات بوجود فصل بين الفتيات والفتيان في الصفوف وبمضايقات معنوية للعاملين غير المسلمين في هذه المدارس)).

وختاما لهذا المحور فقد نشرت وكالة شفقنا مقالا بعنوان( أكاديمى إيرانى يتحدث مع "شفقنا" حول أسباب إنضمام الشباب لعصابات داعش) بتاريخ 2014/10/2 جاء فيه:

((أكد الشيخ الدكتور "مهدي فرمانيان" رئيس كلية المذاهب في جامعة الأديان والمذاهب فى قم المقدسة في حوار خاص مع موقع "شفقنا" الإخبارى ان الأفواج من الناس الذين دخلوا الاسلام في الغرب مؤخرا عرفوا الاسلام بالوهابية وبالتشدد وعدم الانفتاح على الآخر لذا يجب إنشاء مراكز نابعة من الاسلام المعتدل والوسطى.

وقال الشيخ فرمانيان انه من الاسباب التى ادت الى استقطاب داعش من الشباب المسلم فى قارتي اوروبا وامريكا، هى عقدة

الحقارة بالنسبة للثقافة والسلوك الغربى التى كونت منذ الطفولة فى ذهن الفرد المسلم.
واشار الى ان السياسة المتبعة من قبل الولايات المتحدة الامريكية والدول الاوروبية بالنسبة لتنظيم داعش الارهابى هى سياسة استعمارية وهى سياسة مبنية على مقولة "فرق تسد"، وقال: بعض وسائل الاعلام تضخم الخلافات بين المسلمين عبر تسليط الضوء على نقاط الاختلاف فبالتالي تخدم المشروع الاستعمارى بعلمها هذا.
وأكد سماحته ان الغرب يحاول التصيد من خلافات المسلمين فى الدول الاسلامية فيما بينهم، داعيا العقلاء والنخب الاسلامية الى الاصطفاف فى خندق واحد فى مواجهة المد المتطرف والتقليل من آثاره على المجتمع.
وختم حديثه بالقول ان الحضارة الغربية لا ترغب بحوار الحضارات، حيث انها الحضارة المتسلطة فى العالم فلا تريد حضارة تنافسها فى الساحة)).

## ب: تاريخ منحرف يولد التطرف:

بمتابعة نماذج من الشخصيات التي برزت على ساحة التطرف نجد ان العديد منهم كان له تاريخ حافل في مجال الاجرام او الجنوح الاجتماعي، الامر الذي يفسر اصابة هؤلاء بنكسة روحية تنتج استعدادا للانخراط في هذا الجو العنيف، وبخاصة اذا اخذنا بنظر الاعتبار شعور هؤلاء انهم بانخراطهم في سلك الجماعات المتطرفة الدينية انهم سيتطهرون من ذنوبهم التي اقترفوها سابقا.
لذا فليس من المستغرب ان تظهر العديد من هذه النماذج في المجتمع الغربي الذي يعاني من الانفلات الاخلاقي وضعف الجانب الروحي.
وفي هذا الصدد نشر قسم التحقيقات في صحيفة الصباح بتاريخ 6 /2014/9 تحقيقا بعنوان (انتحاريون أجانب ينفذون عمليات «داعش» الإرهابية) نقرأ فيه:

((في أواخر نيسان الماضي سلط مقتل مغنّي راب ألماني كان قد انضم الى الإرهابيين في سورية الأضواء على مدى خطورة انضمام أفراد من العالم الغربي إلى العصابات التي يتفاقم اجرامها وانتهاكاتها لحقوق الانسان في سورية، وفي إثر ذلك اكد الرئيس الفرنسي فرنسوا هولاند ان بلاده ستتخذ جميع الاجراءات لردع ومنع ومعاقبة كل الذين يجذبهم(الجهاد)، وذلك عشية طرح خطة لمعالجة مشكلة الفرنسيين الذين توجهوا الى سورية للقتال، فيما أكدت مصادر قضائية بلجيكية أن نحو خمسين مقاتلاً بلجيكياً عادوا من سورية خلال الأشهر الاولى من العام الحالي فيما بقي مئة وخمسون آخرون فيها، في حين قتل نحو عشرين شابا بلجيكيا في سورية منذ بداية الصراع.
وكان مغني الراب ديسو دوغ، واسمه الحقيقي دنيس مامادو غاسبيرت قد قتل في تفجير انتحاري نفذه عناصر من جبهة النصرة في شمال شرق سورية، حسبما ذكرت في حينها مواقع إرهابية للتواصل الاجتماعي .
والمرصد السوري لحقوق الانسان. واطلق مغني الراب على نفسه اسم" ابو طلحة الالماني" لدى وصوله الى سورية وانضمامه إلى عصابات" داعش" الإرهابية قبل اشهر من مقتله...
وعلى المنوال نفسه أثيرت حفيظة دول عديدة بينها الولايات المتحدة واستراليا نتيجة صورة نشرت في أوائل آب الماضي

مغني الراب الالماني ديسو دوغ

عـــبر مواقع التواصل الاجتماعي على نطاق واســـع لولـــد استرالي اصطحبـــه والده معه للقتـــال بسورية، وظهر فيها وهو يحمل رأسا مقطوعة، وسرعان ما ثار الجدل حول هوية الوالد، خالد شروف، المكنى بـ( أبو مصعب الأسترالي) وخلفياته الفكرية التي جعلت منه أحد أشهر المنتمين لجماعات إرهابية. وفي وقتها وجه وزير الخارجية الأميركي، جون كيري، انتقادات حادة لذلك الفعل واصفا الأمر بأنه "مثـــير للغثيان" ويعكس طريقة تفكير وعمل التنظيـــم. وقال كيري، في مؤتمر صحفـــي بأستراليا، معلقا على صورة الطفل الذي مـــازال في السابعة من عمره ويظهر في الصورة وهو يحمل الرأس بيديه: "هذه واحدة من أبشع الصـــور التي شاهدتها وهي تسبب الغثيان والاضطراب."

ولـــد خالد شروف لأبوين لبنانيين العام 1981 في أستراليـــا، وارتبـــط بعلاقـــة عنيفة مع والده. لم يكمل شروف دراسته في المدرسة إذ طُـــرد وهـــو في الصف التاســـع لسلوكه العنيف، وبعدهـــا عاش شبابه في المحاكم بين 1995 و1998 بينما كان يتعاطى المنشطات وعقاقـــير الهلوســـة، ممـــا أدى إلى ظهـــور مرضـــ انفصام الشخصية لديه، أو ما يعرف بالشيزوفرينيـــا. عمل شـــروف في البناء، وكان يتلقى مبلغا من المال كإعالة لذوي الحاجـــات الخاصة إلى أن قبض عليه بتهمة تدبير عملية إرهابية مع ثمانية أشخاص في محاولة لبدء "حـــرب جهادية" في استراليا حيـــث قاموا بسلسلة هجمـــات على منازل وشـــركات. وقد أدت إصابة شروف بمرض عقلي إلى تأجيل محاكمته بعد أن اعترف باقتناء بطاريات وساعات كانت ستستخدم في صنع متفجرات.

وفي معرض تعليقه على مقتل" ابو هريرة الأميركي" قال ريـــك نيلسون، الذي كان مسؤولا كبيرا سابقـــا في مكافحة الإرهاب في مجلـــس الأمن القومي والمركز القومي

(ابو مصعب الاسترالي) مع ابنائه في صفوف داعش

لمكافحـــة الإرهـــاب: "الأميركيـــون مثل جوهـــرة التـــاج بالنسبة لتلـــك الجماعات. ويشبـــه ذلك تجنيـــد عميل سوفياتـــي أثناء الحرب الباردة".

وتجنـــد الجماعات الإرهابيـــة الأميركيين نظرا لأن جوازات سفرهـــم تمنحهم القدرة على السفر إلى معظم الدول. وتعمل هيئات إنفـــاذ القانـــون والاستخبـــارات الأميركية وغيرها على دراسة سبب تحول الأميركيين إلى التطـــرف، لكنها، حســـب نيلسون، لم تصـــل إلى أي إجابات قاطعة. وأضاف قائلا: "لا يوجد نمط معين، فبعضهم يتعاطف مع القضية، بينما يشعـــر آخرون بالغضب لأن الولايات المتحدة لا تفعل المزيد في سورية، في حين يتطلع بعض آخر إلى تحقيق القبول الاجتماعي مع الآخرين فقط. نحن لا نعرف السبب وراء ذلك، مما يجعلها قضية صعبة".

وفي تشريـــن الثـــاني 2007 قالـــت أخصائية عينتها المحكمة إن شـــروف مصاب بحالة حـــادة من مرض انفصـــام الشخصية، وبعد تلقيـــه العلاج في العـــام 2009 قضت المحكمة له بخمس سنـــوات وثلاثة أشهر في السجن، لكنه خرج بعد ثلاثة أسابيع من السجن علما بأن معظم تلك المـــدة قضاها بانتظار وقت المحاكمة. خـــلال هذه المـــدة في السجن كان شروف يأمل بأن يقضي وقتا أطول مع

الصورة العليا الى اليمين يظهر خالد شروف -الدئرة البرتقالية- والملاكم محمد العمر في استراليا، والصورة العليا الى اليسار يظهر محمد العمر وهو يحمل رأسين مقطوعين في سوريا، واسفلها مباشرة يظهر في احدى مبارياته الرياضية في استراليا

أطفالـــه، وينتقل بعائلته إلى بلد آخر، كما نقل عـــن زوجته تارا نيتلتـــون، لكن سبب اختياره الانتقـــال إلى سورية غير معروف.

أثبـــت شـــروف أن أفكاره لم تتغـــير بينما هـــو في السجن، بل إن هـــذه المدة منحته الفرصـــة للتفكر والتعمق أكثر بمعتقداته، مما زاد حالته سوءاً كما قال كلارك جونز، وهـــو خبير من جامعة استراليـــا ناشونال، مضيفا أن طريقة التعامـــل مع الإرهابيين وفصلهم عن الناس يعطيهم المجال للتفكير والتعمق بمعتقداتهم، وقد أدى بقاء شروف في السجن وحيدا إلى المزيد من التطرف، مؤكدا حاجته للعلاج)).

وفي ذات السيـــاق نشـــرت صحيفة صدى البلـــد بتاريـــخ 2014/9/6 خـــبرا تحت عنوان (المتهـــم بالهجوم على المتحـــف اليهودي ببروكسل عضو في «داعش») جاء فيه:

كشف الصحفي الفرنسي نيكولاس حنين، اليوم السبت، النقاب عن أن المتهم الرئيسي بإطـــلاق النار على المتحـــف اليهودي في بروكســـل، في مايـــو الماضـــي، "مهـــدي نينموش"، الـــذي عرض الأسرى السوريين والأجانب للتعذيب، كان عضوًا في تنظيم داعش بسوريا...وقـــد شغلت القضية الرأي العام ووسائل الإعلام الفرنسية، بحيث تحولت إلى خبر رئيسي في نشرات الأخبار، ليس فقط لأن نينموش تحـــوم بشأنه شكوك قوية في أنه مرتكـــب الاعتداء في بروكسل، بل بسبب مسار هـــذا الرجل البالغ من العمر، 29 سنة، هو مسلم ومن أصول مهاجرة، وبعد طفولة صعبـــة في مدينة روبيـــه العمالية، الواقعـــة شمال باريس، دخـــل السجن لمدة أربـــع سنـــوات، بسبب جنـــح مختلفة من ضمنها السرقة والمخدرات)).

# الفصل الثالث:

## نماذج من حركات متطرفة معاصرة

في القرن الواحد والعشرين، وفي عصر الازدهار التكنلوجي، يشهد العصر بروز اعتى الجماعات المتطرفة في العالم، في مفارقة عجيبة لا يمكن للعقل البشري ان يستشرفها قبل عقود قليلة من الزمن، الامر الذي ينبئ ان الانحطاط البشري لا يرتبط بالضرورة بالتقدم التقني والرفاهية المادية.

وفي هذا الفصل نجد ان من المفيد ان ندرج نبذة تعريفية مفيدة نشرتها المواقع الالكترونية سواء تلك التابعة لمراكز الدراسات او القنوات الاعلامية لتشكيل صورة واضحة لطبيعة كل ظاهرة شهدها هذا العصر بالذات.

### أ- تنظيم القاعدة:

كتب الدكتور صبري محمد خليل أستاذ الفلسفة بجامعه الخرطوم مقالا بعنوان (تنظيم القاعدة: نشأته واصوله الفكرية والمواقف المتعددة منه) في صحيفة سوادنايل بتاريخ 2011/11/16 جاء فيه:

((أولا: تعريف: يرى كثير من الباحثين ان أصل كلمه القاعدة يرجع إلى تأسيس أبو عبيدة البنشيري لمعسكرات تدريب للمجاهدين لمقاومه الاحتلال الروسي لأفغانستان أطلق عليها اسم معسكرات التدريب بالقاعدة. كما يرى بعض الباحثين أن القاعدة تشكلت في 11 أغسطس 1988، في اجتماع عدد من قادة تنظيم الجهاد الإسلامي المصري مع أسامة بن لادن، كما يشير بعض الباحثين إلى انه وفي أبريل 2002، أصبح اسم التطيم "قاعدة الجهاد". وقد أعلن تنظيم القاعدة في عام 1996، الجهاد لطرد القوات والمصالح الأجنبية من الأراضي الإسلامية. وأصدر ابن لادن فتوى، اعتبرت إعلان عام للحرب ضد الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، وفي 23 فبراير 1998، شارك أسامة بن لادن وأيمن الظواهري زعيم الجهاد الإسلامي المصري، إلى جانب ثلاثة آخرين من زعماء بعض الجماعات الاسلامية، في توقيع وإصدار فتوى تحت اسم الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين أعلنوا فيها ( إن حكم قتل الأمريكيين وحلفائهم مدنيين وعسكريين، فرض عين على كل مسلم في كل بلد متى تيسر له ذلك، حتى يتحرر المسجد الأقصى والمسجد الحرام من قبضتهم . وحتى تخرج جيوشهم من كل أرض الإسلام، مسلولة الحد كسيرة الجناح. عاجزة عن تهديد أي مسلم)(ويكيبيديا).

ثانيا: الأصول الفكرية لتنظيم القاعدة: التأثير الفكري لعبد اللّه عزام: هو "الأب الروحي" لأسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة حتى اغتياله على يد قوات خاصة امريكيه، ويرى بعض الباحثين انه على أساس فكرة القاعدة الصلبة التي أطلقها عبد اللّه عزام ، والتي ذكرت لأول مرة في مقال له في صحيفة شهرية أسمها "الجهاد" في إبريل 1988 أعلن أسامة بن لادن في نهاية نوفمبر وبداية ديسمبر 1989 في مدينة "يشاور" عن قيام هذا التنظيم.

نظرية الجهاد الإسلامي العالمي: ويستند فكر عبد اللّه عزام على نظرية الجهاد الإسلامي العالمي، والتي تقوم على اعتبار ان

أساس قـــوة الإسلام العالمي يجب أن يتـركز في أرض إسلامية واحدة، وأنه بالجهاد يمكن الانتصـــار على الكافريـــن المعتدين، وإقامة دولة الإسلام وتحريرهـــا (أفغانستان)، وبعد ذلك الانتقال لأرضـــ إسلامية أخرى، التي توجد بها نفســـ الظروف (فلسطين)، ومن ثم حتى الوصـــول إلى تحرير جميع الأراضي الإسلاميـــة، وإقامـــة الخلافـــة الإسلاميـــة، والتي تبدأ مـــن اندونيسيا في الشرق حتى المغرب، وأسبانيـــا في الغرب. حتى نصل إلى تحريـــر جميع الأراضي الإسلامية فيمكن العمل على إنشاء -ولـــو مؤقتاً- الجهاد على أرضـــ إسلامية سيكـــون مستقبلها التحرير (مثـــلاً في مصـــر والجزائـــر)، وأيضـــاً في دول تكون فيهـــا المواجهات بين المسلمين المستضعفين أمام حكامهم المسلمين وغير المسلمين.

الجهاد يبـــدأ بـ" العدو القريب" وليس" العدو البعيد ": كما كان عبد اللّه عزام يرى أن الجهاد من أجل تحريـــر أفغانستان يبدأ في الحقيقة ضد الحكام المسلمين الكفار " العدو القريـــب "، وليس ضد السوفيـــت " الجهاد البعيـــد " (عبـــد اللّه عزام وتأثـــير مذهبه الفكـــري على مفهـــوم الجهـــاد والاستشهاد عند القاعدة وحماس ،أساف مليح، ترجمة مركز عـــكا لمتابعة مستجـــدات الشـــأن الإسرائيلي) . لكن بن لادن وتنظيم القاعدة سيتبنـــى في مرحله لاحقه معادلة عكسية هـــي ان جهـــاد العدو البعيد( والذي سيصبح أمريكا) أولى من جهاد العدو القريب (الحكام المسلمين).

السلفيـــة الجهاديـــة: ويرى اغلب الباحثين ان "السلفية الجهادية" تشكل الأساس الفكري لتنظيم القاعدة، وهي محاولة للتوفيق بين السلفية والحنبلية وفكر سيد قطب (الجهادي) والسرورية (والقائمة أيضـــا على محاوله التوفيق بين بعض أفكار الإخوان المسلمين والسلفية)، هذه المحاولة انتحت نسقـــا فكريا متمايزا عـــن مكوناته السابقة، يجمع بـــين الطابع العقدي السلفي والطابع السياســـي القطبي. وقد كان تشكل السلفية الجهادية الكامل أثناء مرحلة الجهاد الأفغاني وصفوف العرب الأفغان بالخصوص.

فتـــوى أهل ماردين: وقد استنـــد تنظيم القاعدة وغيره من تيارات السلفية الجهادية في اباحة قتال الحـــكام المسلمين إلى فتوى الإمام ابن تيميـــة في أهل ماردين الشهيرة بـ"فتـــوى التتار" غير انـــه قد توالى نقد هذا التفســـير لهـــذه الفتوى من زوايـــا عديدة (أهمهـــا أنه يتناقض مـــع مذهب ابن تيميه في عدم جـــواز الخروج على الحاكم المسلم حيـــث يقول في الفتاوى مثلا "والصبر على جور الأئمـــة أصل مـــن أصول أهـــل السنة والجماعة"(مجمـــوع الفتـــاوى ، 28) (- بدءا من كتـــاب الجماعـــة الإسلامية المصرية حولها في سلسلة تصحيـــح المفاهيم، حتى

مؤتمر ماردين الذي عقده مركز الفجر للوسطية الذي يرأسه الشيخ عبد الله بن بيه، وجامعة ماردين بتركيا وخمسة عشر من الباحثين والعلماء الشرعيين).

مفهوم التترس: كما استند تنظيم القاعدة وكثير من تنظيمات السلفية الجهادية إلى قاعدة التترس: اي جواز قتل المسلم إذا تترس به الكافر، كأساس شرعي لتبرير بعض العمليات العسكرية التي يترتب عليها قتل المسلمين، غير ان كثير من العلماء يرى ان هذا التبرير غير صحيح للآتي:

أولا: أن التترس لا يكون إلا في حالة الحرب(الاشتباك العسكري).

ثانيا:أن من أباحه جعل له شروطا لا تنطبق على هذه العمليات وهي أن تكون المصلحة منه:

1 - ضرورية (أي لا يحصل الوصول إلي الكفار إلا بقتل الترس). 2- كلية (اي أن عدم قتل الترس يترتب عليه أن يستولى الكفار على كل الامة). 3- القطعية(أن تكون المصلحة حاصلة قطعا). ( القرطبي ، الجامع لأحكام الفران، ج16، ص285) .

وان هناك من الفقهاء من حرم قتل الترس كالإمام مالك استنادا إلي الاية (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطاوهم فتصيبكم منهم معرة دون علم.. ليدخل الله في رحمته من يشاء.. لو تزايلو لعذبنا الذين كفروا عذابا أليما) فالاية تفيد وجوب مراعاة الكافر في حرمه المسلم.

مذهب ايجاب قتال غير المسلمين (إطلاقاً): كما استند تنظيم القاعدة الى المذهب القائل أن الإسلام أوجب قتال غير المسلمين(إطلاقاً)، وغزو العالم لنشر الدعوة، وهو مذهب سيد قطب في تفسير سورة التوبة (سيد قطب، في ظلال القرآن ج10، ص564) ومذهب تقي الدين النبهاني مؤسس حزب التحرير إلى ذلك في قوله: (إن قول رسول الله عليه الصلاة والسلام وفعله يدل دلالة واضحة على أن الجهاد هو بدء الكفار بالقتال لإعلاء كلمة الله ونشر الإسلام) غير انه يربط هذا الجهاد بشرط قيام دولة الخلافة.

غير ان كثير من العلماء يرى ان هذا المذهب مبني على أخذ مذاهب الفقهاء الذين بنوا اجتهادهم على واقعهم، وهو واقع الدولة غير ثابتة الحدود متعددة الشعوب والقبائل دون مراعاة واقعنا، واقع اكتمال تكوين الأمم وانتهاء طور القبيلة، وما أفرزه من الدولة ثابتة الحدود والشعب الواحد، يقول الشيخ محمد أبو زهرة في معرض حديثه عن آراء الفقهاء في عدم جواز الصلح الدائم (...ولقد أثاروا تحت تأثير حكم الواقع الكلام في جواز إيجاد معاهدات لصلح دائم، وإن المعاهدات لا تكون إلا بصلح مؤقت لوجود مقتضيات هذا الصلح، إذ أنهم لم يجدوا إلا حروباً مستمرة مشبوبة موصولة غير مقطوعة إلا بصلح مؤقت) (محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام "الدار القومية، القاهرة، 1384م، ص78-79)...

الخلاف حول جواز قتل المدنيين: كما سبق ذكره فانه في عام 1998، شارك أسامة بن لادن وأيمن الظواهري وآخرين في توقيع وإصدار فتوى تحت اسم الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين، أعلنوا فيها (إن حكم قتل الأمريكيين وحلفائهم مدنيين وعسكريين فرض عين على كل مسلم في كل بلد متى تيسر له ذلك..) وطبقا لهذه الفتوى فان تنظيم القاعدة وغيره من تنظيمات السلفية الجهادية يجيز قتل المدنيين من الأعداء وحلفائهم، وهنا كان أهم نقطة خلاف بين تنظيم القاعدة والعديد من الشخصيات والتنظيمات الاسلامية، والتي ترى ان حرمة قتل المدنيين قطعية، لورود الكثير من النصوص اليقينية الورود القطعية الدلالة القطعية في النهي عن قتل المدنيين كالنساء والولدان والشيوخ والأجراء والرهبان منها ما روي عن أنس بن مالك (رضي الله عنه): أن

الرسول صلى اللّه عليه وسلم كان إذا بعث جيشاً قال: (انطلقوا باسم اللّه لا تقتلوا شيخاً فانياً و لا طفلاً صغيراً ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن اللّه يحب المحسنين)(رواه أبو داود في السنن). ، فضلا عن اتفاق جل الفقهاء على القول بحرمة قتل المدنيين (او من لم يكن من أهل المقاتلة و الممانعة بتعبيرهم) (د. عصام دربالة ،حكم استهداف المدنيين أثناء الجهاد،موقع الجماعة الاسلاميه بمصر ).

ثالثا: المواقف المتعددة من لتنظيم القاعدة و أصوله الفكرية :

**أ/ الاتفاق:**

السلفية الجهادية: ويتفق مع تنظيم القاعدة فكريا وأحيانا تنظيميا أيضا كثير من التنظيمات التي أطلق عليها اسم السلفية الجهادية أهمها احد أجنحه تنظيم الجهاد المصري بقياده أيمن الظواهري، والجماعة المسلحة والجماعة السلفية للدعوة والقتال بالجزائر، والجماعة الاسلامية المقاتلة في ليبيا، والجماعة المغربية المقاتلة في المغرب، وجماع ةجند أنصار اللّه وتنظيم الجهاد والتوحيد بغزه، وتنظيم دوله العراق الاسلاميه بالعراق.

**ب/ الاختلاف:**

السلفية الدعوية: وقد قام كثير من دعاة التيار السلفي(الدعوي) بنقد كثير من أفكار ما أطلق عليه اسم السلفية الجهادية عامة وتنظيم القاعدة خاصة باعتبارها خروجا على المنهج السلفي عامة والمذهب الحنبلي خاصة، منهم عبد العزيز بن باز وعبد العزيز بن عبدا للّه آل الشيخ وصالح بن فوزان الفوزان وصالح اللحيدان ومقبل بن هادي الوادعي من السعودية، وصالح الغربي من المغرب (كتاب طواغيت الخوارج بالمغرب بين الفتاوى التكفيرية والأعمال الانتحارية الإجرامية"، ط1 المغرب، 2006) وعمر البطوش من الأردن (كتاب كشف الأستار عما في تنظيم القاعدة من أفكار

المتطرف المصري: ايمن الظواهري

وأخطار).

القرضاوي: وقد اصدر الدكتور يوسف القرضاوي في كتاب "فقه الجهاد. . دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة" عرض خلاله التأصيل الشرعي لأحكام الجهاد في الإسلام، رفض فيه مذهب إيجاب قتال غير المسلمين (إطلاقاً) - والذي يستند إليه تنظيم القاعدة- واستند في رفضه إلى أقوال العديد من الفقهاء. . .

وقد رفضت مواقع تنظيم القاعدة على شبكة الإنترنت اجتهادات القرضاوي باعتبار أنها تهدم الأساس الفكري والشرعي الذي قامت على أساسه، فقد نشرت منتديات البراق الإسلامية التابعة لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين ردا على الكتاب تحت عنوان "الرد الكامل على كتاب فقه الجهاد للقرضاوي".

الجماعة الاسلاميه بمصر: كما كانت الجماعة الإسلامية بمصر أكثر الجماعات الاسلامية انتقادا للكثير من أعمال تنظيم القاعدة ، حيث يقول قادتها في كتاب لهم أن تنظيم القاعدة (أضر بالإسلام عظيم الضرر في كل مكان، ففي القضية الفلسطينية أصبح نزفها أكثر من ذي قبل وتراجعت في ضمير العالم إلى المقاعد الأخيرة من حافلة الأحداث، كما انه تسبب في احتلال أفغانستان ومحو هويتها وضياع كفاح شعبها، كما ان تنظيم القاعدة ساعد بتفجيراته في 11 سبتمبر في احتلال العراق وتفكيك هويته وجرأة أميركا على العالم الإسلامي كله). وعما يطرحه تنظيم

القاعدة عن جـــواز قتال العدو يقول الكتاب (ان هذا الجواز ليس مطلقا، وإنما هو مقيد بأن يغلب على الظن ان تتحقق به المصلحة للإســـلام والمسلمـــين أمـــا إذا لم تتأت منه مصلحة أو كانت مفسدته تربو على مصلحته فلا أحد يقول بجواز ذلك القتال). كما يرى الكتاب (ان الصـــدام المسلح مع الحكومات والخـــروج عليها لن يكون الحـــل المناسب، ولـــن يأتي بالمفقود من أحكام الشريعة، بل انـــه قد يؤدي إلى ضياع بعض الموجود منها والى ضياع الكثير مـــن المصالح الضرورية لتحل محلها مفاسد عظيمة الأمة في أمس الحاجة إلى دفعها..)).

## ب. داعش (الدولة الاسلامية في العراق والشام):

نشـــرت صحيفة القدس العربـــي بتاريخ 2014/8/23 مقالا تحـــت عنوان(داعش: فرقة من عصر الجاهلية في إقتحام مؤقت للقرن الواحد والعشرين) يشتمل على نبذة مفيدة عـــن اشهر الحركات المتطرفة التي برزت على الساحة العالمية مؤخرا، نقرأ فيه:

((الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) جماعـــة لا تنتمي إلى عصـــر الحضارة ولا علاقة لها بالإسلام ولا بالإنسانية ولا بالقانون ولا بالأعراف أو التقاليد بل تنتمي إلى عصر الجاهلية والوحشية وحرب البسوس وداحس والغبراء وأقرب إلى بيئة عمرو بن كلثوم، فما إن ينقلوا إلى قوم رحاهم يتركونهم بعد اللقـــاء طحينا وسيوفهـــم «يدهدهن الرؤوس كما يدهدي حزاورة بأبطحها الكرينا» وأما في الجهالـــة فيجهلون فوق جهل الجاهلين. يجزون الرؤوســـ ويبيعيون فائضـــ النساء لديهم في سوق عكاظ جديد. ليس لهم من رحمة الإسلام وتسامحه واحترامه للآخرين نصيـــب. أيديولجيتهم تقـــوم على الترهيب والإرهـــاب وجني الغنائم مـــن نساء وأموال وتكفير الآخـــر والتطهير العرقي للأقليات. لا تأخذهم شفقة أو رحمة أو عقلانية ولديهم قناعة بأنهـــم صفوة هذه الأمـــة ورصاصتها الصائبة التي ستقيـــم دولة الخلافة الراشدة، حتى ولو على أكوام من جماجم وتلال من قتلى. فمن أين جاؤوا وكيف نموا وكيف تقدموا وكيف سيطروا وكيف سينهارون؟ البداية من أفغانستـــان- عندما بارك ريغان الجهـــاد في لقاء في المكتـــب البيضاوي في البيت الأبيض عام 1985 بين زعماء المجاهدين الأفغـــان، كما كانـــوا يسمـــون، والرئيس الأمريكـــي رونالد ريغان قـــال مخاطبا الوفد الرفيـــع الذي شمل شـــاه مسعود وحكمتيار وصبغة اللّه مجددي وعبد اللّه عبد اللّه، قال لهم ريغان «إنكم تذكرني بآبائنا المؤسسين للجمهورية الأمريكية».

الدولة الإسلامية في العراق والشام

يومهـــا كان الجهاد ضـــد السوفييت حلالا زلالا وبعد طردهم من أفغانستان بعد عشر سنوات من «الجهاد» المحلل بفتوى أمريكية تخلـــى الجميع عنهـــم وأصبحـــوا مطاردين ملعونـــين في كل مكان حتـــى دولهم التي سهلـــت تطوعهم إرضـــاء للسيد الأمريكي لم تسمـــح لهم بعودتهـــم فتفرقـــوا في الأصقاع فاستقـــر بعضهـــم في كشمـــير والبوسنـــة وكوسوفـــو واليمـــن والصومـــال والسودان والجزائر والشيشان. أعادت حركة طالبان بين عامي 1996 و 2001 لملمة بعضهم في كهوف وشعاب ووديان أفغانستـــان بعد أن أعلنوها إمارة إسلامية بقيادة شكلية لرجل شبه أمي إسمـــه الملا عمر وقيـــادة فعلية لرجل آخر إسمه أسامة بـــن لادن. في كهوف تورا بورا صنعـــت أيديولوجية التطرف الدموي الذي تغذى علـــى المال والفكر الوهابي والتدريب والرعايـــة الباكستانية والتسليح الأمريكي. إنتشـــروا في الأرض بعـــد سقوط كابل في أيدي الجيش الأمريكي فتقطعت بهم السبل وبدأوا يبحثون عن تربة مناسبة ومأوى آمن فاستقر بهم الأمر في عراق ما بعد الاحتلال الأمريكـــي وهناك أعلن مصعـــب الزرقاوي دولته العتيدة «الدولة الإسلامية في العراق». تراجـــع زخم الحركة في العراق بعد مقتل قائدهم الزرقـــاوي في 7 حزيران/يونيو 2006 وقيام القائد الأمريكي الجديد ديفد بتريوس الذي وصل العراق بداية 2007 بعقد صفقة مع رؤســـاء القبائل فيما عرف بالصحوات حيث بدلوا ولاءهـــم وقاموا بطرد عناصر القاعدة من مناطقهم وخاصة الأنبار.

ومن هنـــاك إندلقت هذه الجمـــوع إلى بلاد الشام ثم عادوا إلى العراق وهم الآن يطرقون أبواب لبنان وعيونهم على الأردن كذلك.

إن ممارسات المالكي الطائفية خلال دورتي رئاسته للـــوزارة العراقية هـــي التي أججت القهر والغضب لدى نفســـ تلك الطوائف. فقد شاهدوا براميل المالكي المتفجرة تطلق فـــوق الفلوجة كما فعل المحتل الأمريكي. وكذلـــك الأمـــر في سوريـــا. فالتهميـــش واستهـــداف طائفة بعينهـــا في كلا البلدين قد عززا من الشعور بالغبن والقهر وأصبحت هنـــاك فئات في كلا البلديـــن لا تميز بين تدخـــل وآخر بل أصبحت هناك فئات تدعو علنا إلى التدخـــل في العراق لإنهاء سنوات الظلم الكبير الذي ألحـــق الأذى في البلاد والعباد والشجر والحجـــر. ومن هنا جاءت سرعة إنتشـــار هذا التنظيـــم في مناطق شاسعة في سوريا أولا ثم في العراق ثانيا.

في 10 حزيران/يونيـــو سقطت الموصل بدون أيـــة مقاومة. لقد تبدلـــت الأيدي في لمحة عـــين في منطقـــة غنيـــة بالنفـــط ووسط إنتشار لجيش رسمي مدرب ومسلح بأسلحة أمريكية ذاب في لحظات. فكيف تم ذلك؟ حسب مقال مطـــول لـ «نيويورك تايمز» لقد تم الإتصال بين شيوخ عشائر السنة وقيادات داعش وبترتيب من القائد البعثي المختفي عن الأنظار عـــزت الدوري فوافـــق رؤساء العشائـــر على السماح للتنظيـــم بالعودة إلى مناطقهم نكاية في المالكي. وحسب مصادر صحافية عراقية تقتبسها الجريدة، فإن شيوخ السنة فضلوا التحالف مع داعش ضد نوري المالكي العنصري الذي مارس عليهم كل أنواع التمييز والتهميش والعنف.

**التمويل والتدريب**

لقد كان تمويل هذه الجماعة في البداية وقبل أن تستقل ماليا من دول الخليج وخاصة من السعودية كما يقـــول الكاتب الأمريكي وليم إنغدال صاحب الكتـــاب المشهور «قرن من الحروب : السياســـة البريطانية الأمريكية والنظام العالمي الجديد» (2011). يقول الكاتب إن الجماعـــة قـــد تم تدريبهـــا في معسكـــر صفوي شمال شـــرق الأردن والذي تشرف عليه وكالة المخابرات الأمريكية بمشاركة مخابراتية أردنية وتركية.

وقـــد تم الإعـــلان عـــن المعسكر علـــى أنه مركـــز تدريـــب للمجاهديـــن مـــن غير المتطرفين المعارضـــين لنظام بشار الأسد. وقد شمـــل التدريب الذي شارك فيه الآلاف تقنيات الحرب غير التقليدية والتفجيرات والإرهاب بشكل عام.

وقد بدأ بعض المسؤولين الأردنيين يكشفون

عن بعض تفاصيل معسكر التدريب خوفا من وصول إرهابيي داعش الذين يجزون الرؤوس في الموصل بالمئات إلى حدود الأردن وتوجيه بنادقهم وسيوفهم إلى النظام الأردني لضم الأردن إلى دولة الخلافة التي أعلنوها يوم 29 حزيران/يونيو 2014. وقد أكد أندرو دوران، وهو موظف سابق في الخارجية الأمريكية، أن بعض هؤلاء العناصر يحمل الجنسية الأمريكية. وذهب الصحافي الإيراني صباح زانغانة الى أن من غير المعقول أن داعش تملك القدرة على إحتلال الموصل بهذه السهولة لولا أن قوى إقليمية قدمت مساعدات لها مخابراتية ولوجستية من داخل العراق ومن خارجه.

**القائد الشيشاني**

يعود الفضل في انتصارات داعش الأخيرة إلى القائد الكارزماتي الأمير عمر الشيشاني واسمه الحقيقي (تارخان باتيراشفيلي) الذي أتى من الأقلية الشيشانية في جورجيا وخدم في الجيش الجورجي ثم غادر المنطقة متوجها إلى تركيا عام 2010. وحسب تقرير لـ «وول ستريت جورنال» (1تشرين الثاني/ نوفمبر 2013) إستطاع عمر أن يحول الصراع في سوريا والعراق إلى نزاع جيوسياسي بين روسيا والولايات المتحدة وهو ما يريده المحافظون الجدد ووكالة المخابرات الأمريكية والبنتاغون. وعمر لديه خبرة قتالية عالية وقد تبوأ منصب قيادة القوات في سوريا بعد مقتل أبو عبد الرحمن الأنباري. وقد ظهر في شريط فيديو عند إعلان الدولة وإزالة الحدود بين سوريا والعراق. وجذب عمر أكثر من ألف مقاتل شيشاني من بين 8,000 مقاتل أجنبي في سوريا.

يقول جيفري سيلفيرمان مدير مكتب جورجيا لموقع شبكي مهم إسمه «المحاربون القدماء اليوم» إن هناك برنامجا مشتركا للمخابرات الأمريكية والجورجية تحت غطاء منظمة غير حكومية تدعى «جفاري» تقوم بتهريب بعض المجاهدين القدماء من أيام الاحتلال السوفييتي لأفغانستان والمتطوعين الآخرين إلى سوريا والعراق بمساعدة جورجية وموافقة أمريكية. ويرى سيلفيرمان أن أحداث العراق لها علاقة برغبة الأكراد أن يستقلوا في مناطقهم ويشكلوا دولتهم بعيدا عن الحكومة المركزية. وقد تكون هذه الحلقة جزءا من اللعبة الكبرى التي تخدم المصالح الأمريكية في المنطقة وخاصة في تركيا وسوريا والعراق. وهذا ما يفسر رد الفعل البارد والبطيء والمحدود للولايات المتحدة الأمريكية والتي تشاهد الآن أن «جماعة جهادية» مصنفة كتنظيم إرهابي تسيطر على حقول واسعة للنفط.

**هل للتنظيم من مستقبل في المنطقة؟**

نعتقد أن المجموعة قد وصلت أقصى درجات تمددها ولم يبق أمامها إلا التراجع أو الانهيار. لقد تمددت كثيرا في سوريا أولا منذ نيسان/أبريل 2013 وقامت بالتخلص من كل التنظيمات المعارضة لها حتى ولو كانت إسلامية مثل «جبهة النصرة» و«أحرار الشام» و«الجبهة الإسلامية» كما تجنبت في البداية الاصطدام مع قوات النظام ثم إرتدت شرقا إلى العراق ونقلت كثيرا من المقاتلين إلى هناك. لقد أستعدت الحركة كل الأطراف وكل الدول وكل الفصائل ولم يبق أحد يمكن أن يؤيد مثل هذه الجماعة الدموية. صحيح أنها سيطرت على أموال طائلة من الموصل خاصة، تقدر بأكثر من نصف مليار دولار كما أنها تسيطر على عدد من حقول النفط في سوريا والعراق وقد قامت فعلا ببيع شحنات من النفط السوري، إلا أن الحركة ليس لها مستقبل كما أسلفنا. لقد إرتدت على السنة وأعملت فيهم السيف كما فعلت مع

الشيعة والأقليات المسيحية واليزيدية ثم تقدمت نحو الأكراد والذين يعتبرون بالنسبة للولايات المتحدة خطا أحمر. وقد تدخلت الولايات المتحدة فعلا عندما تقدمت داعش نحو مناطق الأكراد. وبدأ الأكراد يحاربون التنظيم بجد ويخرجونه من مناطقهم كما فعلوا قرب سد الموصل بدعم أمريكي وسيتبنى الأكراد في المستقبل أي انتصار على داعش على أمل تعزيز دورهم والإقتراب من إعلان الاستقلال.

الأوضاع في العراق تتجه إلى شيء من الاستقرار البطيء بعد سقوط المالكي.

وأوضاع داعش في سوريا مرشحة للتفكك بسبب غياب الحاضنة الشعبية ومعاداة كافة فصائل المعارضة لها بالإضافة إلى النظام. فلا يمكن لهذا التنظيم أن ينمو نموا طبيعيا في موئل طبيعي لأن شعوب المنطقة تعتبره غريبا عليها وعلى البيئة العربية والإسلامية ويفرض وجوده عن طريق الرعب والإيغال في العنف وارتكاب المزيد من الحماقات التي لا تمت إلى الإنسانية بصلة كذبح السجناء بالسيف والإعدامات الجماعية والتهجير وسبي النساء وبيعهن كغنائم حرب وهدم المعابد والمزارات وخطف الأجانب كالصحافيين وخطف خمسة أطباء من منظمة «أطباء بلا حدود» الإنسانية وقتل وتشريد الأقليات الأصيلة التي تعتبر جزءا أصيلا من مكونات المنطقة الحضارية والتاريخية والثقافية.

فهل بقي هناك أحد في هذا الكون لا يعتبر هذا التنظيم الإرهابي عدوا مباشرا له؟ وقد جاء قرار مجلس الأمن الأخير (2170) الذي إعتمد بالإجماع تحت الفصل السابع إعلانا لمرحلة العد العكسي لنهاية مأساوية لهذا التنظيم. الشيء المؤسف أنه سيأخذ معه الآلاف من الأبرياء أثناء تدحرجه نحو الهاوية)).

## ج- جبهة النصرة:

نشر موقع العنكبوت بتاريخ 2013/9/26 مقالا

بعنوان (كل ما أردتم معرفته عن جبهة النصرة) جاء فيه:

((خلال الحرب الأهلية في سوريا، وجد تنظيمان تابعان للقاعدة مقرًا لهما بين تنظيمات الثوار، الذين يقاتلون لإسقاط نظام بشّار الأسد. الأبرز بينهما هو جبهة النصرة، الخاضعة اليوم مباشرةً لزعيم القاعدة أيمن الظواهري. إلى جانبها يعمل تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام"، والتابع لتنظيم القاعدة في العراق. إضافةً إليهما، تنشط في سوريا اليوم تنظيمات عسكرية جهادية – سلفية، ليست محسوبة بالضرورة على القاعدة. عدد الناشطين في شعبتَي القاعدة في سوريا يُقدّر بستة آلاف إلى سبعة آلاف شخص، وهو في تزايد مستمر حسب تقدير المركز الإسرائيلي للاستخبارات والإرهاب.

بين فرعَي القاعدة في سوريا، جبهة النصرة هي التنظيم الأبرز. تمّ الإعلان عن إنشاء التنظيم في نهاية كانون الثاني 2012، بعد نحو عشرة أشهر من اندلاع الانتفاضة في سوريا. في البداية، عمل التنظيم كفرع لـ "الدولة الإسلامية في العراق"، إطار تابع لتنظيم القاعدة في العراق. وبهدف تصديق ذلك رسميًا، أعلن أبو بكر البغدادي، زعيم القاعدة في العراق في نيسان 2013 عن توحيد التنظيمَين في تنظيم واحد أطلق عليه اسم "الدولة الإسلامية في العراق والشام". لكنّ جبهة النصرة لم تحترم هذا الإعلان، الذي ألغي رسميا في حزيران 2013 من قبل أيمن الظواهري، زعيم تنظيم القاعدة، الذي قرّر أنّ جبهة النصرة هي ممثله الرسمي في سوريا. وكنتيجة لذلك، بدأ انقسام بين شقّي

القاعدة في سوريا، واليوم يعمل في سوريا تنظيمان متنافسان ينازع أحدهما الآخر.
من الناحية الأيديولوجية، تُحسَب جبهة النصرة على الأيديولوجية الجهادية السلفية لتنظيم القاعدة. وهي تسعى إلى إقامة خلافة إسلامية في سوريا الكبرى (الشام الذي يشمل أراضي سوريا، لبنان، الأردن، إسرائيل، وفلسطين)، يجري الاحتكام فيها إلى الشريعة الإسلامية. جبهة النصرة معادية للغرب ولإسرائيل، ترفض القيم الغربية (الديمقراطية، التعددية، وحرية العبادة)، وبالتالي تعارض كل تدخل غربي أو دولي في الحرب الأهلية في سوريا. تعادي جبهة النصرة كذلك طوائف الأقليات في سوريا، لا سيّما العلويين والشيعة، الذين تعتبرهم كفّارًا. وهي تبرز الجهاد بصفته طريقة العمل المختارة لإسقاط النظام السوري وتطبيق باقي أهدافها، وتراه واجبًا شخصيًا على كل مسلم (بوحي من عبد اللّه عزام المرشد الأيديولوجي لابن لادن).
يسعى كلٌّ من جبهة النصرة، ممثلة القاعدة في سوريا، و"الدولة الإسلامية في العراق والشام"، التي تعمل خلافًا لتوجيهات أيمن الظواهري (كل على حدة) لدعم استراتيجية طويلة المدى ومتعددة المراحل: المرحلة الأولى من عملهم تهدف إلى امتلاك سلطة بين مجموعات المتمردين ووضع الأساس لبنية تحتية جهادية صلبة، تساعد على إسقاط نظام بشار الأسد، وذلك بتعاون (ولو جزئي وعَرَضي) مع مجموعات ثوّار أخرى، لا سيّما مجموعات ذات طابع إسلامي. في المرحلة الثانية، يطمح الفريقان إلى السيطرة على النظام السوري الجديد الذي سينشأ بتوحيد كل القوى الجهادية – السلفية الناشطة في دمشق، أو على الأقل امتلاك تأثير كبير فيه. حسب رأيهم، سيسعى النظام السوري، الذي سينشأ في دمشق (أو أي نظام آخر يكون للجهاديين تأثير عليه) إلى إقامة خلافة إسلامية في سوريا الكبرى، تشكّل فرعًا أماميًا للقاعدة والجهاد العالمي في لُبّ الشرق الأوسط.
وسيدير فرع القاعدة هذا منظومة إرهابية ضدّ إسرائيل من جبهة هضبة الجولان، "تُصدّر" الإرهاب للدول الغربية ولدول أخرى في أرجاء العالم، وتشكّل مركز تآمُر وإرهاب ضدّ دول عربية وإسلامية موالية للغرب.

**تقدير القدرات العسكرية لجبهة النصرة**

جبهة النصرة هي التنظيم الأبرز بين عدّة تنظيمات جهادية سلفية تشارك بشكل فاعل في الحرب الأهلية السورية. على رأسها زعيم، يُدعى "الأمير" وهو لقب متعارَف عليه في التنظيمات الجهادية المعاصرة. معنى هذا اللقب هو أنّ القائد هو شخصية سياسية ودينية في آن واحد، كما كان في بداية الإسلام. يخضع للأمير "أمراء" محليون، في المحافظات والمدن السورية (أحيانًا يحكم عدة "أمراء في المحافظة نفسها). تُدعى الهيئة الأعلى لجبهة النصرة "مجلسّ شورى المجاهدين". في القيادة العليا لجبهة النصرة هناك هيئات دنيا ذات أهداف محددة وناشطون يعملون في العمليات، تجنيد الأموال، امتلاك وسائل القتال وتهريبها إلى سوريا، الشؤون الدينية، الإعلام، والعلاقات الخارجية. تشغّل قيادة جبهة النصرة أطرًا عسكرية في المحافظات المختلفة (وحدات عسكرية تُدعى غالبًا "ألوية" و"كتائب"). إلى جانبها تعمل أجهزة حاكمة، شرعية، وإعلامية، يهدف عملها إلى تقوية تأثير جبهة النصرة على السكان، استمالة ولائهم، وملء "الفراغ" الناتج عن مغادرة النظام السوري مناطق واسعة من سوريا.
قائد جماعة جبهة النصرة هو مقاتل

ميـــداني خبير يُكنّى "أبـــا محمد الجولاني" (ثمة صيـــغ عديدة لاســـمـــه الحقيقي تناقض إحداها الأخـــرى، ولا يمكن التأكد منها). هو إذًا ناشط، أصلـــه سوري كما يبدو (من هضبة الجولان) راكـــم خبرة عملياتية في العـــراق في الحرب ضـــدّ الولايات المتحدة وحلفائهـــا، كان يُعتـــبَر في الماضـــي من مناصري أبـــي مصعب الزرقـــاوي، الذي كان يترأســـ المجاهديـــن الذيـــن أرسلتهم القاعـــدة إلى العـــراق إثر الغـــزو الأمريكي (آذار 2003). أرسلـــت القاعـــدة في العراق أبا محمّد الجولاني إلى سوريا لينشئ فيها جبهة النصـــرة. في قيادة جبهـــة النصرة يبرز نشطـــاء آخـــرون في القاعـــدة، امتلكوا هم أيضًـــا خبرة عملياتية في العـــراق. وإضافةً إليهـــم، يقاتل ضمن التنظيم آلاف الناشطين الجهاديين مـــن دول عربية/ إسلامية (يبرز بينهم 500 – 600 ناشط من الدول الأوروبية، لا سيّما فرنسا وبريطانيا). ويُتوقع أن يعود من يبقـــى منهم إلى مواطنهـــم بعد فترة القتال في سوريا (يُقدّر عدد الناشطين الأجانب في سوريا اليوم بنحو 5 آلاف، معظمهم ناشطون ضمن جبهة النصرة).

أعلنـــت جبهـــة النصـــرة مسؤوليتها عن مئـــات التفجيرات التـــي نفذتها. مراكز النشـــاط العسكري لجبهة النصرة و"الدولة الإسلاميـــة في العـــراق والشام" هي منطقة دمشـــق ومناطق شمـــال سوريـــا وشرقها (حلـــب، حمصـــ، حمـــاة، إدلـــب، ودير الزور). كذلك، لدى جبهة النصرة نشاط عسكـــري مكثّف في منطقة درعا، جنوب سوريـــا، حيث بـــدأت الانتفاضـــة ضدّ نظام الأسد. في عدد من محافظات شمالي سوريا وشرقيهـــا، يحظى التنظيم بقدر كبير من التأثير علـــى السكان المحليـــين (بالتعاون مع تنظيمات إسلاميـــة أخرى). بالمقابل، ليس لجبهة النصرة والتنظيمات الجهادية الأخرى حضور عسكري أو إداريّ يُذكَر في الساحل، حيث يقطن العلويون (طرطوس – اللاذقيـــة)، أو في محافظة السويداء، حيث الطائفة الدرزية حاضرة بقوّة. تحاول جبهة النصـــرة الاستقرار في هضبة الجولان أيضًا. نظّـــن أنها ليست لديهـــا هناك قوة عسكرية تُذكَـــر حاليًا، رغم أنهـــا تمكنت مرةً من تنفيذ تفجير انتحاري، ألحق الضرر برمز حكومـــي هامّ للنظام السوري (تفجير مبنى في بلدة سعسع، كان مقرًّا لفرع الاستخبارات العسكرية لمحافظة القنيطرة).

في المحافظـــات المذكورة آنفًـــا، تخوض جبهـــة النصرة حـــرب عصابـــات وإرهابًا ضدّ قواعد، منشـــآت، وشخصيات محسوبة علـــى الجيش السوري والنظـــام السوري (لا سيّما الجيش والقـــوى الأمنية والمؤسسات الحكوميـــة). هدف هـــذا النشاط هو خلق فوضـــى بين النظـــام والموالين لـــه، الفصل بين المناطق التي يسيطـــر عليها النظام، المسّـــ بقدرة النظـــام ومؤيديه على الحُكم، ومنح جبهة النصرة (ومجموعات متمردة أخرى) سلطةً على مناطق نفوذ واسعة، لا سيّمـــا شمال سوريا وشرقها. لذلك، تستخدم جبهة النصـــرة تكتيكات قتـــال متنوعة: تفجـــير سيـــارات مفخخة عـــبر إرهابيين انتحاريـــين أو عـــبر جهاز تحكـــم عن بُعد؛ تفجـــيرات انتحارية عبر أحزمـــة ناسفة؛ مهاجمة قواعـــد، منشآت، ومطارات عبر إطـــلاق نار بسلاح خفيـــف ومدافع هاون؛ وضع عبوات ناسفة في محاور سير مركزية (نمط عمل "اختصّـــ" فيه نشطاء التنظيم في العـــراق)؛ ومهاجمة حواجـــز للجيش وقوى الأمن.

إنّ التفجيرات الانتحارية التي تنفّذها جبهة النصـــرة في سوريا هي مـــا يميّزها (أعلنت ا لجما عـــة مسؤ و ليتهـــا عـــن معظـــم التفجـــيرا ت الانتحاريّـــة). منحـــت التفجـــيرا ت الا نتحاريـــة، لا سيّمـــا تلك التـــي نُفّذت

المتطرف السوري: ابو محمد الجولاني

في دمشق وحلب، جبهة النصرة "قيمةً مضافة" في الجانب العملياتي، كما آلمت النظام السوري. مع ذلك، فإنّ هذه العمليات، حتى عندما نجحت، أعطت انطباعًا سلبيًا عن الجبهة. فقد زادت من خشية الدول الغربية والدول العربية من تسلّل عناصر القاعدة إلى صفوف الثوّار، وقلّلت من استعدادهم لدعم معارضي النظام السوري. كما أنّ هذه العمليات الانتحارية لجبهة النصرة تُبعد عنها أجزاء من الشعب السوري، إذ إنّ التفجيرات لا تميّز، وقد قُتل في عددٍ منها مواطنون أبرياء، صودف وجودهم في مكان التفجير. يبدو أنّ طريقة العمل هذه "استُعيرت" من الصراع في العراق، الذي يتميّز منذُ سنوات بعمليات انتحارية تنفذها القاعدة في العراق، التنظيم المشرف على جبهة النُصرة.

تتعاون جبهة النصرة وتنظيمات جهادية – سلفية أخرى مع مجموعات ثوار ذات طابع إسلامي، ليس بالضرورة تلك المحسوبة على فكر القاعدة. كذلك يتم التعاون، لتحقيق هدف مشترك، بينها وبين الجيش السوري الحر، التنظيم الأبرز في القتال ضدّ النظام السوري، ذي الطابع السوري الوطني العلماني (رغم أنّ كثيرين من ذوي الهوية الإسلامية الواضحة يقاتلون في صفوفه). في عدة أماكن، ثمة تعاون عسكري بين جبهة النصرة وبين الدولة الإسلامية في العراق والشام، رغم الخصومة بينهما. بالتباين، ثمة توتر بين جبهة النصرة وتنظيمات جهاديّة سلفيّة أخرى من جهة وبين الجيش السوري الحُرّ من جهة أخرى، تحوّلت إلى حوادث عنيفة في عدة حالات. كذلك، ثمة اضطرابات بين التنظيمات الجهادية نفسها. في هذه المرحلة، ما دام القتال ضدّ النظام السوري – العدو المشترك – قائمًا، يفضّل شركاء الثورة احتواء التناقضات الأساسية ومنع تحوّلها إلى مواجهة شاملة. لكن، في "اليوم التالي"، وربما قبل ذلك، قد تتطوّر في سوريا صراعات عنيفة على السلطة، حول هوية النظام السوري العتيد،

المتطرف الاردني: ابو مصعب الزرقاوي

الذي ستلعب فيه جبهة النصرة دورًا هامًا.

المساعدة المدنية للسكان السوريين

تحول عدد من مناطق شمال سوريا وشرقها، التي سقطت بيدَي جبهة النصرة ومجموعات متمردة أخرى إلى ما يُدعى "مناطق محرّرة". تنسب جبهة النصرة أهمية كبرى لتقديم العون للسكان في هذه المناطق ولوضع الأسس لبديل حكومي في هذه المناطق، غير الخاضعة حاليًا لسيادة النظام السوري. وبهدف جعل المساعدة أكثر نجاعةً وتفعيل الخدمات العامة، أقامت جبهة النصرة هيئات ذات أهداف محدّدة، تعمل في المحافظات المختلفة. تعمل هذه الهيئات في توزيع الطعام، الملابس، البطانيات، ومنتجات استهلاكية أخرى، وفي تفعيل أنظمة قضاء، شرطة، تربية، وصحة. وتحدث مراسلون غربيون، زاروا "المناطق المحرّرة" عن رضى السكان في معظم الحالات من عودة الحياة اليومية إلى طبيعتها، بعد انسحاب النظام السوري. لكن، في عدة أماكن، بدأت تُسمَع الانتقادات من جانب السكان، بشكل خاصّ بسبب تطبيق قواعد سلوك إسلامية متشدّدة (الحفاظ على لباس محتشم للنساء مثلًا) وأنماط سلوك وحشية (التحكم بالموارد، إعدام الأسرى، إساءة معاملة أبناء الأقليات الدينية).

في شمال سوريا وشرقها، تمكنت جبهة النصرة وحلفاؤها من السيطرة على بنى تحتية حكومية حيوية: مطارات، أنابيب

نفـــط وغاز، سدود، محطـــات طاقة لإنتاج الكهرباء، ومخازن محاصيل. تستفيد جبهة النصرة ومجموعات متمـــردة أخرى من هذه البنى التحتية، وأحيانًا باتفاقات هادئة مـــع النظام السوري (مثـــلا، بيع نفط وغاز للنظـــام الذي يقاتلون ضـــدّه). توفّر الأرباح المالية الناتجـــة (لا سيّما من حقول النفط) دخلًا شهريًا مرتفعًا لجبهة النصرة، يعينها على تمويـــل دفـــع الرواتب، شـــراء وسائل القاتل، وتقديم الدعم للسكّان...

علـــى أية حـــال في الوقت الحـــالي (صيف 2013) فإنّ جبهة النصرة المعرّفة كمنظمة إرهابيـــة في الولايـــات المتحـــدة وعدد من الدول الأوروبيـــة، هي أحد أبرز التنظيمات بين الثوار، حيث تزداد القدرات العملياتية للجبهة وتأثيرها في السكّان. في هذه الأثناء، يعطـــي التنظيم الأولوية للقتـــال ضدّ النظام السوري حتّى إسقاطه على تحكيم الشريعة الإسلاميـــة في سوريا وتعزيـــز جدول أعمال جهـــادي - إرهابي، إقليميًـــا ودوليًا. لذلك تنتهج الجبهة، في الغالب سياسة براغماتية، تسعى في إطارها إلى التحالف مع مجموعات متمـــردة أخرى (كذلك تلك البعيدة كليًا عن القاعـــدة) تمتنع عادةً عن فرض وجهة نظرهـــا بالقوة على المواطنين السوريين في الأماكن التي احتلتها، وتبذل جهودًا دؤوبة لمساعدة السكان المحليين وملء الفراغ في السلطة، الناتج في "المناطق المحرّرة".

لكن على المدى المتوســـط والبعيد، يُتوقّع أن تحاول جبهة النصرة وتنظيمات جهادية سلفية أخرى الاستيلاء على الثورة السورية (إن نجحت) في طريقها لتحقيق حلمها في الخلافة الإسلامية في سوريا الكبرى. وحسب تقديرنا، فـــإنّ تحقيق هذا الهـــدف الأسمى تحول دونه صعوبات عديدة، كنتيجة للطابع السياسي والاجتماعي لسوريا كدولة متعددة المذاهـــب والأديـــان، وذات تقليد سلطوي وأيديولوجي من القومية العربية أو السورية العلمانية. ويمكن أن نضيف إلى ذلك الشرخ الكبـــير القائم بين المجموعـــات الإسلامية الناشطة في سوريـــا، حتى بين المجموعات المحسوبـــة علـــى القاعدة. نتيجـــة لذلك، يمكـــن التقدير أنّ حظـــوظ جبهة النصرة بالسيطـــرة علـــى الثـــورة السوريـــة وإقامة نظام سوري محســـوب على تنظيم القاعدة ليست مرتفعة. لكن مع ذلك، نعتقد أنّ في وسع التنظيم جمعَ قـــوة والتحوّل إلى لاعب مركزيّ في "اليوم التـــالي" أيضًا، لا يمكن تجاهله، ويصعب جدًا سحقه.

كذلـــك اليـــوم، تبرز جبهـــة النصرة بين مجموعـــات الثـــوار لقدراتهـــا العسكريـــة والمالية، الجهاز القيادي والسلطوي الجيد، والالتـــزام الأيديولوجي العميـــق لناشطيها. بنـــاءً على ذلك، حتى لـــو لم تسيطر جبهة النصـــرة على الثـــورة، فستكـــون، حسب تقديراتنا، لاعبًا هامًـــا يزيد الطابع الديني/ المذهبـــي للثـــورة، يساهـــم في إنتاج عدم استقرار متواصل، ويصعّـــب قدرة حُكم أي نظام سوري (سواء كان نظام الأسد مُضعّفًا أم نظامًا يتكئ على تحالف هش لتنظيمات المتمردين). في السيناريـــو المعقول لحُكم واهن لسنوات طويلة من المركز السلطوي في دمشـــق، يمكن أن تخرج جبهة النصرة أكثر قوة، وذات تأثير أكبر على ما يجري في سوريا)).

## د. جماعة بوكو حرام المتطرفة:

نشرت وكالة (شفقنا) للانباء مقالا تعريفيا لثاني جماعة متطرفـــة شهيرة ظهرت في الآونة الاخيرة علـــى الساحة وشغلت الرأي العـــام العالمي بافعالهـــا المتطرفة الغريبة، وقد جاء المقال تحـــت عنوان (بوكوحرام" أغـــرب جماعة إرهابية فـــى العالم) مؤرخا في2014/5/10 نقرأ فيه:

((تحولت جماعة "بوكـــو الحرام" الارهابية الى أغرب مجموعة ارهابيـــة فى العالم فى اقـــل من شهر وذلك بعـــد اختطافها لاكثر من 300 فتاة نيجيرية.

الخاطفون غريبو الاطوار

ربما هـــو افضل وصف لهـــذه الجماعة التى انتشر نبـــأ اختطافها للفتيات النيجيريات حديثـــات السن فى العـــالم، اذ اعلن هؤلاء

رسميا انهم اختطفوا اكثر من 300 فتاة ناشئات فى اقل من شهر مضى، وباعوهن. وقد اشتهر اعضاء جماعة "بوكو حرام" هذه الايام فى العالم اكثر فاكثر، ليس بسبب عملية الاختطاف هذه فحسب بل بسبب معتقداتهم وقوانينهم الغريبة. وبث خبر فى الايام الاخير يقضى باختطاف مسلحون يشتبه بانتمائهم الى مجموعة بوكوحرام الارهابية لثمانى فتيات ليلا بالقرب من قاعدة لهذه المجموعة بشمال شرق نيجيريا. واختطاف هؤلاء الفتيات اللواتى تتراوح اعمارهن بين 12 الى 15 سنة يضاف الى اكثر من 200 فتاة تلميذات اختطفن من مدرسة فى قرية تشيبوك بشمال شرق مقاطعة بورنوى النيجيرية، بحيث ان هؤلاء الفتيات اختفين يوم 14 ابريل واتضح لاحقا بان "بوكو حرام" هى التى اختطفتهن.

وخلال الشهر الاخير اضافت هذه المجموعة فى سجلها الاجرامى اختطاف نحو 300 فتاة تتراوح اعمارهن بين 16 الى 18 سنة من مدارس مقاطعة بورنو. ومازال 223 على الاقل من هؤلاء الفتيات محتجزات، بينما اعلن ابوبكر الشكوى زعيم هذا التنظيم فى شريط فيديو نشر يوم الاثنين انهم سيبيعون هؤلاء الفتيات. وزعم فى تصريحات تناقلتها وسائل الاعلام الغربية على نطاق واسع: انه مسموح لنا فى الدين بالرق ونستطيع اختطاف الاشخاص وجعلهم عبيدا لدينا".

من هى بوكوحرام؟

جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد المعروفة بالهوسية باسم بوكو حرام أى "التعليم الغربى حرام"، هى جماعة نيجيرية مسلحة تدعى العمل على تطبيق الشريعة الإسلامية فى جميع ولايات نيجيريا. والقائد الحالى لها هو أبو بكر الشكوى، وسميت هذه الجماعة بـ"طالبان نيجيريا" وهى مجموعة مؤلفة خصوصا من طلبة تركوا مقاعد الدراسة وأقاموا قاعدة لهم فى قرية كاناما بولاية يوبه شمال شرقى البلاد على الحدود مع النيجر.

**التاسيس**

تأسست الجماعة فى يناير 2002، على يد محمد يوسف، وهو الذى أسس قاعدة الجماعة المسماة أفغانستان، فى كناما، ولاية يوبه. يدعو يوسف إلى تغيير نظام التعليم، وعلى حسب قوله: "هذه الحرب التى بدأت الآن سوف تستمر لوقت طويل". فى باوتشى عرف عن الجماعة رفضها الاندماج مع الأهالى المحليين، ورفضها للتعليم الغربى والثقافة الغربية، والعلوم. تتضمن هذه الجماعة قادمين من تشاد ويتحدثون فقط اللغة العربية. وعند تأسيسها فى 2004 كانت الحركة تضم نحو مئتى شاب مسلم، بينهم نساء ومنذ ذلك الحين تخوض من حين لآخر مصادمات مع قوات الامن فى بوشى ومناطق أخرى بالبلاد.

**زعيم الجماعة**

ومحمد يوسف الزعيم السابق ومؤسسة جماعة بوكوحرام كان ولد فى مدينة جيرجير بولاية يوبة. واطلق على جماعته اسم "جماعة اهل السنة للدعوة والجهاد". وعلى النقيض من ظاهره وحسب زعم "بى بى سى" فان هذا السلفى المثير للجدل يملك تحصيلا جامعيا ويتكلم الانجليزية بسلاسة ويعيش حياة ترف وبذخ ويملك سيارة مرسيدس بنز.

من عدم كروية الارض الى التوعد بابتلاع رئيس الجمهورية

وزعم يوسف فى مقابلة مع "بى بى سى" كذبا بان كروية الارض تتناقض مع تعاليم القرآن وهى غير مقبولة. كما انه لا يقبل بان المطر ناتج عن تبخير مياه البحار من قبل الشمس. انهم يطالبون بتطبيق الشريعة الاسلامية فى ارجاء نيجيريا ويعتبرون جميع الذين يخالفونهم فى الراى - أكانوا مسلمين او مسيحيين - بانهم كفرة. وفى شريط فيديو بث على اليوتيوب قال الشكوى زعيم الجماعة ان هدفه هو "ابتلاع" غودلاك جانان (رئيس نيجيريا) واسقاط حكومته.

**مهنة الاختطاف**

وبالنسبة لبوكوحرام وبعض الجماعات الاخرى فى افريقيا تحولت عملية

الاختطاف الى مهنة ويستهدف هؤلاء عادة السياح والاشخاص الذين يعملون لحساب الشركات الغربية. وفى احد النماذج قيل بان بوكوحرام طالبت بفدية قدرها 3 ملايين دولار للافراج عن رجل فرنسى وزوجته اختطفا فى شمال الكاميرون. وفى كل مرة حاولت القوات النيجيرية القيام بعمليات الانقاذ ادى ذلك الى مقتل الرهائن. ان الخلافات الطائفية والقبلية فى القارة الافريقية امر لا يخفى على احد. لكن مع احتدام نشاط المجموعات التى تستلهم من تنظيم القاعدة وتزعم بان لها توجه اسلامى، اندلعت موجة جديدة من اعمال العنف والقتل الذى ساعد على رسم صورة تتسم بالعنف وغير حقيقية عن الاسلام فى وسائل الاعلام الغربية والمعادية للاسلام. وبينما يبلغ عدد المسلمين فى نيجيريا 50 بالمائة من السكان والمسيحيين 40 بالمائة، فان هذه المجموعة تبنت جرائم واعمال قتل شنيعة طالت المسلمين وغير المسلمين فى شمال نيجيريا على السواء. انهم يفجرون المساجد والكنائس ويقومون بعمليات انتحارية. وفى احدى عمليات التفجير بالسيارات المفخخة فى ابوجا، تم استهداف مبنى الامم المتحدة عام 2011. وفى احد الاشتباكات التى وقعت خاصة فى منطقة قروية بمقاطعة بورنو بشمال شرق نيجيرية، قتل العشرات من الناس. وحسب احصاءات منظمة العفو الدولية، فان بوكوحرام تسببت خلال الاشهر الثلاثة الاولى من العام الحالى بموت 1500 شخص)).

## هـ. متطرفو بورما (ماينمار) البوذيين:

ربما لا تمتلك جماعة البوذيين المتطرفين في بورما(ماينمار) طائفة ذات ملامح محددة تفصلهم عن باقي البوذيين المعتدلين، لان العنف الديني الذي مارسه البوذيون تجاه المسلمين في بورما كان عاما تقريبا، وان كان قد ظهرت شخصيات متطرفة تقود حملات الإبادة الجماعية التي تمارسها الجماعات البوذية المتطرفة في

شعار جماعة بوكو حرام المتطرفة

تلك المنطقة التي تحدها الصين من الجهة الشمالية الشرقية، وتحدها الهند وبنغلاديش من جهتها الشمالية الغربية.

وقد نشرت الموسوعة الحرة (ويكبيديا) في مقالها الخاص بمسلمي بورما ما نصه:

((بعد تجاهل طويل استمر مئات السنين، اعترفت منظمة العفو الدولية أخيرًا بالانتهاكات الخطيرة، التي يتعرض لها مسلمو بورما، على أيدى جماعات بوذية متطرفة، تحت سمع وبصر الحكومة.

وطالبت المنظمة الأكثر شهرة في مجال حقوق الإنسان –في بيان الذي صدر في يوم 22-7-2012 - بوضع حد لما وصفته بـ"المجازر والأعمال التي تتنافى مع مبادئ حقوق الإنسان الأساسية"، كما قالت إن المسلمين في ولاية راكين الواقعة غرب بورما يتعرضون لهجمات واحتجازات عشوائية في الأسابيع التي تلت أعمال العنف في المنطقة، ومنذ ذلك الحين، تم إلقاء القبض على المئات في المناطق، التي يعيش فيها الروهينجيا المسلمون...

اعمال شغب ضد المسلمين في ستوة وتوانغو (2001)

كان التوتر بين البوذيين والمسلمين في أشده بستوة (احدى ولايات بورما) فمشاعر الإستياء بينهما لها جذور عميقة وسببه أن كلا الطرفين يشعر انه محاصر من الطرف الآخر. حتى اندلعت الشرارة الأولى في فبراير شباط 2001 عندما رفض سبعة من الرهبان الصغار أن يدفعوا لصاحبة كشك مسلمة ثمن كيك اكلوه عندها. ووفقا لأحد الشهود المسلمين أن المرأة انتقمت

بأن ضربت أحد هؤلاء الرهبان الجدد. وأكد الشاهد بمجيئ بعض المسؤولين الرهبان للاحتجاج فأعقبه شجار. فضرب زوج البائعة أحد الرهبان على رأسه فنزف الدم منه. مما أشعل أعمال الشغب، فما حل المساء حتى بدأت الإضطرابات تنتشر بسرعة لعدة ساعات. حيث أضرم البوذيون النار في مساكن المسلمين وممتلكاتهم وأشعلوها. فأحرق نتيجة لذلك أكثر من 30 منزلا ودار ضيافة تابعة للمسلمين. وقد وقف رجال الشرطة والجنود موقف المتفرج ولم يفعلوا شيئا لإيقاف العنف منذ البداية. لاتوجد تقديرات موثوقة لعدد القتلى أو الإصابات، لكن حسب مصادر النشطاء المسلمين فقد توفي أكثر من 20 شخصا. وقع النزاع في الجزء الذي تسكنه الأغلبية المسلمة في المدينة، لذا فقد لحقت الأضرار معظم ممتلكات المسلمين.

في سنة 2001 وزع الرهبان في جميع الأنحاء كتيب "ميو بياوك همار سوي كياوك تاي" (الخوف من ضياع العرق) وغيرها من المنشورات المناهضة للإسلام. وسهلت جمعية اتحاد التضامن والتنمية توزيع الكتيبات، وهي منظمة مدنية انشئها المجلس العسكري الحاكم، مجلس الدولة للسلام والتنمية. كان سبب تفاقم تلك المشاعر العدائية والتي أحس بها المسلمين هو الإستفزاز بعد تدمير تماثيل بوذا في باميان بولاية باميان في أفغانستان. فافادت تقارير منظمة حقوق الإنسان أن التوتر بين الطائفتين البوذية والمسلمة في توانغو كان موجودا بأسابيع قبل أن يتصاعد ويندلع في منتصف مايو 2001. وطالب الرهبان البوذيين بتدمير مسجد هانثا في توانغو "انتقاما" لتدمير تماثيل بوذا في باميان. وفي يوم 15 مايو 2001 اندلعت اعمال شغب ضد المسلمين في توانغوا، فخرب الغوغاء الذين يقودهم الرهبان البوذيين مقرات المسلمين من شركات وممتلكات وقتلوا مسلمين. فكانت الحصيلة مقتل أكثر من 200 مسلم وتدمير 11 مسجدا واحراق أكثر من 400 منزل. وفي نفس اليوم تعرض 20 مسلما كانوا يصلون في مسجد هان ثا للضرب من القوات الموالية للمجلس العسكري، فمات بعضهم. وفي يوم 17 مايو 2001 وصل الفريق ون ميينت السكرتير الثالث للمجلس العسكري ووزير الشؤون الدينية ففرض حظر التجول في توانغو. فتم قطع جميع خطوط الاتصالات حيث هدمت جرافات المجلس العسكري مسجدي هان ثا ومسجد سكة قطار توانغو في اليوم التالي. أما باقي مساجد توانغو فقد ظلت مغلقة حتى مايو 2002، واجبر المسلمون على الصلاة في مساكنهم. وبعد أعمال العنف بيومين تدخل الجيش فتوقف العنف مباشرة. وكانت هناك تقارير افادت بأن السلطات المحلية نبهت كبار المسلمين قبل الهجمات وحذرتهم من عدم الرد لتجنب تصاعد العنف. وقد ظلت تفاصيل بدء الهجمات والذين قاموا بها غير واضحة قبل نهاية السنة، فالذي جرى من عنف قد زاد من حدة التوتر بين الطائفتين البوذية والمسلمة.

اعمال شغب ضد المسلمين في أراكان (2012)

بدأ البوذيون إبادة جماعية أخرى في ولاية راخين في يونيو 2012، بعد أن صرح رئيس ميانمار ثين سين بأنه يجب طرد مسلمي الروهنجيا من البلاد وإرسالهم إلى مخيمات للاجئين تديرها الأمم المتحدة. بدأ كل شيء في 3 يونيو 2012 عندما قتل الجيش البورمي والغوغاء البورميون 11 مسلم بدون سبب بعدما أنزلوهم من الحافلات، فقامت احتجاجات عنيفة في اقليم أراكان ذو الأغلبية المسلمة، فوقع المتظاهرين ضحية استبداد الجيش والغوغاء، حيث ذكرت أنباء بمقتل أكثر من 50 شخصا واحراق آلاف المنازل حيث اشتبكت عرقيتي روهنغيا المسلمة مع البوذيون الأركان بغربي بورما)).

واثر اعمال الابادة التي مارستها الجماعة البوذية المتطرفة، نزح مسلمو بورما من مناطقهم هربا من الاعمال الوحشية التي تقوم بها هذه الجماعة، وفي هذا المجال

نشرت صحيفة العربي الجديد تقريرا بتاريخ 2014/9/27 تحت عنوان (الأمم المتحدة: أوضاع الروهينجا المسلمين في ميانمار مزرية) جاء فيه:

((أعربت مبعوثة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان الجديدة إلى ميانمار، يانجي لي، عن قلقها الشديد بشأن الأوضاع في المخيمات التي تستقبل أكثر من مئة ألف مسلم نزحوا بسبب أعمال العنف التي يشنّها متطرفون بوذيون، وحذّرت من تدهور أوضاع حقوق الإنسان في البلاد.

وتحدثت لي، يوم السبت، بعد انتهاء مهمة بعثة تقصي الحقائق إلى ميانمار، استمرت عشرة أيام. وقالت إنه ينبغي الإشادة بقطع ميانمار شوطاً طويلاً نحو الديمقراطية منذ تولي حكومة منتخبة حكم البلاد عام 2011 بعد ما يقرب من خمسة عقود من الحكم العسكري القمعي.

وأجرت المسؤولة الأممية محادثات مع قادة سياسيين واجتماعيين وقبليين وقامت بجولات في مناطق مضطربة في البلاد، مضيفة: "ومع ذلك، هناك دلائل مثيرة للقلق بشأن تراجع ممكن، والتي إذا لم يتم ردعها يمكن أن تقوض جهود ميانمار لتصبح عضواً مسؤولاً في المجتمع الدولي يحترم ويحمي حقوق الإنسان".

وزارت المسؤولة الأممية ولاية راخين غربي البلاد، والتي تشهد أعمال عنف منذ عام 2012 بين بوذيين من الراخين ومسلمي الروهينجا خلفت 280 قتيلاً و140 ألف نازح، معظمهم مسلمون يقيمون في مخيمات قذرة.

ويعد معظم سكان ميانمار من البوذيين وتحرم الدولة معظم أبناء الروهينجا من حقوق المواطنة)).

والغريب ان الجماعات البوذية المتطرفة في بورما(ماينمار) لم يعبأوا بمناشدات زعيم الجماعة البوذية الداعي الى ايقاف العنف واتباع تعاليم الديانة البوذية التي تنماز بالتسامح والسلام، في خطوة تؤكد انفصال الجماعات المتطرفة واتباعها لقيادات

(آشين ويراثو) وجه الارهاب البوذي

متطرفة فرعية تؤول التعاليم المعتقدات بحسب اهوائها.

وفي هذا الصدد نقرأ ما نشرته صحيفة التقرير بتاريخ 2014/10/17 تحت عنوان(ماذا عن تحالفات البوذيين المميتة ضد المسلمين؟) جاء فيه:

((في عيد ميلاده الـ 79 في يوليو، ناشد الدالاي لاما الجماعات المتطرفة البوذية في ميانمار وسريلانكا لوقف التحريض على القيام بهجمات ضد الأقليات المسلمة، والتي أسفرت عن مقتل العشرات.

لكن، وفي إهانة لرسالة جوهر البوذية بنشر الرحمة والتسامح، أعلن قادة تلك الجماعات بدلاً من ذلك تحالفاً مشتركاً ضد المسلمين.

وصرح غالاغوداثث غناناسارا، وهو زعيم مجموعة البوذيين السريلانكية المتطرفة بودو بالا سينا، في مؤتمر عقد في كولومبو الشهر الماضي، بأنه "قد حان الوقت للتحالف الدولي". وكان ضيف شرف المؤتمر هو آشين ويراثو، المتطرف البوذي الذي وضعت مجلة التايمز صورته على غلافها في 1 يوليو واصفةً إياه بـ "وجه الإرهاب البوذي".

وقد تجاهلت حكومة رئيس الوزراء ماهيندا راجاباكسا مناشدات من قبل الجماعات المدنية الإسلامية والمسيحية السريلانكية من آجل رفض منح تأشيرة الدخول إلى

البلاد لويراثو، خوفاً من اندلاع المزيد من أعمال العنف المعادية للمسلمين في سريلانكا.

وإن منح ويراثو تأشيرة الدخول يعزز فقط مخاوف العديد من المسلمين من أن الحكومة، وربما حتى الحلفاء الإقليميين الأقوى، يدعمون مجموعة بودو بالا سينا، والتي يعني اسمها حرفياً: "قوات القوة البوذية".

وفي الأسبوع الماضي، ادعى غناناسارا بأنه يقوم بمناقشات "على مستوى عال" مع الجماعة اليمينية الهندوسية الهندية، راشتريا سوايام سيفاك، لتشكيل ما أسماه "منطقة السلام الهندوسي-البوذي" في جنوب آسيا.

وقد نفى المتحدث باسم راشتريا سوايام سيفاك، رام مادهاف، على الفور أن هناك أي نقاشات من هذا القبيل. ولكن مادهاف، وهو الآن الأمين العام لحزب بهاراتيا جاناتا في الهند، كتب تعليقات متعاطفة مع بودو بالا سينا، ومجموعة ويراثو المسماة 969 في ميانمار، على صفحته في الفيس بوك وتويتر.

ومن الحماقة أن تقوم حكومات راجاباكسا في سري لانكا، والرئيس ثين سين في ميانمار، ورئيس الوزراء ناريندرا مودي في الهند، أو أي من حلفائها السياسيين، بإعطاء مظهر من التسامح مع هذه الجماعات المعادية للمسلمين في المنطقة التي كانت في كثير من الأحيان تعصف بها أعمال العنف الطائفي الديني. وبالتالي، يجب أن ندين جميعاً مثل هذا التحالف من الجنون قبل أن ينتشر أكثر)).

## د. متطرفو (حركة تدفيع الثمن) اليهود:

نشرت صحيفة فرانس 24 الفرنسية مقالا بعنوان(إسرائيل: من تكون "تدفيع الثمن" المتطرفة؟) بتاريخ 2014/5/11 جاء فيه:

((أصبحت "تدفيع الثمن" في إسرائيل تثير قلق الغرب، لاسيما الولايات المتحدة التي استنكرت عدم إطلاق ملاحقات قضائية ضدها. وتنسب لهذه المنظمة الأعمال العنصرية التي استهدفت في الأسابيع الأخيرة المسيحيين والمسلمين على السواء. ووجهت لتل أبيب انتقادات لرفضها اعتبار عناصرها "إرهابيين".

**من هي "تدفيع الثمن"؟**

ارتكب مستوطنون ونشطاء من اليمين المتطرف. مئات الهجمات منذ عام 2008 في الضفة الغربية المحتلة وإسرائيل، وهم يوقعون عادة هجماتهم بكتابة عبارة "تدفيع الثمن" بالعبرية في مكان الحادث.

ويقوم هؤلاء المتطرفون بمهاجمة أهداف فلسطينية وعربية وأحيانا يهاجمون جنودا في كل مرة تتخذ السلطات الإسرائيلية إجراءات، يعتبرونها معادية للاستيطان، مثل هدم البؤر الاستيطانية العشوائية في الضفة الغربية.

وتشمل تلك الهجمات تخريب وتدمير ممتلكات فلسطينية وإحراق سيارات ودور عبادة مسيحية وإسلامية وإتلاف أو اقتلاع أشجار زيتون بالإضافة إلى تدنيس المقابر والأماكن المقدسة وحتى الاعتداءات الجسدية.

**من يقف وراء "تدفيع الثمن"؟**

نقلت صحيفة "هارتس" عن مصادر أمنية إسرائيلية أن مئات من الأشخاص

-غالبيتهم من القاصرين. متورطون في الموجة الأخيرة من عمليات التخريب وأغلبهم من طلاب الحاخام يتسحاق جينزبورغ الذي يعلم في مدرسة دينية في مستوطنة يتسهار، وهي معقل للمستوطنين المتطرفين شمال الضفة الغربية.

ويدعي بعضهم الانتماء لحركة "كاخ" العنصرية المعادية للعرب والتي أسسها مئير كاهانا عام 1971 قبل أن يتم حظرها في عام 1994 بعد أن قتل أحد أتباعه باروخ غولدشتاين 29 مصليا فلسطينيا مسلما في الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل جنوب الضفة الغربية.

**لماذا يتضاعف عدد الهجمات، خاصة ضد أهداف مسيحية؟**

تصاعدت وتيرة الهجمات منذ أوائل شهر نيسان/أبريل الماضي بعد أن قامت السلطات الإسرائيلية بهدم خمسة مبان غير قانونية في مستوطنة "يتسهار" ما أدى إلى اندلاع اشتباكات مع المستوطنين، وتزايد هجمات "تدفيع الثمن".

وبحسب تقارير إعلامية إسرائيلية، فإن الشرطة وجهاز الأمن الداخلي الإسرائيلي يتخوفان من أن يقوم عناصر من هذه المجموعة المتطرفة بمضاعفة هجماتهم قبيل وصول البابا فرنسيس في زيارة إلى الأراضي المقدسة كوسيلة لجذب الاهتمام الإعلامي.

ومنذ بداية نيسان/أبريل الماضي تم تخريب العديد من المواقع الدينية المسيحية حيث تم تحطيم صلبان ومهاجمة رجال دين مسيحيين في كنيسة الطابغة على شاطئ بحيرة طبريا، وتم خط شعارات معادية للمسيحية في القدس. بالإضافة إلى استهداف

منتظم للمساجد.

وأكد المتحدث باسم الشرطة الإسرائيلية ميكي روزنفيلد لوكالة الأنباء الفرنسية أنه تم تعزيز قوات الشرطة حول الأماكن الدينية الحساسة.

**ما هو رد السلطات الإسرائيلية على هذه الظاهرة؟**

على الرغم من قيام الشرطة الإسرائيلية بعدة اعتقالات لم تتم ملاحقة أحد حتى الآن قضائيا.

وتضاعفت الدعوات للحكومة الإسرائيلية بتحويل هذا الملف إلى جهاز الأمن الداخلي الإسرائيلي (الشين بيت) كما هو الحال لدى حصول هجمات يقوم بها فلسطينيون.

ويطالب عدد من الوزراء ورؤساء سابقين لأجهزة الاستخبارات باعتبار منفذي هذه الاعتداءات "إرهابيين" وليس فقط أعضاء في "منظمات غير قانونية". وهو ما ترفضه حتى الآن حكومة بنيامين نتانياهو.

واستنكرت الخارجية الأمريكية في تقريرها السنوي عن الإرهاب الذي نشرته في 30 نيسان/أبريل، كون اعتداءات متطرفين إسرائيليين، وخصوصا مستوطنين في الضفة الغربية المحتلة على الفلسطينيين، "لم تستتبع بملاحقات".

# الفصل الرابع:

## حلول للحد من التطرف الديني

### اولا: النقد الفكري وصياغة الثقافة

نشرت صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ 2014/6/8 مقالا بعنوان (النقد الثقافي ليس خيانة) جاء فيه:

((التفريق بين الدين كنصوص مقدسة والفكر الديني كاجتهادات بشرية كان مطلبا متكررا في كثير من الأوقات بالنسبة للمثقفين في مجتمعنا، لكننا اليوم أمام مرحلة جديدة أصبح فيها التفريق بين الدين والفكر الديني مطلبا سياسيا واجتماعيا أيضا، فالحركات التي تلبس عباءتها الدينية لأهداف تخريبية أصبح التفريق بينها وبين الدين شرطا ضروريا بالنسبة للسياسيين، والمجتمع السعودي المحافظ والتقليدي الذي فوجئ بعدد البنات والنساء اللاتي التحقن بالجماعات الإرهابية، هو الآخر أصبح يطالب بالتفريق بين فكر الإرهاب بعباءة الجهاد الديني وبين الدين، لقد كانت الدعوات الثقافية التي حاولت مرارا وتكرارا التفريق بين الدين والفكر الديني المتنوع والمتعدد الاتجاهات، كانت دعوات تنطلق من وعي مسبق بما يمكن أن تؤول إليه هذه المطابقة بين كلام الشيخ الداعية وكلام الله، لم تكن دعوات جزافية ترفض الدين وتحاربه كما جرى تصويرها سنين طويلة، لقد دفع المجتمع والدولة اليوم ثمنا باهظا لتجاهل تلك الدعوات، والاستمرار اليوم في تجاهل أي دعوة تنويرية في أي مجال ستظهر عواقبه على كل المستويات يوما ما أيضا.

المسألة التي يجب استدراكها اليوم ليس فقط فهمنا لمعادلة فصل الفكر الديني عن الدين والتفريق بينهما، بل في فهمنا لطبيعة الدعوات الثقافية والصراع الفكري، وكيف أنها ليست تنظيرا فقط، بل رؤى تتماس مع سياسات الدولة وتمسها في عمقها، الدعوات الثقافية التنويرية التي اتهمت بأنها تجديف يهز ثوابت المجتمع اتضح اليوم أنها كانت أكثر إخلاصا للثوابت من الدعوات المتطرفة والمتشددة التي تسيدت الموقف سنين طويلة، لقد كان النقد التنويري لمجموعة الثوابت نقدا بناء لا يهدف إلى الهدم من الخارج، بل يهدف إلى إعادة الترميم من الداخل، ومن دون أي ارتباطات خارجية مغرضة، لقد فرضت الأحداث الأخيرة على الواقع دروسا يجب التوقف عندها وفهمها جيدا؛ أولها وأهمها أن النقد الثقافي ليس خيانة، وليس براءة من أهل الدين، بل هو القاعدة الأساسية التي يجب أن يقف الجميع عليها، ويجب على الجميع أيضا الاعتراف بها أساسا للعمل في مختلف المجالات القانونية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية. النقد الثقافي وما ينتجه يجب ألا يبقى معزولا ومسفها من قبل مؤسسات الدولة، ولا من قبل المجتمع، ولا حتى من قبل الشركات ومؤسسات الأعمال.

الإنتاج الثقافي الذي يفكك ويحلل ويركب ويبني، ليس تنظيرا خارج الزمان والمكان، بل قراءة تمس الناس في حياتهم، وتمس الدولة في أركانها، الإنتاج الثقافي يجب أن يحصل على موقعه الطبيعي في أي مجتمع يريد التقدم والحياة، المسألة ليست في رد الاعتبار للمثقف، ولا في إيلاء العمل الثقافي مكانة التكريم والتقدير، بل في دمج المنتج الثقافي كجزء من سلسلة العمل الواقعية، كحلقة أساسية في سير العمل في مختلف

القطاعات.

أن نقول إن الإنتاج الثقافي لا يعنى إلا بالأعمال الأدبية لنوضح محدودية مجاله، هو قول محدود، ليس لأن الإنتاج الثقافي أوسع بكثير من العمل الأدبي فقط، بل لأنه حتى الأدب، كعمل ثقافي كلاسيكي، يمس المجتمع والناس، ويعكس حقيقتهم، تماما كما يوثق تفاصيل حياتهم، الأدب وحده عامل مهم في تشكيل مخيال الناس، وتنشيط أدوارهم في الحياة، أما الثقافة ومنتجها ككل فهي أكثر حقيقة من الدولة والمجتمع، لأنها تحكم الاثنين معا، وتجاهلها يعني تجاهلا للاثنين أيضا، الثقافة ليست حالة، وليست مجرد صفة تلحق البعض دون غيرهم، بل هي أيضا المعرفة بكل أنماطها، هي الاعتقاد والسلوك، هي التفكير والتعلم، هي الاتجاهات والأهداف والقيم، هي كل هذا وأكثر، فلماذا نذهب إلى تحديدها وترميزها كحالة خاصة لا يعيشها إلا البعض، ولا يهتم بها غيرهم، وأن ما ينتج عنها لا يتعدى كونه كتابا أو مقالة أو عملا فنيا، نحن في مجتمع ودولة لا تعتبر كثيرا بمعنى السياسات الثقافية، أي إننا ببساطة لا نعترف أنه من الممكن العمل على الثقافة لا بتغييرها، ولا بخلق أي جديد فيها، لا نعترف بأن الثقافة يمكن أن ترصد لها ميزانيات لننفذ ما ينتج عنها من رؤى، وأن هذه الرؤى يجب أن تتحول إلى استراتيجيات ترسم مستقبل وواقع الدولة والناس، لأن ذلك وحده يمكن أن يحمي الدولة ومؤسساتها من مواجهة أخطار الخارج، ووحده ذلك يساعد المجتمع في تحديد ثوابته قبل أن يطعن في خاصرته من قبل أكثر المدعين بالحفاظ عليه.

هنالك دروس كثيرة يجب أن نستدركها إذن، فالمسألة لن تتوقف على ضرورة نزع القداسة عن الفكر الديني، لأنه لم يعد مقبولا أن نظل متفاجئين بكل حدث وظاهرة في مجتمعنا، كما لو كانت تنزل قدرا لا قبله ولا بعده، بينما نحن نعيش كل أدلتها ودلالاتها، نرعاها ونزيد من قوتها، وندافع عن كل أسبابها)).

وتقدر اهمية ما طرحه هذا المقال من حلول لمعالجة ظاهرة التطرف بمقدار مساسها باصل المشكلة ومحاولة معالجتها من الصميم، وهي معالجة الفكر الذي يؤسس للتطرف اولا وتغيير المفهوم السائد بين العامة تجاه الآخر الديني.

ويعتمد ذلك على الإيمان أولا بان الدين الصحيح والعقل السليم يتفقان معا على ان "الواقعية في السلوك" و"مراعاة الأولويات" و"الحكمة في التعاطي مع الاحداث" اسس ضرورية تجنب الانسان أي تطبيق متطرف لمضامين النصوص الدينية - ايا كانت هذه النصوص- لان الدين لم يأتِ الا لخدمة المجتمع الإنساني وتحسين واقعه، ولا يهدف اطلاقا الى نشر الالم والخراب في الارض.

وفي هذا السياق نشرت صحيفة المنيتور مقالا بعنوان(مراجع دينيّة تطالب بنقد الرّؤية الدينيّة المعارضة للأقليّات) نشر بتاريخ 2014/9/8 جاء فيه:

((ما حدث أخيراً من محن كبرى لدى الأقليّات العراقيّة من مختلف الديانات، بمن فيها الشيعة والسنّة أنفسهم ومن يعيش منهم ضمن أكثريّة من المذهب الآخر، قد أثار تساؤلات دينيّة واسعة حول الأسس اللاّهوتية لأفعال تنظيم "الدولة الإسلاميّة" وضرورة نقدها وتفنيدها نهائيّاً كي لا تؤخذ ذريعة في يدّ المتطرّفين لاضطهاد الأقليّات الدينيّة.

وقد انتشرت آراء وتصريحات دينيّة عدّة لرجال الدّين في العراق تؤكّد المساواة المطلقة بين أصحاب كلّ الديانات ونقد الصور النمطيّة المنتشرة في الأوساط الشعبيّة ضدّ بعض الأقليات. ومن أبرز

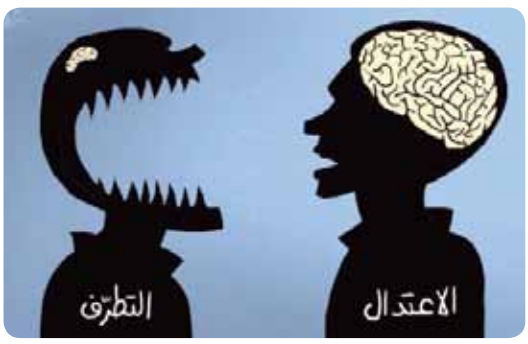

ذلك، الصورة السلبيّة ضدّ الأقليّة الإيزيديّة، والتي تلاشت إلى حدّ كبير، وظهر مكانها تضامن دينيّ وإجتماعيّ واسع بين الطبقة المتديّنة والمراجع الدينيّة أيضاً.

لقد أصدر المرجع الدينيّ العراقيّ السيّد حسين الصدر فتوى حول المجزرة الإيزيديّة قال فيها: "ما يحدث لإخواننا في الإنسانيّة والوطن من قبل الارهابيّين قد أحرق قلوبنا جميعاً، فهو ظلم وجريمة وعمل غير إنسانيّ ولا يتوافق مع كلّ الشرائع الإنسانيّة والسماويّة، ولا تبرير دينيّاً وشرعيّاً وقانونيّاً لذلك".

وطالب جميع العراقيّين باحتضان الأقليّات عموماً، وقال: "إنّ حماية الأقليّات وإيواءها ومساعدتها واجب إنسانيّ ودينيّ وأخلاقيّ، فأبوابنا مفتوحة لهم في مدينة الكاظميّة المقدّسة، وأطلب من جميع العراقيّين أن يقوموا بكلّ ما في وسعهم لمساعدتهم وغيرهم ممّن يتعرّضون للتّعدي من قبل الإرهابيّين، وخصوصاً الأقليّات التي لا ظهر لها ولا نصير".

وأشار الصدر في حوار مع "المونيتور" إلى أنّ هناك آراء دينيّة خاطئة يجب نقدها وتصحيحها لكي لا تقدّم تبريراً للمتشدّدين في أعمالهم اللاّإنسانية واللاّدينيّة. إنّ الدين لم يرسل من اللّه سوى لتحسين الحياة البشريّة، فالدين هو للإنسان وليس الإنسان للدين، فالدين جاء ليخدم الإنسان، وليس الإنسان مخدوم للدين. ويجب ألاّ يستخدم الدين لقمع الإنسان وإكراهه وتقييده بالقوّة، بل كلّ ما يقوم به الدين هو إرشاد الانسان إلى الطرق التي تحسّن من أنماط حياته وتعطيه الشعور بالسعادة وتثريه بمعاني الحياة. ولا يمكننا التخلّص من النظرات الإلغائيّة تجاه الآخر والتعصّبات الدينيّة والمذهبيّة من دون الرجوع إلى الأساس المشترك بين جميع البشر، وهو الحال الإنسانيّة. نحن كلّنا بشر قبل أن نكون منتمين إلى قوميّة أو ديانة محدّدة.

وقد أثارت مواقف رجال الدين في دعم الإيزيدية في محنتهم إقبالاً واسعاً لدى أتباع تلك الديانة، إذ أنّ بعد تاريخ طويل من الإضطهاد الدينيّ ضدّهم يواجهون، للمرّة الأولى، هذا الدعم الشامل من رجال الدين. فقد أرسل أمير الإيزيديين الأمير أنور معاوية رسالة شكر خاصّة إلى السيّد حسين الصدر، وقد اطلع المونيتور على نسخة منها، وجاء فيها: "إن أبناء الإيزيديّة لا ولن ينسوا هذا الموقف التاريخيّ المشرف".

وقد التقى وفد من لجنة شؤون الإيزيديّين، الصدر الأسبوع الماضي لتثمين دوره في حماية الإيزيديّين خلال المرحلة الصعبة التي كانوا يعيشونها. وخلال اللقاء، قال الصدر: "ما حصل للإيزيديّين فاجعة بكلّ ما للكلمة من معنى، يندى لها جبين الإنسانيّة وشعوب العالم المتحضر".

أضاف: "ما يحزّ في النفس أنّ ما حصل كان باسم الدين ومن جماعة تدّعي أنّها تمثّل الدين. لقد كرّم اللّه الإنسان لإنسانيّته، ومن أيّ مذهب أو طائفة كان، فديننا يقول "لقد كرمنا بني آدم"، وإنّ إراقة قطرة دمّ واحدة أكبر من هدم الكعبة سبعين مرّة".

ولا تنحصر هذه المواقف بشخصيّة واحدة، بل تمثّل ظاهرة واسعة في المجتمع العراقيّ، حيث يمكن متابعتها في بيانات السيّد السيستاني والخطب الأسبوعيّة للمتحدّثين باسمه. كما أنّ مؤسّسات دينيّة جديدة ظهرت في الحوزات الدينيّة مثل النّجف تتبنّى الخطاب الإنسانيّ في التّعامل مع الآخر في كلّ المجالات العامّة، ومن أبرزها مؤسّسة الإمام الخوئي في النّجف التي تبذل جهوداً كبيرة في دعم الأقليّات الدينيّة، وتستضيف قياداتها في شكل مستمرّ في النّجف، وتشارك في مشاريع عدّة لرفع الإضطهاد عنهم، منها تأسيس المجلس العراقيّ لحوار الأديان.

وما يظهره هذا التطوّر الإيجابيّ هو أنّه بجانب التشدّد الدينيّ الذي يتبنّاه المتطرّفون من أمثال تنظيم "الدولة الإسلاميّة"، هناك أطياف واسعة من المجاميع الإسلاميّة تنفتح على الآخرين وتقدّم آراء إصلاحيّة أساسيّة من شأنها أن تخلق خطاباً دينيّاً

مختلفاً في المستقبل غير البعيد. وهذا ما يظهر الحاجة الماسة إليه اليوم، بعد ظهور المتطرّفين الاسلاميّين على أرضيّة الآراء المتطرّفة التي كان يروّج لها بعض الجماعات الإسلاميّة)).

## ثانيا: التعايش والتسامح والاعتدال:

التعايش السلمي بين الطوائف المختلفة دينيا يعد من الحلول المهمة التي تقضي على ظاهرة التطرف الديني، ولكنه حين يراد له ان يكون من الحلول، لا بد ان يخرج عن حيز التنظير والشعارات الى حيز التطبيق الواقعي، ولا يكون ذلك الا اذا كان هنالك قانون يقضي بتطبيق مفهوم التعايش السلمي، يضاف اليه وعي جماهيري بمفاهيم هذا القانون، فضلا عن اهمية جعل التعايش وسيلة للبناء الفعال وليس مجرد تجنب الاصطدام والتناحر، وقد اشار الى هذا المعنى مقال نشره موقع الحوار اليوم بتاريخ 2014/4/26 تحت عنوان (التعايش من منظور مختلف) جاء فيه:

((ثمة محاولات معرفية وأخلاقية لتأصيل مفهوم التعايش السلمي بين تعبيرات المجتمع الواحد من زاوية أخلاقية محضة، وكأن التعايش كحقيقة وسلوك والتزام هو فضيلة أخلاقية، ومطلوبة من جميع الأفراد، بوصفها انعكاس لمستوى التزام الإنسان بفضائل الأخلاق ومحاسنه.

لذلك فإن هذه المحاولات، لا تحفر عميقاً في معنى التعايش السلمي وضرورته المعرفية والسياسية والمؤسسية في المجتمعات المتنوعة سواء كان هذا التنوع دينياً أو مذهبياً، أو فكرياً وسياسياً.

وبفعل هذه القراءة يتم التعامل مع مقولة التعايش السلمي وكأنها تساوي تحلي الإنسان بمكارم الأخلاق سواء في داخل أسرته أو محيطه الاجتماعي والأخلاقي فقط.

ومن المؤكد في هذا السياق أن لهذا المفهوم جنبة أخلاقية، ولكن اختصار هذا المفهوم بالبعد الأخلاقي، يضيع الكثير من المضامين المعرفية والمؤسسية لهذا المفهوم.

ونحن نحاول في هذا المقال أن نوضح بعض الجوانب المتعلقة بمفهوم التعايش السلمي بوصفه من المفاهيم التي تتعدى المجال الأخلاقي، ويكون جزءا من المنظومة المعرفية والمؤسسية لأي تجربة إنسانية تنشد الاستقرار على أسس صلبة وعميقة.

وسنوضح هذه الجوانب من خلال النقاط التالية:

1- إن مفهوم التعايش السلمي يتعدى في مضمونه وجوهره البعد السلبي والذي يساوي أن يبقى الإنسان فرداً أو مجموعة على حالة في مقابل مجموعة أخرى أيضا تبقى على حالها.

فالتعايش السلمي بين مجموع الأطراف والأطياف، محاولة مشتركة وجهد جماعي تقوم به جميع أطياف المجتمع باتجاه صناعة الراهن على منوال حقيقة التعدد والتنوع المنضبطة بقيمة التعايش.

فالتعايش ليس تساكناً سلبياً بين أطراف ومكونات مختلفة، بل هو مساحة اجتماعية ومعرفية واجتماعية مشتركة، تتجه صوب تنمية حقائق بناء الراهن بعيداً عن نزعات الاستحواذ أو الاستفراد، أو محاولة جعل المجال العام خاصاً بمكون من المكونات.

وبالتالي فإن التعايش السلمي بين الأطراف، لا يبنى بالتغني بالمثل الأخلاقية أو المواعظ الإنسانية فحسب، وإنما بسعي مستديم من قبل الجميع على بناء الحاضر على قاعدة احترام التعدد والذي يترجمه في المجال

العام العيش المشترك والمتساوي بين جميع الأطياف.

وكلنا يعلم أن بناء راهن المجتمعات المتعددة والمتنوعة، يتطلب إرادة سياسية وإنسانية، تتجه دوما باتجاه صيانة الحق ومنع كل محاولة للافتئات على المجال العام من قبل رؤية أحادية واحدة.

فالتعايش شعار ومشروع في آن واحد، رؤية وبرنامج مشترك لبناء الحقائق الجمعية، كما أن التعايش خروج معرفي واجتماعي من نزعات النرجسية أو الشعور بالامتلاء والاستغناء عن الآخرين.

من يتطلع إلى بناء الراهن على قاعدة التعايش المشترك بين جميع المكونات، يتطلب منه هذا التطلع الالتزام العميق بالجذور المعرفية والثقافية والسياسية لمفهوم التعايش السلمي بين أطياف متعددة ومتنوعة.

وعلى مستوى الممارسة هذا يعني أنه ليس من شروط التعايش أن يغادر أحد الأطراف قناعاته الفكرية والمعرفية، لصالح قناعة الطرف الآخر، بل من شروطه أن يذهب الجميع إلى المساحة المشتركة ويوظف قناعاته وخصوصياته الثقافية للمساهمة بإيجابية في إثراء المساحة والمجال المشترك.

2- إن التعايش السلمي لا يمكن أن ينجز في أي بيئة اجتماعية بدون سلطة القانون. لأن التعايش لا يساوي اللا التزام الوطني أو الاجتماعي، كما إنه لا يساوي أن يعمل الانسان في دائرته الخاصة ما يحلو له، إن التعايش بين تعبيرات الوطن والمجتمع الواحد، لا يمكن أن يتحقق بعيداً عن منظومة قانونية متكاملة قادرة على إدارة حقائق التعايش على نحو إيجابي. فالرهان الحقيقي في مفهوم التعايش ليس على الانضباط الأخلاقي الذاتي (مع أهميته) وإنما على وجود قانون يطبق على الجميع بعدالة يحول دون الافتئات أو تجاوز مقتضيات ومتطلبات التعايش بين مجموعات بشرية مختلفة. ولو تأملنا عميقا في التجارب التعايشية الناجحة في كل البيئات الإنسانية، لوجدنا أن سلطة القانون، هي أحد العوامل الأساسية التي ساهمت بفعالية في إنجاز مفهوم التعايش في واقع المجتمعات المتنوعة.

لذلك نستطيع القول: إن من يبحث عن قيمة التعايش في فضائه الاجتماعي، عليه أن يسعى لوجود سلطة للقانون الذي يسري ويطبق على الجميع. ودون ذلك تبقى مقولات التعايش وكأنها دعوة أخلاقية ووعظية مجردة. غير قابلة للتنفيذ، وإنما دورها الوحيد هو دغدغة مشاعر ووجدان الناس فقط.

بينما التعايش كما أوضحنا أعلاه، ليس دعوة وعظية مجردة، وإنما هو عمل لإدارة إرادات الناس المختلفين، بحيث لا تتحول هذه الإرادات إلى رافد لتضعيف المجتمع أو إخراجه من وحدته الداخلية.

وهذا لا يتم إلا بالالتزام بالقانون وتطبيقه على الجميع، حتى يبنى التعايش على قاعدة وحدة المجتمع وتلاحمه الداخلي.

لذلك ثمة ضرورة للدولة حتى يتحقق العيش المشترك بين جميع الأطياف.

فلا تعايش حقيقياً في العصر الراهن بدون دولة، لكونها هي المؤسسة الأم التي تقوم بتنظيم العلاقة وبسط سلطة القانون وصياغة مشروع وطني جامع لكل الأطراف والمكونات.

3- تطوير نظام الاعتراف والتعارف بين المختلفين، بوصفه أحد المداخل الأساسية لإنجاز مفهوم التعايش في الفضاء الاجتماعي. لأن التعايش الحقيقي لا يمكن أن يتم بين فرقاء يجهلون بعضهم البعض. فلا تعايش بلا تعارف، ولا تعارف مستديم بدون اعتراف بالوجود ومتعلقاته. لذلك ثمة ضرورة لإطلاق برنامج ومبادرات تستهدف أن يتعرف أبناء الوطن على بعضهم البعض، وذلك لتفكيك الرؤى النمطية التي تحبس الإنسان والمجموعات البشرية في قوالب جامدة، تزيد من فرص سوء الظن بين المختلفين. بينما التعارف

المباشر يبدد الكثير من الصور النمطية، ويوفر فرصة التلاقي والانسجام النفسي، والذي بدوره يعزز إمكانية التعارف العميق بين المختلفين. التعارف الذي يدفع الجميع للانفتاح على الجميع بدون هواجس مسبقة سواء كانت ذات بعد تاريخي أو ذات بعد معاصر. وهكذا تتراكم قواعد التعايش في النفوس والعقول، وينفتح مجال التعاون على قاعدة المصير المشترك.

وجماع القول: إن التعايش بين المختلفين في الإطار الوطني، مرحلة تبلغها الأوطان التي تحتضن حقائق التنوع بالكسب الإنساني الذي يتجه دوما صوب تذليل العقبات وتدوير الزوايا وصولا إلى تطوير المساحات المشتركة بين المختلفين. بهذه الخطوات تتحول مقولة التعايش من مسألة أخلاقية، إلى حيثية وحقيقة وجودية، اجتماعية، على ارض وطن له كينونته الثقافية وخصوصياته المجتمعية)).

وهذا الامر بطبيعة الحال يجرنا الى مفردة تعد من الاسس الاساسية في الحفاظ على كيان التعايش السلمي بين الطوائف الدينية، تلك هي مفردة التسامح التي تعد من اهم المؤشرات على السمو الفكري والروحي لدى الامم البشرية، سواء من منطلق تشريعي ام من منطلق تكويني، وقد اكد على هذه الحقيقة مقال نشره موقع المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية تحت عنوان (فلسفة التسامح والفكر الكوني) مؤرخ في 2010/3/1 جاء فيه: ((لعل أكثر انشغالات المشهد الفلسفي الحالي، تتمحور حول مفاهيم التسامح والعدالة، ومضامين الصفح، وهي محاور تؤسس لعدالة مرحلية، تُشكل انتقالا للأمم من مرحلة لأخرى في مسيرة تطورها الحضاري، لا سيما إذا ما تعرضت لصراعات وحروب أهلية، لأن أحد أهم مكونات النزاعات السياسية والصراعات الداخلية تلك التي توصف بالصراعات الدينية والإثنية والطائفية والقومية...

ولعل أحد أهم مكونات تأسيس دولة حديثة، في مرحلة ما بعد الحروب الأهلية، هو تجاوز تلك الصراعات، وبناء مساحة من التعاون، مبنية على مسامحة حقيقة بين الأطراف، فالصفح يُعد البوابة الرئيسية التي لا بد من المرور بها لبناء ديمقراطية فعلية.

إن إحدى القضايا الأكثر جوهرية بالنسبة للرقي الإنساني الحقيقي، تتأسس حول ماهية وكيفية تأسيس الرؤية العقلانية عن التسامح، والسؤال الذي يطرح دائمًا حول أي منظومة قيم تلك القادرة على بناء التجانس والانسجام الفعلي في كينونة الفرد والجماعة والأمة والثقافة والدولة تجاه النفس والآخرين.

وهي مهمة يتوقف تحقيقها على مستوى تأسيس حقيقة التسامح، وبما أن التسامح هو شكل التعايش العقلاني للقيم، من هنا تصبح مهمة تأسيس منظومة القيم وتعايشها الطبيعي الصيغة العلمية الضرورية للتسامح نفسه.

بيد أن عملية تأسيس بنى التسامح ليست فعلا إراديًا محضًا، بقدر ما هو تراكم لصيرورة القيم بوصفها منظومة متكاملة. فلكل جماعة بشرية منظومتها الفكرية والعقديّة الخاصّة عن التسامح مما يجعل الأمر جزءًا من معاناة الأمم نفسها؛ لذلك يبدو التسامح قيمة نسبية ومطلقة في آن، فهي قيمة نسبية لأنها تختلف من أمة لأخرى ومن دين لآخر، وهي مُطلقة داخل المنظومة الثقافية الواحدة.

والسؤال هو: هل يمكن تأسيس منظومة تسامح عقلانية قادرة على أن تكون منظومة كونية؟

إن التسامح بوصفه قيمة، ينبع ويتراكم في مجرى ثقافة الأمم، وتجاربها كافّة بما فيها الروحية، وقد شهدت الحضارات مواقفً كرست قيمًا أخلاقية راقية. وان كان الحديث عن التسامح المطلق صعبًا، غير أننا يمكن أن نؤكد على أن القيمة المجردة للتسامح هي نسبة ضرورية، إن لم نقل حتمية في نظام السمو الإنساني، وهي قيمة اقرب ما تكون إلى فكرة الواجب الأخلاقي أو

المرجعية المتسامية.

فالصفح ليس فكرة طوباوية، بقدر ما هو قوة روحية كامنة في شيفرة تراكم سيرورة الروح الإنسانية في رحلة حياتها أو حيواتها نحو انعتاقها الى بارئها؛ ويكمن دور الكائن الإنساني في تحويل تلك القوة الكامنة فيه أصلا من وجود كامن الى وجود بالفعل، وترجمة قدرات الروح الصفحية والتسامحية الى سلوك ظاهر يتجلّى من خلال انفتاح حتى على من يُصنف انه "عدّو".

وليس مصادفة أن تصل الثقافات العالمية الكبرى في مجرى تطورها إلى الانفتاح الداخلي والخارجي، لأنها تدرك بفعل منطق التطور الروحي إلى ضرورة تجاوز الحدود التي تفرضها نفسية الغريزة، أو ما كانت بعض الفلسفات القديمة تطلق عليه اسم القوة الغضبية.

إن هذه الحالة لا تبلغها إلا الحضارات المزدهرة دون شك، لأنها تكون قد ارتقت في ذروة إدراكها الروحي حيث يصبح الصفح جزء من حقيقة منظومة تكامل الإنسان الكوني.

وإذا ما تناولنا الحضارة الإسلامية مثالا في مجرى تطورها التاريخي وازدهارها، فإننا نرى الانتقال التدرجي والتراكم النوعي في مواقفها من النفس والآخرين؛ بمعنى أنها مرت بدروب المعاناة الفعلية في قبول الخلاف والاختلاف لتحوله في نهاية الأمر إلى "رحمة إلهية" و"حكمة ربانية"، وذلك بالانتقال من خلال مناهج العلم والعمل وجعلها أسلوبًا لترقي المعرفة العقلية والروحية؛ فارتقت بهذا الصدد للدرجة التي جعلت من قبول إنجازات الأوائل والأواخر والتفاعل معها نموذجًا شاملاً)).

ان الحديث عن مسألتي "التعايش" و"التسامح" والحث عليهما لا يعني بأي حال من الاحوال التنازل عن اساس الدعوة الى الحق الذي يلتزم به الفرد او الافراد كمفردة دينية مهمة يلتزم بها تجاه مجتمعه، فله

كل الحق بالتزام هذه الدعوة، ولكن من منطلق الحكمة والموعظة الحسنة، اللذان يمكن ان نترجمهما بكلمة "الاعتدال" في الخطاب الديني.

وفي هذا المجال نشرت صحيفة العرب اللندنية بتاريخ 2013/8/1 تحت عنوان (الاعتدال في الخطاب الديني دليل وعي والتزام) نقرأ فيه:

((في أوساطنا من جهابذة الفكر الإسلامي ممن أغنوا بمؤلفاتهم ساحة الفكر العالمي وأثروا بأطروحاتهم مختلف الميادين الثقافيه ونالوا إعجاب القاصي والداني على اختلاف الأديان والقوميات. ولنا أن نفتخر حقيقة بهؤلاء المفكرين الذين عبروا عما في الإسلام من فكر ناصع، وقابلية على التفاعل مع الآخرين، واستعداد لمد جسور الإخاء الإنساني .

ولعل الركيزة الأساسية التي يستند عليها أي خطاب هي انطلاقه من رؤية فكرية تنبثق عنها جملة من الآراء والتصورات المعبرة عن هوية الخطاب.

وعندما تكون هذه الرؤية منغلقة على ذاتها ومتقوقعة في قالب جامد خاص بها، فمن المؤكد أن الخطاب الصادر عنها خطاب محدد بمفاهيم ومقولات وشعارات قد لا تلقى من الآخرين قبولا تلقائيا، لأنها صدرت من الأساس عن رؤية لا تقيم لأفكار وقناعات الآخرين وزنا وبالتالي إيجاد حالة من التقاطع والتنافر ينتج عنها كذلك ردود أفعال مقابلة تزيد الحالة سوءا.

لذا أصبح من الضروري في عصرنا الحاضر

أن تتعامل كافة التوجهات والتيارات بذهنية منفتحة على واقعها، تؤمن بالحوار، وبقيمة التفاعل المستمر بين تجارب بني البشر في الحياة الانسانية، والإيمان بالتعايش السلمي وأن العنف والإرهاب والاقتتال والتخريب والدمار ظواهر لا يقرها دين ولا عقل وتنبذها تجربة الحضارة الإنسانية التي ما وصلت إلى ما وصلت إليه إلا بتعاضد العقول وتلاقح الأفكار والتقاء التجارب وتعاون بني البشر على اختلاف أديانهم وقومياتهم وألوانهم ولغاتهم.

لكن ذلك لا يعني بأي حال إلغاء الهوية الذاتية لهذا المجتمع أو ذاك، أما من أعرض عن ركب الحياة الإنسانية وركن إلى قرون الأسلاف باحثا عن قوالب تراثية محطمة لتطبيقها على الحاضر.

إن الانفتاح على فكر الآخرين يوفر فرصا للتلاقي والحوار والتفاعل ومن ثم إيجاد أرضية من التفاهم الإنساني وتوفير مناخ هادئ من الاحترام والفهم وتجاوز لكثير من الإشكاليات الموجودة في هذا الجانب أو ذاك.

وعلى ضوء ما تقدم فإن أي اتجاه فكري لكي يستكمل مقومات نجاحه لابد أن يفهم ما لدى الاتجاهات الأخرى المنتمية لنفس الميدان ويتعامل معها تعاملا موضوعيا مقترنا باحترام ثوابتها ومبادئها مع الاستعداد لفتح باب الحوار الهادف وصولا إلى تحقيق فهم مشترك لكثير من الجوانب ينتج عنه وسط شفاف خالي من الغموض والتعقيد ينعكس على الحياة الاجتماعية فيجعلها أكثر استقرارا وأمانا، ولتحقيق هذه الغاية لابد من توافر جملة من الشروط في أي خطاب ولاسيما الخطاب الديني ومنها:

- بناء مفاهيم ومقولات الخطاب على أسس موضوعية قابلة للفهم من الأطراف الأخرى باستخدام الوسائل التي تساعد على تكوين هذا الفهم .
- الإيمان بأن فهم الآخر وإفهامه وسيلة أساسية لرسم مسارات فكرية مستقلة لا تصطدم مع بعضها من خلال تكوين ذلك الفهم للطرفين.
- وجود قناعة بأن الحياة الاجتماعية لكي تسير في إطارها الصحيح لابد من إيجاد حالة من الاحترام بين مكونات المجتمع السياسية والدينية والقومية... الخ وأن المصلحة الاجتماعية تقضي باجتناب كافة حالات التصادم والتنافر.
- استيعاب الخطاب لظروف المرحلة وما يكتنف تلك الظروف من إشكاليات والتعامل مع تلك الإشكاليات بعقلية تستوعب أسباب نشوئها والعوامل المؤثرة فيها بحيث لا يثير الخطاب عندما يستحضر هذا الجانب أي ردود فعل سلبية لدى الأطراف الأخرى.

× محاولة إيجاد قراءة تاريخية مشتركة قدر الإمكان واجتناب الخطاب للقراءة التاريخية الذاتية لأن ما هو موجود لدينا من اتجاهات دينية ومذهبية قد تختلف في القراءة التاريخية لمختلف الوقائع والإحداث

- وبما أن المفترض في الخطاب الديني -خاصة- أنه يصدر عن رسالة الدين باعتبارها رسالة بناء وإصلاح للإنسانية فمن باب أولى أن يستحضر الخطاب هذه الغاية ولا يتخطاها ويسعى إلى تكريس قيم ومبادئ ما أُنزلت الأديان إلا لإشاعتها بين بني الإنسان.

وفي الوقت الذي ننشد في صفة الاعتدال في الخطاب الديني فإن ذلك لا يعني إلغاء الثوابت الأساسية لهذا الاتجاه أو ذاك بقدر ما يعني التزام الخطاب بمسار ليس فيه تجاوز على ثوابت الآخرين واحترامها. وإذا كانت هناك وجهة نظر أو رأي مخالف فإن الحوار المؤدي إلى قناعات موضوعية مشتركة هو السبيل الأمثل، أما التطرف بأي حال فلا ينتج إلا الصدام)).

## ثالثا: تصدي الرموز الدينية للتطرف

تلعب الرمـــوز الدينيـــة دورا مهما جدا في قيـــادة الرأي العام لمحاربة ظاهرة التطرف الديني وتجنب نموهـــا بين الناس، لما لهذه الرموز من مكانة محترمة في المجتمعات، وبخاصـــة تلك التي تمثـــل الطوائف الدينية غالبية فيها، وبالفعـــل فقد شهدت الساحة في الآونـــة الاخيرة نشاط الرمـــوز الدينية لمحاربة التطرف.

وفي قائمـــة الرمـــوز الدينية التـــي حاربت التطـــرف الديني في الوقت الراهن يبرز اسم المرجع الديني السيد علي السيستاني الذي عرف عنه نبـــذه للتطرف الديني والتشديد علـــى السلام والحوار المشـــترك، وقد لاقت مواقفـــه هذه طوال العقـــود الاخيرة اصداء واسعة علـــى المستوى المحلي العالمي، وقد نشـــرت صحيفة المنيتـــور الامريكية تحت عنوان (مطالبات بترشيح السيستاني لجائزة نوبل للسلام) بتاريخ 2014/3/25 جاء فيه:

كتب الصحافي الشهـــير كولن فريمن في الرابع من آذار/مارس الجاري مقالة بعنوان: "إنســـوا أوباما والاتحاد الأوروبـــي، إن الرجل الذي ينبغي أن ينال جائزة نوبل للسلام هو رجل ديـــن عراقي غامض". وقد طرح أدلة متعدّدة لدعوته تلك بمنح جائزة نوبل للسلام للسيّد علي السيستاني. الأمر الذي أدّى إلى إطلاق حملة عالميّـــة للمطالبة بترشيحه لهذه الجائزة. وهذه ليست المرّة الأولى التي تطرح فيها هذه الفكرة، فقد طرحت سابقاً في العام 2005 من قبل جهات مختلفة منها عدد مـــن المتخصّصـــين في الوضع العراقي وبعض الأقليات العراقيّة.

وليـــس غريباً أن يُطـــرَح اســـم السيستاني لجائزة نوبل للسلام، وذلك لجهة دوره البارز في الوقوف في وجه التشدّد الديني وترويجه للتسامح والســـلام وتعامله الحكيم في فترة احتلال العـــراق والأزمـــة الطائفيّة. وهذا كلّـــه جعل منه صمّـــام الأمان في العراق، إذ إن عـــدم وجوده في الفـــترات العصيبة الماضية كان من شأنه أن يؤدّي إلى كوارث إنسانيّة أكبر بكثير من تلك التي وقعت في العراق...

وفي أجـــواء مماثلـــة، ترشيـــح السيستـــاني لجائـــزة نوبل للسلام سيعني الكثير للمجتمع العراقي بـــل للمنطقة بأسرها. فقرار مماثل قد يدعم جبهـــة التسامح والاعتدال في بلد ومنطقة حيث كل شـــئ جاهز للاشتعال. وقد يضعف جبهـــة المتشدّدين في الحقلَين السياسي والديني على حدّ سواء ويمنعها من الاستمرار في أجنداتها الطائفيّة والأصوليّة.

فلنتصـــوّر مـــا كان سيحـــدث إن لم يكـــن السيستاني موجوداً.. كانت الأزمة الطائفيّة في العـــراق ستـــؤدّي إلى مجـــازر كبيرة وحـــروب أهليّـــة حقيقيّة بـــين المناطق بحسب التقسيم المذهبي...

لكـــن هذا كله لا يعنـــي أن السيستاني يقوم بدور شخصيّة علمانيّـــة تدافع عن الحريات في مطلق معانيها، بل يجب أن يُفهم دوره كرجل دين. فمن غير المعقول أن نتوقّع من البابا أن يقوم بدور فولتير أو جان بول سارتر على سبيل المثال. إن أهميّة السيستاني تكمن في موضوعَين بالتحديد: أولاً، الحفاظ على التديّن بوصفه قضيّة شخصيّة وبالتالي المنع مـــن فرضه على المجتمع. وثانياً، المنع من استخدام العنف لأسباب دينيّة ومذهبيّة بل الترويج للتسامح والمحبّة والسلام بين كل أطيـــاف المجتمع العراقـــي. إلى كلّ ذلك، فإنه يمثّل النسخة البديلة لنظام ولاية الفقيه لدى الشيعة، وهذا يعنـــي أن أي انكسار له سيـــؤدّي إلى تقوية تلك النســـخة المتشدّدة والمرتبطة بالأزمـــات الدينيّة في المنطقة وحالات من انتهاكات حقوق الإنسان.

وعليه، فـــإن الوضع الصعب الـــذي تمرّ به المنطقة وبالتحديد العراق وسوريا يستوجب بشكل خاص ومؤكّد دعماً دولياً واسع النطاق لمواقـــف السيستـــاني، وبالتأكيـــد ستكون جائزة نوبل للسلام أحد أهم مفاصلها)).

ومـــن الامثلة الحية التـــي جسدت مواقف السيـــد السيستاني الداعية الى نبذ التطرف

في الآونة الاخيرة موقفه تجاه الطائفة الايزدية التي تعرضت للاضطهاد من جماعات داعش المتطرفة، في خطوة لاقت ترحيبا منقطع النظير من هذه الطائفة غير المسلمة التي قطنت ارض العراق منذ مدة مديدة.

وحول ذلك نشرت وكالة انباء الدولية نيوز خبرا تحت عنوان (وفد من الايزيديين يزور النجف ويلتقي بالسيد السيستاني) بتاريخ 2014/9/10 جاء فيه:

((قال ممثل المكون الايزيدي صائب خضر نايف :"نحن وفد الايزيدي نحمل رسالة من قبل سمو الامير تحسين علي بكر امير الديانة الايزيدية في العراق والعالم رئيس المجلس الروحاني الاعلى الايزيدي... حملنا رسالة من قبل امير الطائفة في العراق والعالم تتضمن الكثير من الشكر والثناء والتقدير الى المرجعية في النجف الاشرف وكذلك حملنا بعض المطاليب المتضمنة مساعدة النازحين "... "رسالتنا تقديم الشكر لسماحة السيد السيستاني للبيانات والخطابات والمواقف والفتاوى التي أصدرت وحرمة فيها الدم العراقي لكل الطوائف والقوميات ومنها حرمة دم الانسان الآزيدي التي شعر بها المواطنين الايزيديين بالطمانينة بوجود اناس شرفاء بامكانهم حماية اليزيدين والتعاطف معهم "...." السيد السيستاني موقفه كان قمة في الانسانية ولم نتصور كل هذا التعاطف والتعاطي مع ماساتنا فقد كان مطلعا على حجم المأساة وهذا ما اثلج صدورنا ونحن نشعر اننا في امان الان لانه قال (ان اليزيديين امانة في اعناقنا ) وهذه الكلمات اشعرتنا اننا في بلد ليس فيه فرق بين مسيحي ومسلم ويزيدي، الالاف اليزيدين يحضرون انفسهم الى السفر الى اوربا وترك البلد ولكن كلمات سماحة السيد السيستاني ستكون خارطة طريقة لنا للبقاء في هذا البلد")).

وعلى صعيد محاربة الرموز الدينية للتطرف الديني، نسجل ايضا مواقف عديدة للمرشد الاعلى للجمهورية الاسلامية الايرانية السيد علي خامنئي لمحاربة التطرف الديني على الصعيد الاسلامي بخاصة، إذ تسجل له القنوات الاعلامية العديد من الخطابات التي تدعو الى نبذ التطرف الديني وضرورة اللجوء الى التسامح ونبذ الفرقة التي تؤججها الطائفية، مشيرا في الوقت ذاته الى الجهات الحقيقية التي تقف وراء ظاهرة التطرف الديني، وفي هذا المجال نقرأ ما نشرته قناة الميادين بتاريخ 2014/1/19 تحت عنوان (السيد خامنئي يحذر بعض الدول الإسلامية من مغبة استمرار دعمها للتكفير) جاء فيه:

The Telegraph

Home Video News World Sport Finance Comment Culture Travel Life Women

Politics Investigations Obits Education Earth Science Health Defence Scotland

BLOGS HOME » NEWS » DEFENCE » COLIN FREEMAN

Colin Freeman

Colin Freeman is the Chief Foreign Correspondent for the Sunday Telegraph. His latest book is Kidnapped: life as a hostage on Somalia's pirate coast.

Follow 1,024 followers

Forget Obama and the EU. The man who should really have the Nobel Peace Prize is an obscure Iraqi cleric

By Colin Freeman World Last updated: March 4th, 2014

96 Comments Comment on this article

With the Oscars over, shortlists are now being drawn up for that other big awards ceremony for the great and the good. The beginning of March is when the Norwegian Nobel Committee starts considering nominations for this year's Nobel Peace Prize, the winner to be announced in October.

If that seems like a long time, bear in mind that just like the Oscars, the judges in the Nobel Prize have their work cut out these days, sifting through

Print this article

Share 4K

Facebook 4K

Twitter 394

Email

LinkedIn 0

صحيفة التلغراف البريطانية: "إنسوا أوباما والاتحاد الأوروبي، إن الرجل الذي ينبغي أن ينال جائزة نوبل للسلام هو رجل دين عراقي غامض"

((المرشد الإيراني في لقائه مع المشاركين في مؤتمر الوحدة الإسلامية في طهران أعرب عن أسفه للدعم الذي تلقاه الجماعات التكفيرية والإرهابية من بعض الدول الإسلامية وحذر هذه الدول من مغبة إستمرارها في دعمها للتطرف والتكفير، قائلاً إن "بعض الدول الاسلامية تعمل على زرع الخلافات وهذا سيشعل نيرانا تطالهم جميعا". خامنئي اتهم دول الإستكبار بالعمل على تشويه صورة الإسلام والمسلمين وتقديمه للعالم على أنه متوحش وبشع من خلال دعمهم لمن يأكلون الأكباد بهدف حماية مصالحهم الإستعمارية. واعتبر أن سبب اقتتال المسلمين بعضهم مع بعض هو اشخاص يستخدمون اموال الاستكبار ويحرضون الناس ضد بعضها... كما أكد على أن كل محاولات الاعداء في زرع الخلافات والحروب الداخلية وترويج التطرف هي لحرف الاذهان عن فلسطين، داعياً المسلمين إلى ان يواجهوا كل العوامل المعارضة للوحدة، معتبراً أن هذا الأمر هو واجب على الشيعة والسنة، موضحاً أن المقصود بالوحدة هو التأكيد والارتكاز على المشتركات)).

ومواقف السيد الخامنئي هذه لاقت اصداءها لدى المخالفين ايضا، فقد نشر موقع "تحت المجهر" الاخباري مقالا بتاريخ 2014/10/21 تحت عنوان (هل وصلت رسالة خامنئي للعرب؟) نقرأ فيه:

((مازالت دروس التاريخ تعلمنا ان من لا يقرا الماضي لا يعرف الحاضر ولا يستطيع ان يتكهن بالمستقبل ومع ذلك فمازالت فئات ليست بقليلة من امتنا العربية والاسلامية تصطنع لنفسها اطار خاص مبني على "عاطفة حمقاء" تؤمن بوقائع مبرمجة يحكمها ويديرها بشكل اساسي رؤى وجداول ومخططات زمنية قذرة ابتكرتها وصممتها القوى الصهيو – ماسونية التي تغزو منطقتنا، وما هذه الكيانات والجماعات "الهلامية" من امثال "داعش" الا جزء من مخطط طويل لهذه القوى الغازية يستهدف تصفية جغرافيا وديمغرافيا هذه الامة ليقام على انقاضها، "النظام العالمي الجديد" بعد اقتسام الكعكة العربية والاسلامية بين هذه القوى الغربية،الصهيو - ماسونية.

ومن هنا جاء حديث السيد علي خامنئي المرشد الاعلى للجمهورية الإسلامية الايرانية، الذي وضع النقاط على الحروف عندما اعلن ان الولايات المتحدة الاميركية وحلفاءها يسعون إلى "إيجاد العداوة والتفرقة بين المسلمين، تحت مسمى القضاء على تنظيم "داعش"، ومن خلال حديثه الاخير وفي كلمة القاها بمناسبة "عيد الغدير" الذي يحتفل به الاشقاء الإيرانيون في ولاية "الإمام علي - رضي اللّه عنه" ويكمل هنا السيد علي خامنئي في حديثه بهذه المناسبة" ان قوى الاستكبار تسعى إلى زيادة المسافة بين السنة والشيعة" موضحآ ان ظهور التيارات المتطرفة ما هو إلا حصيلة للسياسات الاستعمارية الغربية –الصهيونية بالمنطقة.

ومن حديث السيد علي خامنئي نستدل بسهولة وبوقائع تتحدث عن نفسها ان الدول التي ضربتها عاصفة الربيع العربي الاستعمارية وما تبعها من ظهور تنظيمات متطرفة تتستر بعباءة الاسلام ،بهذه الدول، كيف انها عاشت وما زالت تعيش حالة الفوضى فضربها الارهاب وبقوة وحاول تقسيم المجتمعات المتماسكة الى كانتونات طائفية وعرقية ومذهبية، وعليه، وكنتيجة اولية لهذه المشاريع الاستعمارية فقد دمرت البنى التحتية وحاولت قوى التطرف ضرب معالم الحضارة والتراث الدال على نضالات الشعوب الاسلامية للتحرر ووحدتها التاريخية بكل مكوناتها بنضالها التحرري ضد قوى الاستعمار على مدى التاريخ، وهدف قوى الاستعمار كما تحدث السيد خامنئي من نشر كل هذه الفوضى هو ان تفقد الاجيال القادمة القيمة الحضارية للاوطان وتاريخها النضالي ضد الاستعباد وضد حالة الفوضى التي تهدف الى تمزيق الاوطان وخلق اجيال تدين بالؤلاء المطلق لقوى الاستعمار الجديدة المتجددة

التي تغزو منطقتنا من جديد...
ومن هنا كانت دعوة السيد علي خامنئي الى الامة - كل الامة- الى رص الصفوف وتوحيد الكلمة لمواجهة هذه الفوضى المبرمجة والمعدة مسبقا والتي اورثت حالة من الدمار الممنهج بالمنطقة، وهنا فمن الطبيعي عندما تكون بعض البلدان العربية المسلمة و المحورية بحالة فوضى فحينها من الطبيعي ان يكون وضع الامة ككل بشكل عام هو الاخر يعيش بنفس حالة الفوضى تلك ،،ولو بتراتبية اقل وفق الجغرافيا والديمغرافيا التي تتبع هذه العوامل الرئيسية بحالة الفوضى تلك)).
وفي السياق ذاته نقرأ ما نشرته شبكة محيط بتاريخ 2014/7/14 تحت عنوان (شيخ الأزهر يدعو علَمَاء الأمَّة لبذل الجهد لنَشر السلم وتكريسه في المجتمعات) جاء فيه:
((دعا فضيلة الإمام الأكبر احمد الطيب شيخ الأزهر الشريف عُلَمَاء الأمَّة وحُكَماءها إلى مواصلة التّدبر والتَّفكر العميق والتخطيط الدقيق والصبر والمثابرة، وبذل الجهد لِنَشر السلم وتَحقيقه وتكريسه في مجتمعاتنا الإسلامية والعالمية، وفق منهج وسطي سديد وفقه رشيد، يُوائم بين فهمٍ النص وَفقه الواقع، بعيدا عن مَسالِك الإثارة والتهييج والحماس الزَّائف.
كما دعاهم إلى تحمل مسؤوليَّاتهم الصعبة في هذا المنعطف التاريخي الخطير الذي تمرُّ به أمتنا الآن، وأن ينقذوا أمَّتَهم من المصير البائس الذي يتربص بها وبأبنائها.
جاء ذلك فى كلمة فضيلة الإمام الأكبر أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف إمام الاجتماع الأول لمجلس حكماء المسلمين، والذي يتكون من عدد من علَماء الأمَّة وخُبَرائها والذي انعقد بابو ظبى أول أمس فى إطار زيارة الإمام الأكبر لدولة الإمارات العربية المتحدة التى اختتمها يوم الجمعة الماضي.
كما أكد الإمام الأكبر فى كلمته -التى نقلها بيان لمشيخة الأزهر اليوم- إنَّ الإسلامَ كدين هو، في نفس الأمر وحقيقته، أخو "السَلام" وشقيقه، كلاهما مُشتَقٌّ من جذرٍ واحد في اللغة العربيَّة، وإذا كان اللّه في المسيحيَّة هو "المحبَّة"، فاللّه في الإسلام هو "السَّلامُ"، والسَّلامُ أحدُ أسمائه تعالى، ونحنُ مأمورون في دينِ الإسلام – بأَنْ نتشبَّه بصفات اللّه الجميلة ومنها: السَلامُ- قدر ما تُطيقُه طبيعتُنا البشريَّةُ المحدودة.
كما اكد الدكتور الطيب ان هذا الإسلام الذي أنشأ أمة، وصنع تاريخا، وأبدع حضارة دين سلام للعالم أجمع، يصنع الأمنَ والسَّلامَ بين أهله ويُصدِّرُه للإنسانيَّة جمعاء، وقد أرسَلَ اللّه نبيَّه رحمةً للعالمين، وطلب إلى أتباعَه أن يكونوا رُسلَ سلام فيما بينهم أوَّلا، ثم رُسلَ سلام إلى الدنيا كلِّها، بل رسلَ سلامٍ إلى عالم الحَيوان والنبات والجماد.
واشار الى ان الحَضارةُ الإسلاميَّةُ جاءَت حضارةُ "سلام وأمن وأمان"، كما جاء الإسلامُ دينَ "سلام" ورحمة وموَدَّة... ولم يُحدِّثنا التاريخُ أن أمة من أمم العالم شَقِيَت بحضارة المسلمين أو عانت بسببها من الخوف والجوع والموت...
ويأتى انعقاد المجلس نفيذًا لتوصيات منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة، الذي عُقدَ بدولة الإمارات العربيَّة المتَّحدة، يومي 9و10 مارس 2014م، بحضور شيخ الأزهر حيث تم إنشاء مجلس حكماء المسلمين، والذي يتكوَّن من عددٍ من عُلَماء الأمَّة وخُبَرائها؛ للمساهمة في كسر حدَّة الاضطراب والاحتراب التي سادتَ مجتمعات كثيرةً من الأمَّة الإسلاميَّة، والحد من اتِّساع نِطاق استباحة حُرمة الأنفس والأعراض والأموال، وما يُحدثُه كلُّ ذلك من آثار نفسيَّة واجتماعيَّة واقتصاديَّة وسياسيَّة تَفُتُّ في عَضُدِ الأمَّة بما يُنذِر بتفتُّتها والإمعان في تقسيمها)).

## ثالثا: النشاط الاجتماعي لمحاربة التطرف

لا ريب ان لنشاط الطبقات المثقفة ومؤسسات المجتمع المدني دور مهم وفعال في محاربة ظاهرة التطرف الديني والتقليل من انتشاره في الاوساط الشعبية، من خلال عقد المؤتمرات والندوات المثمرة، وبخاصة تلك التي تأتي على نطاق دولي لوضع حلول اساسية وفرعية تلعب دورا في اقتلاع جذور الحركات المتطرفة التي تنمو في أي بلد من البلدان.

وكمثال على ذلك، نقرأ عن الندوة دولية تدعو الشعوب والحكومات العربية للحوار ونبذ العنف التي غطتها شبكة الاعلام العربية(محيط) بخبر مؤرخ في 2014/5/3 جاء فيها:

((دعا المشاركون في الندوة الدولية "دور الوسطية في البناء الحضاري في العالم الإسلامي " إلى جعل الثقافة الإسلامية مادة إجبارية لجميع طلاب المرحلة الجامعية الأولى ؛ سواء في الجامعات أو المعاهد الحكومية والخاصة، بهدف تأصيل الفكر الإسلامي الوسطي وتعزيزه، كما دعوا إلى توعية الأئمة والوعاظ والخطباء ومدرسي التربية الإسلامية في دول العالم العربي الإسلامي بهذا الفكر الوسطي وبأهمية نشره، والعمل على عقد الندوات والمحاضرات وورش العمل لتحقيق ذلك.

وبحسب بيان منظمة الإيسيسكو فقد عقدت الندوة في يومي 28و 29 أبريل 2014 في العاصمة الأردنية عمان بالتعاون بين المنتدى العالمي للوسطية والإيسيسكو والألكسو، وشارك فيها خبراء من الأردن وتونس والسعودية وباكستان وقطر والجزائر والعراق والإمارات والمغرب وبلجيكا، وبحضور نخبة من علماء ومفكري الأمة الإسلامية والعربية، ورجالات الفكر والسياسة، وأساتذة وطلاب الدراسات العليا في الجامعات العربية والإسلامية .ومثل الايسيسكو فيها الدكتور عز الدين معميش، الخبير في مديرية الثقافة والاتصال.

وأكدوا ضرورة مراجعة المناهج الدراسية لدول العالم العربي والإسلامي، لتصبح متوافقة مع النهج والفكر الإسلامي الوسطي، والاجتهاد الفقهي المعتدل وطالبوا بأن تكون دوائر ومؤسسات الفتوى الشرعية في العالم العربي والإسلامي هي صاحبة الحق والولاية في إصدار الفتاوى الشرعية..

كما دعوا إلى التعايش السلمي ما بين أتباع الديانات السماوية داخل المجتمعات الإسلامية والعربية، على أساس أن الإسلام دين التسامح ، ولأتباع الديانات الأخرى الحرية الدينية، واحترام مقدساتهم وحماية أماكن عبادتهم...ودعوا أتباع المذاهب الإسلامية للتعاون والتوافق والتكامل، وعدم إثارة النعرات المذهبية الضيقة، وضرورة عدم تضخيم الخلافات الفرعية، وأن لا تكون الخلافات المذهبية باعثاً لهتك الأعراض، وسلب الأموال، وإزهاق الأرواح.

وشجب المشاركون جميع أعمال العنف والإرهاب في أي مكان، وتحت أي مسمى كان؛ وخاصة التفجيرات العشوائية ، التي تستهدف الأبرياء من كل الطوائف والأديان والفرق. وأكدوا على أن الأمن والاستقرار من أهم الأسس الحقيقية للتنمية ، والتطوير العلمي والتقني، والنهوض الاجتماعي، وأن الإرهاب والعنف يؤدي إلى الدمار والفرقة والتشتت، ويستنزف مقدرات الأمة..

ودعوا الحكومات والشعوب العربية والإسلامية إلى ضرورة الحوار، والاحتكام للعقل، وإعلاء مبادئ العيش المشترك والعفو، والقبول بنتائج الانتخابات النزيهة الشفافة والعادلة. كما دعوا الدول العربية والإسلامية وكافة المؤسسات العلمية لتشجيع الكتب والدراسات الإسلامية الوسطية، والعمل على طباعتها ونشرها؛ تعزيزاً للفكر الإسلامي الوسطي ودعم المؤسسات والجمعيات والهيئات ذات التوجه الإسلامي

الوسطي المعتدل مادياً ومعنوياً.
وأكدوا ضرورة معالجة الفكر المتطرف، والتوجهات المتشددة بالفكر الوسطي المعتدل ، ونشر العلم الشرعي الصحيح، وتأهيل طلبة العلم الشرعي. وتؤكد أن الحل العسكري والأمني لن يُفلح في استئصال الغلو . وأوصوا بالعمل على نشر الفكر الإسلامي الوسطي في وسائل الإعلام الغربية والأجنبية)).
وفي مثال مشرف اخر لنشاط الطبقات المثقفة للحد من خطر التطرف، نقرأ ما نشرته صحيفة المنيتور بتاريخ 2014/9/3 مقالا تحت عنوان (حملات وأنشطة من أجل إيقاف نزيف الدمّ العراقيّ) جاء فيه:
((دفع تدهور الأوضاع الأمنيّة وتزايد عدد ضحايا الإرهاب في العراق، المثقّفين العراقيين إلى تبنّي أدوار جديدة غير معتادة. فقد بدأوا الدخول على خطّ السياسة في شكل قويّ، وهم ينشطون في تنظيم الحملات والفعاليّات الثقافيّة والاجتماعيّة، ويحملون الكثير من الأهداف والمطالب. وباتت هذه الحملات تحظى بتأييد الناس في مختلف محافظات العراق. وقد التف حولها خلال أشهر جماهير غفيرة من العراقيّين الذين باتوا يشاركون في التّظاهرات والمسيرات، ويتناقلون أنشطتها عبر مواقع التّواصل الاجتماعيّ. ويعتقد منظّمو هذه الحملات أنّها باتت تمنح الأمل للعراقيّين بلفت أنظار العالم إلى ما يعانونه.
إنّ الحملة الوطنيّة الشعبيّة لتصنيف الجرائم الحاصلة في العراق كإبادة جماعيّة "حشد" هي إحدى الحملات التي دعا إليها عدد من المثقّفين والصحافيّين العراقيين أخيراً، وهي تهدف إلى إدراج التّفجيرات وأعمال العنف التي تحدث في العراق منذ عشرة أعوام، تحت لائحة الإبادة الجماعيّة، حسب الإتفاقيّة التي أقرّتها الأمم المتّحدة في عام 1948 على غرار جرائم البوسنة والهرسك وصبرا وشاتيلا وغيرها.
وإنّ الشارع العراقيّ الذي يئس من وعود السياسيّين في تحسين الأوضاع الأمنيّة تلقّى هذه الأنشطة بتأييد واسع. وقد بدأ العراقيّون من مختلف الشرائح بالالتفاف حول هذه الحملات والمشاركة في أنشطتها، وتداول أخبارها عبر مواقع التّواصل الاجتماعيّ. ويؤشّر هذا الحراك الجديد إلى إمكان أن يكون للمثقّفين دور فاعل في عمليّة التّغيير في العراق.
وفي اتّصال هاتفيّ مع "المونيتور" في 30 آب، تحدّث النّاطق باسم الحملة أحمد الشمري من بغداد قائلاً: إنّ سبب إطلاق هذه الحملة هو الشعور بأنّ الحكومة العراقيّة لم تعد قادرة على تولّي مثل هذا الدور، فهي مشغولة بمشكلاتها المستعصية. وما يحدث في العراق منذ عشر سنوات وحتّى الآن ليس مجرد عمليّات إرهابيّة اعتباطيّة، بل عمليّات مقصودة ومنظّمة تقوم بها جهات مدعومة من أطراف داخليّة وخارجيّة".
أضاف: إنّ حملة "حشد" العراقيّة لديها إحصائيّات بالأعداد المهولة لضحايا الإرهاب في العراق، وهذا يشير إلى أنّ ما يجري في العراق ليس مجرد جرائم عاديّة، بل جرائم إبادة جماعيّة".
ويزيد من فعاليّة هذه الحملة تعاونها مع منظّمات حقوق الإنسان في العراق، وبعض الوزارات العراقيّة كوزارة حقوق الإنسان ووزارة الصحّة في جمع المعلومات وتوفير الإحصائيّات.

GENOCIDE in Iraq
الإبادة الجماعية في العراق

وقال الشمري في حديثه لـ"المونيتور: إنّ الحملة بدأت بإرسال موفدين إلى مواقع التّفجيرات والعمليّات الإرهابيّة لجمع المعلومات عن عدد الضحايا بهدف تقديمها إلى المنظمات الدوليّة المعنيّة كمنظّمة هيومن رايتس وممثل الأمين العام للأمم المتّحدة في العراق. وقد انتدبت الحملة ممثلاً لها في بريطانيا يقوم بالتعريف بأنشطتها وأهدافها. وأشار أحد بيانات الحملة إلى أنّها أوصلت صوتها إلى خارج العراق وباتت تحظى بتأييد بعض المنظّمات الدوليّة.

وقد أطلقت جماعة أخرى من المثقّفين وأساتذة الجامعات العراقيّة حملة شبيهة ترفع شعار "أوقفوا نزيف الدمّ العراقيّ". وقد سيّرت الحملة عدداً من المسيرات والتّظاهرات في بغداد، كان آخرها مسيرة الجمعة الماضية في 19 آب في شارع المتنبي. ومع أنّ هذه الحملة تدعو أيضاً إلى تدويل قضيّة العنف في العراق، فإنّ مطالبها الأبرز تتوجّه إلى الداخل العراقيّ.

وفي اتّصال هاتفيّ مع "المونيتور" تحدّث منظّم الحملة الدكتور علي عبود، وهو أستاذ الفلسفة السياسيّة في جامعة بغداد، قائلاً: "ما يجري في العراق لا ينبغي السكوت عنه، العراقيّون جميعاً باتوا مستهدفين، شيعة وسنة ومسيحيّين وإيزيديين، فيجب إيقاف نزيف الدمّ هذا".

وتختلف هذه الحملة عن حملة "حشد" بأنّها تحمّل الحكومة العراقيّة المسؤوليّة الأكبر في هذا المجال، ذلك الفساد وضعف القيادتين السياسيّة والعسكريّة أسباب أسهمت في استمرار هذا النزيف. لذلك، فإنّ الحملة تركّز في مطالبها على محاكمة السياسيّين والعسكريّين الذين قصروا في أداء واجباتهم، وتسبّبوا في استمرار المأساة العراقيّة. ونظراً لأنّ الحملة لا تحمل مطالب تخصّ طائفة بعينها، لقيت تأييداً واسعاً من قبل الجماهير العراقيّة. وهذا ما أكّده عبود في حديثه مع "المونيتور"، إذ قال: "إن النّاس من مختلف الطوائف العراقيّة يؤيّدون ويدعمون هذه الحملات. وهذا يدعونا إلى المواصلة وتكثيف الجهود حتّى تتحقّق المطالب، وإن كلّف ذلك، الصدام مع السياسيّين الذين أثبتوا أنّهم غير مؤهّلين للدفاع عن الشعب العراقيّ"))).

## الخلاصة:

ان التطرف الديني وليد ازمة تعيشها طائفة من الطوائف البشرية، وتتشكل هذه الازمة في العادة نتيجة تناقضات بين موروثها الديني الذي تلتزم به وبين واقعها الذي تعيشه، وبخاصة اذا تحولت هذه الازمة الى وتر حساس تعزف عليه شخصيات تدّعي العلم بالدين واحكامه، يساعدها في ذلك جهل العامة بعمق الاحكام الدينية، فتعمد هذه الشخصيات الى اسلوب الانتقائية في الطرح الديني بما يخدم تأجيج العواطف والقناعات باتجاه اقصاء المخالفين عقائديا الى حد اباحة دماءهم، مما يؤدي الى شطب مفردة التعايش السلمي مع الآخرين الى غير رجعة.

وعلى الرغم من ان نمو الجماعات المتطرفة لا يمكن ان يستمر بين ظهراني الاوساط الاجتماعية لطبيعتها المتشددة وسلوكها العنيف الذي لا يلائم باي حال من الاحوال السلوك الطبيعي للبشر، الا ان توافر جهات خارجية مستفيدة من حركة الجماعات المتطرفة لتحقيق غايات خاصة - سياسية او اقتصادية او ايدلوجية- يعد من اهم

المحـــركات لديمومة نشـــاط التطرف في بيئته التي انطلق منها، وبخاصة اذا كانت تلك الجهات الخارجية تمثل دولا او منظمات ذات نفـــوذ عالمـــي، إذ انـــه مـــن السهولة بالنسبة لهذه الجهـــات استغفال الجماعات المتطرفـــة والتلاعـــب بعواطفها بتوظيف دعاة دين مزيفين واستثمار قنوات اعلامية محرضـــة ودس جماعات عميلة في النسيج الاجتماعي، ذلك انـــه لن تجد تلك الجهات الداعمة جنودا اكثر شراسة واخلاصا ممن ينطلقـــون في حركتهم على اسس عقائدية متطرفة.

ولكن يبقـــى التلاعب بهذه الورقة امر يشبه الى حـــد بعيد اللعب بالنار التي من الممكن ان تحرق يـــدي صاحبها في أي وقت، ومن خلال التجـــارب المتكررة التـــي مرت بها الانسانية في العقود الاخيرة، يمكن ان نقول ان اصرار الجهات الخارجية على الافادة من توظيف الجماعـــات المتطرفة انما تمتلك نظرة محـــدودة جدا، بعيدة كل البعد عن استشـــراف المستقبل الخطير الذي يحدق بها بسبب هذا التوظيف.

ان نمـــو التطرف في الـــدول الغربية ونموه باضطـــراد خلال السنـــوات المنصرمة يعد اكبر شاهد على ان السحر يمكن ان ينقلب على الساحر في هذه المعادلة، فالغرب في تعامله مع الجماعات المتطرفة - كالقاعدة في افغانستـــان- دلل علـــى غباء كبير في التعامـــل مع هذا الملـــف في ستراتيجيته العالمية.

وعلى صعيد آخر، فان نمو ظاهرة التطرف في المجتمعـــات الغربيـــة يقدم لنـــا فرصة لندرس الاسباب التي دفعت بالاشخاص الذين يعيشون حياة مستقرة في تلك المجتمعات - وبخاصـــة الشباب منهم- الى الانخراط في الحركات المتطرفـــة، في خطوة يقدمون فيها علـــى اهلاك انفسهـــم واهلاك غيرهم بدوافع ايدلوجية صرفة.

ان دراســـة الاسبـــاب والدوافـــع واستخلاص النتائـــج التي تتعلق بنمـــو ظاهرة التطرف يعيننا كثيرا على تشخيص العلاجات التي يمكن ان تمثل حلولا حقيقية لمعالجة هذه الظاهرة، وتأتـــي في مقدمتها اعادة صياغة الفكـــر الاجتماعي تجاه الديـــن، في خطوة تؤكد على انه ليس بالضرورة ان يكون كل من يدعي العلم بالدين يمثل اللّه في الارض.

هـــذا بالاضافـــة الى الحاجـــة الى النشـــاط الاجتماعـــي للطبقات الواعـــي المثقفة في تعزيـــز الوعـــي الديني والوطنـــي وبث روح التسامح والاعتـــدال في الخطاب مع الآخر المخالف دينيا وبخاصة في المجتمع الواحد.

وقبل هذا وذاك لا بد من التأكيد على دور الرموز الدينية في محاربة انتشار التطرف، فضلا عن نشاط مؤسسات الدولة التي ينبغي ان تلعب الدور الحاسم في قطع الطريق على كل مـــن تســـول له نفسه بث هـــذه الروح المتشـــددة في مفاصل المجتمـــع تحت أي مبرر كان.

في الوقـــت الراهن يبدو ان الرحلة للتخلص مـــن ظاهرة التطـــرف الدينـــي لا تزال في بدايتهـــا، وهي رحلة لا بد ان تكون مضنية، لان افق المستقبـــل يلوّح بان هنالك العديد من الـــدول باتت معرضـــة لأن تكتوي بنار هذا اللون مـــن التطرف، ولكن هنالك امل بـــأن تقتلع الجهود الاجتماعية هذا الظاهرة مـــن جذورها في النهايـــة، لان من طبيعة المجتمعات البشرية ان تتحد ضد أي خطر يهـــدد كيانها الجمعي، وبخاصـــة اذا ايقنت ان من طبيعة هـــذا خطر التطرف الديني احراق كل اخضر ويابس يجده في طريقه.